بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي قال فيه ربه:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ [الأحزاب:45-46]، وعلى آله وصحبه، والتابعين.

إن السيرة النبوية هي الصورة الكاشفة لشخصية الرسول -ﷺ-من خلالها يستطيع المسلم أن يتعرف على حياته-ﷺ-ويتمثل هذه الحياة فكرا في عقله، وشعورا في وجدانه، وعملا في سلوكه، والقرآن الكريم هو أوثق سند لأحداث السيرة بلا جدال وهو باق محفوظ إلى يوم القيامة، قال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]. [1]

فكان علي بن الحسين(ت:95هـ)-رضي الله عنه- يقول: "كنا نُعلَّم مغازي النبي-ﷺ-كما نعلم السورة من القرآن".[2]

إن علم المغازي فيه الخير الكثير ولهذا يشير ابن شهاب الزهري(ت:124هـ) بقوله:" علم المغازي والسرايا علم الدنيا والآخرة".[3]

ولسمو مكانة رسول الله -ﷺ- قال سفيان ابن عيينة(ت:198هـ): "إن رسول الله -ﷺ- هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل".[4]

إن سيرة النبي-ﷺ- آية من آيات نبوته، كما قال عَلِي ابن حزم (ت: 456هـ):" فإن سيرة محمد-ﷺ- لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله -ﷺ-حقا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته -ﷺ-لكفى".[5]

ولأهمية المغازي، يقول الخطيب البغدادي (ت:463هـ):" قد أشار السلف الصالح إلى أهمية المغازي، ويقدرون للسيرة النبوية قدرها، ويتواصون بتعلمها وتعليمها لأبنائهم".[6]

---

1 – محمد عبد الباقي الزرقاني، شرح المواهب اللدنية، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1996م، مصر. 473/1.

2 – أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض. 288/2.

3 – سعد المرصفي، كتاب الجامع الصحيح للسيرة النبوية، مكتبة ابن كثير، ط:1، ت: 2009م، الكويت. ص:51.

4 – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 289/2.

5 – علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الجيل، ط:1، ت: بيروت. 90/1.

6 – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،289/2.

وقال علي الندوي (ت:1420هـ):" إن السيرة النبوية، وسِيَر الصحابة وتاريخهم –رضي الله عنهم– من أقوى مصادر القوة الإيمانية والعاطفة الدينية، التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان، وتشتعل بها مجامر القلوب، التي يسرع انطفاؤها وخمودها في مهب الرياح والعواصف المادية".[1]

إن حياة الرسول–ﷺ– تُعد صورة حية لما جاء في القرآن الكريم، يقول محمد إبراهيم شقرة (ت:1437هـ):" القرآن كله هو الصفحة الكبيرة التي تقرأ في كل سطر منها –بل في كل كلمة– نبذة من سيرته –ﷺ–، ونستطيع أن نقول:" إننا لو ذهبنا نستقي السيرة من خلال القرآن كله لاجتمع لدينا جم غفير من الأوراق، والرسائل". [2]

إن الكتابة عن النبي–ﷺ– أشبعت كثيرا من قبل الكتاب المسلمين وغير المسلمين.

والسؤال: لماذا الكتابة في السيرة؟

والإجابة عن هذا السؤال تكمن في دوافع الاختيار وهي:

الأول: امتثالا لأمر الله في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:21] أن نجعل رسول –ﷺ–أسوة لنا، ولا يتسنى ذلك إلا بالإلمام بسيرته العطرة –ﷺ–.

الثاني: إن الكتابة في السيرة النبوية الصحيحة، ونشرها يعد من أفضل الردود على الشبهات المثارة، والحملات الشرسة التي أضرم الغرب نارَها، في الإساءة للرسول –ﷺ–، فقد أصبحنا بين الفينة والأخرى نسمع بمن يسيء إلى نبينا –ﷺ–، وقد كفاه الله تعالى شرهم:﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:95]، قال عبد الرحمن السعدي(ت:1371هـ) في تفسيره لهذه الآية:" هذا وعد من الله لرسوله–ﷺ–، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله –ﷺ–وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة".[3]

الثالث: إن الجهل بحقيقة شخصية الرسول–ﷺ–ليحجب الباحث عن الرؤية التي تمكنه من معرفة حقيقة القرآن الكريم، كما أن عدم معرفة القرآن معرفة وافية تجعل الدارس عاجزا عن الإحاطة بشمائل الرسول–ﷺ–.

---

1 – علي أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط:12، ت:2995م، دمشق.15/1.

2 – محمد إبراهيم شقرة، السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، مكتبة المعارف، ط:1، ت:1999م، السعودية. ص:25–26.

3 – عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:2000م، بيروت. 435/1.

وفي صدد الإحاطة بالقرآن وفهم السيرة النبوية منه يقول عبد الحليم محمود (ت: 1398هـ):" حينما نريد أن نكون صورة واضحة عن رسول الله –ﷺ–فإن الطريق الوحيد لذلك؛ إنما هو الإحاطة بالقرآن الكريم إحاطة تامة".[1]

ويضيف قائلا:" إننا لا نرسم صورة كاملة، فالصورة الكاملة لا يتأتى لمثلنا أن يرسمها، إنما نحاول رسم جملة من الزوايا شاعرين بتقصيرنا، معترفين بعجزنا، ولكن أملنا كبير في أن تكون هذه الصورة باعثة لتصحيح بعض الأوضاع".[2]

رابعا: إن سيرة الرسول–ﷺ–المدونة في كتب السيرة المعروفة تحتاج إلى تنقية ليصفو له القدر الذي يستطيع أن يطمئن إليه المسلم حينما يريد أن يأخذ من السيرة لنفسه صورة مشرفة للرسول الله–ﷺ–.

ولأهمية القرآن الكريم في السيرة النبوية، يقول محمد أبو شهبة (ت:1403هـ): "إن المرجع الأول في دراسة السيرة النبوية هو القرآن الكريم، لأنه الكتاب المتواتر الذي يفيد القطع واليقين، ولا يتطرق إليه الشك والارتياب، فهو أوثق المصادر، وأولاها بالقبول".[3]

لقد تحدث القرآن عن رسول الله–ﷺ– بشمول وإحاطة، يقول محمد دروزة (ت: 1404هـ):" فإن القرآن جميعه يمثل السيرة، وإن لم يكن ذلك مقصودا لذاته، ليس فيه آية إلا وهي تشير إلى دور أو موقف من مواقف النبي–ﷺ– فيما بلغه عن ربه من وعد ووعيد وأمر ونهي وتعليم وتشريع وتأديب، وأمثال وقصص ودعوة وجهاد وجدال وحجج...".[4]

ويقول محمد شقرة:" إن الحديث عن الرسول–ﷺ– في القرآن هو الحديث عن القرآن كله وهو حديث حافل، فياض، متعدد متشعب، لذا كان فوق الطاقة أن يتناول متناول حديث القرآن عن محمد بشمول وإحاطة".[5]

إن السيرة النبوية لاتزال ميدانا مفتوحا للتأليف، يقول محمد عمارة (ت:1441هـ):" إن سيرة محمد رسول الله –ﷺ–قد كانت ولا تزال وستظل ميدانا مفتوحا للتأليف والإبداع الذي يكشف في هذه السيرة العطرة المزيد والجديد حتى لكأنها نبع متجدد، وكتاب مفتوح يكتشف فيه العقل المبدع ما لم يكتشفه الأسلاف، وذلك بقدر ما يتحلى هذا العقل بالوعي والإخلاص والحب والولاء".[6]

---

1 – عبد الحليم محمود، الرسول–ﷺ–، دار الكتاب، ط:1، ت:1974م، بيروت. ص:9.

2 –م ن، ص:30.

3 –محمد أبوشهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، ط:8، ت:2007م، دمشق.8/1.

4 – محمد دروزة، سيرة الرسول –ﷺ–صور مقتبسة من القرآن الكريم، المكتبة العربية، ط:1، ت:1948م، بيروت. 5/1.

5 – السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، ص:25–26.

6 – محمد عمارة، محمد المصطفى المعصوم –ﷺ–بشر يوحى إليه، مجلة الأزهر، عدد الربيع 1441هـ، القاهرة. ص:9.

الإشكالية:

يصطبغ كل كتاب بشري بأسلوب كاتبه، ويظهر فيه مؤلفه تنزه شخصيته، عن المثالب قدر ما يستطيع، والناظر في القرآن الكريم يلحظ أن المنزل عليه-ﷺ-خاضع لقوةٍ من فوقه، توجهه وتصور أحواله، وقد توجه إليه العتاب واللوم.

وانبثقت عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات منها:

- كيف صور القرآن الكريم طبيعة الرسول-ﷺ-الحاملة لأنوار الوحي؟
- ما العلاقة بين أمية الرسول-ﷺ-والإعجاز القرآني؟
- ما جوامع خصائص الرسول-ﷺ-من خلال الآيات القرآنية؟
- ما أوجه العظمة الخلقية في سلوك الرسول-ﷺ- في ضوء القرآن الكريم؟
- كيف كانت الأعراض المصاحبة للوحي دليلا على بشرية رسول الله -ﷺ-من وجه، وعلى نبوته من وجه أخر؟
- ما أثر معاتبة لله لرسوله-ﷺ- في توجيهه، وتنبيهه، وتحذيره؟
- كيف وصف القرآن الكريم مراحل دعوته-ﷺ-، ومعالم منهجه في تلك الدعوة؟
- كيف صور القرآن الكريم هدى رسول الله-ﷺ-في جهاده؟

أهمية البحث:

1-إن من أبرز مقاصد البحث وأهميته التأكيد على المنهج النبوي في تأصيل الاستشهاد بالآيات القرآنية على توصيف الرسول-ﷺ-.

2- بيان الترابط الوثيق بين الكتاب والسنة في الاستدلال، عن مالك بن أنس(ت:179هـ) قال: قال رسول الله -ﷺ-:" تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّة نبيه ".[1]

3-ذكر أقوال المفسرين وبيان دورهم في تعميم الاستدلال النبوي في الآية المستشهد بها.

4-بيان أقوال العلماء في أمية، وعتاب وغزوات الرسول-ﷺ-.

5-بيان أن القرآن منزل من عند الله.

6- محاولة إثبات الإعجاز القرآني في توصيف الرسول -ﷺ-.

---

1 - الإمام مالك(ت:179هـ)، الموطأ، رواية يحي بن يحي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط:2، ت:1007م، بيروت. كتاب القدر، باب النَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ، 297/5، برقم:1628. بلاغاً، قال ابن عبد البر في التمهيد: الحديث محفوظ معروف مشهور عن النبي عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الاسناد.331/24.

أهداف البحث:

1- توصيف الرسول -ﷺ- من خلال القرآن الكريم.

2-التعلّم والاعتبار؛ فالدروس التي يأخذها المسلم من سيرة النبيّ -ﷺ-تضيء الطريق للسالك، وتهديه إلى الصراط المستقيم.

3- معرفة معجزات النبيّ -ﷺ-، ممّا يزيد في الإيمان.

4-بيان شمائل النبيّ -ﷺ-وصفاته وخصائصه التي لا توجد في سيرة أحدٍ غيره.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث علمي يستوعب محاور هذه الدراسة ولكن عثرت على بحوث ذات علاقة بجزئياتها منها:

1- كتاب محمد بن بكر آل عابد، حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول-ﷺ-دار الغرب الإسلامي، ط:1 ت: 1994م، بيروت.

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير، من الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، وهو متعلق بتوصيف مواقف الرسول-ﷺ-في حروبه مع الكفار، فهو يتعرض لجزئية من جزئيات دراستي هذه في أحوال الرسول-ﷺ- الجهادية.

2- كتاب سعيد المغناوي، شخصية رسول الله -ﷺ-بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين، مطبعة آلفو- برنت، ط:1، ت: 2003م، فاس.

هذا الكتاب في الأصل أطروحة جامعية، من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، سنة 2003م. جمع فيها الباحث الآيات القرآنية، التي ذكر فيها رسول الله-ﷺ-متناولا الوحدة المعنوية بين الآيات والسور، دون وصف لأحواله-ﷺ-، معتمدا على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وكتاب الإتقان للسيوطي.

3-رسالة ماجستير للباحث: بيئوغين أكبر الأندونيسي، بعنوان: عتاب الله عز وجل للأنبياء، دراسة موضوعية، من جامعة المدينة العالية، ت: 2015م، ماليزيا. تناول فيها جزئية متعلقة بمسألة معاتبة الله لنبيه-ﷺ-، في نطاق معاتبته لبقية الأنبياء – عليهم السلام-وهي تلتقي مع دراستي في بعض قضايا العتاب.

4-رسالة ماجستير بعنوان: أحوال الرسول-ﷺ-الشخصية من خلال سورة الأحزاب، للباحث: إمام أبو الفردوس باشا البجلي، جمع ودراسة، جامعة المدينة العالية، ت: 2015م، ماليزيا. وهي ذات علاقة مباشرة بموضوع دراستي من منظور محصور في سورة الأحزاب، بينما موضوع رسالتي يمتد ليحلل أسلوب القرآن الكريم في توصيف الرسول-ﷺ- في جميع القرآن بإظهار خصائص تلك الشخصية.

منهج البحث:

سلك الباحث في هذه، الدراسة المنهج التحليلي، فهو الغالب في عرض الآيات القرآنية الدالة على أحوال رسول الله-ﷺ-واستنباط المعاني منها في الجمع بين التحليل والتركيب مما يستدعي توظيف المنهج الاستدلالي أيضا، مع الاستعانة بالمنهج النقدي، فيكون المنهج تكامليا، يحوي المنهج الوصفي في أغلب مسائله، ثم المنهج الاستدلالي، ثم المنهج النقدي.

هيكلية الخطة:

بعد أن استكملت جمع المعلومات من مصادرها، والمقابلة بينها وبين المخطط الأول لرسم الخطة، وتوجيهات المشرف، استقرت الهيكلية على النحو الآتي:

تمهيد: الإعجاز القرآني وتجلياته:

تناولت فيه مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم، وشروط الإعجاز، ومراحل التحدي، والقول بالصَرْفَة، ووجوه إعجاز القرآن، وخصائصه.

الفصل الأول: تناولت فيه توصيف بشرية رسول الله -ﷺ- ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تصوير طبيعة الرسول-ﷺ-، انطلاقا من قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[الكهف:110].

المبحث الثاني: توصيف أمية رسول -ﷺ- انطلاقا من قوله الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:157-158].

المبحث الثالث: توصيف خصائص الرسول-ﷺ- انطلاقا من قوله تعالى:﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:128]، وقوله تعالى:.﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الأحزاب:45].

المبحث الرابع: تناولت فيه توصيف أخلاقه -ﷺ-، انطلاقا من قوله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:4].

الفصل الثاني: تناولت فيه توصيف ظاهرة الوحي، ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الوحي، وأدلة وقوعه، وثبوته. انطلاقا من قوله تعالى:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:4].

المبحث الثاني: توصيف حاجة رسول الله -ﷺ- إلى الوحي.

المبحث الثالث: توصيف الأعراض المصاحبة للوحي.

الفصل الثالث: تناولت فيه توصيف عتاب رسول الله-ﷺ-في القرآن، ويحوي أربعة مباحث.

المبحث الأول: مفهوم العتاب، وتأثيره في نفس الرسول-ﷺ-:

المبحث الثاني: توصيف عتاب التوجيه.

المبحث الثالث: توصيف عتاب التنبيه.

المبحث الرابع: توصيف عتاب التحذير.

الفصل الرابع: تناولت فيه توصيف الأحوال الدعوية للنبي-ﷺ-، تم التعرض فيه إلى مراحل الدعوة، ومنهجها، انطلاقا من قوله تعالى:﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214] ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توصيف مراحل دعوته-ﷺ-.

المبحث الثاني: توصيف منهج الرسول-ﷺ- في دعوته.

المبحث الثالث: توصيف أحوال النبي-ﷺ-مع المشركين.

الفصل الخامس: تناولت فيه توصيف رسول الله-ﷺ- في جهاده، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[التحريم:9]. ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: هديه-ﷺ- في الجهاد:

المبحث الثاني: توصيف أحواله-ﷺ- في غزواته:

الخاتمة: تتضمن خلاصة البحث ونتائجه.

لست مدعيا أنني أوفيت الموضوع حقه فإنه لا يزال هناك مجال رحب للباحثين في استجلاء صورة رسول الله -ﷺ- في القرآن الكريم، وما تشع به من أنوار المعرفة والهداية، وحسبي أني اجتهدت ما وسعني الجهد، فقد يبدو في البحث ما لم يكن في الحسبان مما يندرج في دائرة الخطأ والنسيان، فالله أسأل أن يتقبل مني، وألا يكلني إلى نفسي طرفة عين، عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الباحث

تمهيد: مفهوم الإعجاز وتجلياته:

مما لا مجال للشك فيه أن عهد نزول القرآن في حياة العرب يمثل ذروة اهتمام المجتمع القبلي في الجزيرة العربية ببلاغة الكلمة وفصاحة المنطق، ودقة الحس البياني، أكثر من أي وقت مضى، فليس غريبا عنا ما كانت توليه القبيلة من احترام لأصحاب اللسان الفصيح والحس المرهف، فترى الشاعر سيف القبيلة الناطق، الذي تجرده بوجه أعدائها، وتقدمه درعا واقيا يرد عنها سهام الكلام، حتى إن أبياتا من الشعر قد تفوق حد الحسام، وطعن السنان.

ومن دلائل عنايتهم بالأدب، اجتماعهم بسوق عكاظ، حيث يتنافسون في حلبة البلاغة، ويتبارزون بسيوف الفصاحة، تشد إليه الرحال، وتعقد عليه الآمال، كل ذلك كان يعمق في الجزيرة العربية، حقيقة كونها مجتمع الكلمة، الذي لم يعرف اللحن له طريقا، وجاء القرآن، كلام الله المجيد، ينشر من أريجه عطر القداسة، ويضم بين دفتيه ما يوقظ العقول، وينعش الأرواح جاء ليتحدى كبرياء الكلمة في عقر دارها، وشموخ البيان في عنفوانه.

مفهوم الإعجاز:

يقول حسن العطار (ت:1250 ه):" فتُطلق كلمة الإعجاز في الأصل على إثبات العجز، ثُمّ نُقلت الكلمة لإظهار صدق الرُسل –عليهم الصلاةُ والسلام–من خلال تأييدهم بالمُعجزات". [1]

وقد عرفه مالك بن نبي (ت:1393ه) حيث قال:" بأن الإعجاز القرآني بالنسبة إلى شخص الرسول الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها، وبالنسبة إلى الدين من وسائل تبليغه". [2]

وقد عرّفه صلاح الخالدي (ت:1443ه):" بسلب القدرة على معارضته حيث قال:" هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفّر ملكيّتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحدّيهم وتقرير عجزهم عن ذلك". [3]

والباحث يرجح تعريف مالك بن نبي لأنه أشمل تعريف أحاط بجوانب الإعجاز المتعددة، واستيفاء لنواحيه المختلفة، وهذا التعريف يضيف على مفهوم الإعجاز صفة لا بد أن يكون في مستوى إدراك الجميع، وإلا فاتت فائدته؛ إذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق إدراك الخصم، فهو ينكرها عن حسن نية أحيانا، كما يكون هذا التعريف شاملا لأوجه الإعجاز في كل زمان ومكان.

---

1 – حسن العطار، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، 294/1. بتصرّف.

2 – مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة شاهين، دار الفكر، ط:4، ت: 2000م، دمشق. ص:64.

3 – صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره، دار عمار، ط:1، ت:2000م، الأردن، ص:17.

يقول السيوطي (ت: 911هـ): "في تعريف المعجزة في المفهوم العقدي، هي: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية، لبلادتهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة كانت عقلية، لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم". [1]

ويرى سعيد فاندي أن الإعجاز والمعجزة صيغتان لمدلول واحد وذلك في قوله:" المعجزة والإعجاز صيغتان لمدلول واحد روعي في الأول ثبات الاسمية، وروعي في الإعجاز حركة المصدر، فإذا أردت أن ترسخ الدلالة آثرت استخدام "المعجزة"، وإذا أردت إظهار الأثر استعملت "الإعجاز". [2]

المعجزة في القرآن الكريم:

إن لفظة "المعجزة " أو" الإعجاز" لم ترد في القرآن، يقول مصطفى مسلم(ت:1442هـ):" لم يرد استعمال مصطلح "معجزة" ولا "إعجاز" في القرآن الكريم ولا في السنة، ولم يكن معروفاً هذا الاصطلاح في عهد النبوة، والصحابة، والتابعين، إنما عُرف في أواخر القرن الثاني". [3]

إن الإعجاز القرآني هو: بيان روائع هذا الكتاب الخالد، يقول فضل حسن عباس (ت: 1432هـ): "تعدّ مسألة الإعجاز القرآني من أبرز المسائل القرآنية التي بحثها العلماء قديمًا وحديثًا على اختلاف أزمانهم، وليس الهدف من قضية الإعجاز في القرآن الكريم ردّ شبهات الحاقدين ودحض جهالات الجاهلين، وإنما كانت كتب الإعجاز تحمل في كل عصرٍ وزمن الجديد للناس".[4]

ولا شك أن العبرة بأصالة المفهوم لا بملفوظ المصطلح، وقد أطلق القرآن الكريم على المعجزة عدّة مسمّيات منها:

1-الآية: في صدد إعطاء الدلائل للرسل -عليهم السلام- لمحاجات الأقوام، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام:109]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الشعراء:197].

---

1 – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: صلاح الدين أرقدان، دار النفائس، ط:1 ت:1985م، بيروت.3/4.

2 – سعيد فاندي، دراسات في الإعجاز القرآني، منشورات جامعة الجبل الغربي، ط:1، ت: 2012م، ليبيا. ص:5.

3 – مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، دار المسلم، ط:1، ت:1996م، السعودية. ص:13.

4 – فضل حسن عباس، لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار النفائس، ط:1، ت:2016م، ص: 6. بتصرّف.

2-البيّنة: هي: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية، قال الله تعالى: على لسان موسى -عليه السلام- قال لفرعون: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:105].

3-البرهان: هو: بيان الحجة وهو أوكد الأدلة، ويقتضي الصدق لا محالة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ [النساء:174].

4-السلطان: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم:11]، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾ [النساء:153].

والباحث يرى إن هذه المقاربات تنوعت في الدلالة على معنى المعجزة، فدلت كل كلمة على ملحظ من سطوع البرهان، وقوة الأثر لهذا الكتاب العظيم.

شروط الإعجاز:

هناك من يرى أن اهتداء الناس بالقرآن دليل على أنه معجزة، يقول الباقلاني(ت:403هـ):" وثبت إعجازهُ بعدم القُدرة على الإتيان بمثله مع توفّر الأسباب والدّواعي التي تُوجب الفعل والإمكان، الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا -ﷺ- بنيت على هذه المعجزة، فمن ذلك قوله تعالى:﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[إبراهيم:1]، فأخبر أنه أنزله ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة". [1]

ويرد عبد الكريم الخطيب(ت:1428هـ) على الباقلاني بقوله:" كل ما أنزل الله من كتب يقع بها الاهتداء كما قرر القرآن نفسه لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران:3-4]، فليس إعجاز القرآن من هذا الوجه، فكل رسالات السماء قائمة على هذا المقصد".[2]

ويقول القرضاوي(ت:1444هـ):" ولكي يتم الإعجاز ويتحقق التسليم به لا بد من توافر الشروط الثلاثة في الأمر المعجز: **الأول:** أن يوجد التحدي به، فهو: الذي يدفع إلى المعارضة من الخصم، وبغير هذا لا يكترث أحد لدعواه، على خطورتها، **الثاني:** أن يوجد المقتضي للمعارضة من الخصوم، كالدفاع عن معتقداتهم، وما ورثوه عن آبائهم، وما تواضعوا عليه من نظم حياتهم، وقواعد عباداتهم ومعاملاتهم. فمن جاء بدعوة تعارض هذا كله، وتسفه كل ما هم

---

1 - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، ط:5، ت:1997م، مصر. ص: 9. بتصرّف.

2 - عبد الكريم الخطيب، الإعجاز القرآني في دراسات السابقين، دار الفكر، ط:1، ت:1974م، دمشق. ص:196.

عليه، وترميهم بالضلال والغي، كان من الطبيعي أن توجد البواعث لمعارضته، وخصوصا عند تحديهم.

الثالث: أن تنتفي الموانع من معارضته، وإذا لم يتقدم أحد لمعارضته، لم يثبت الإعجاز بذلك، لوجود الموانع التي تمنع القادرين على المعارضة من مقابلة التحدي لبعد مكانهم منه، وقد توافرت هذه الشروط الثلاثة في إعجاز القرآن". [1]

مراحل التحدي:

وقد جرت سنة الله تعالى كما قضت حكمته أن يجعل معجزة كل نبي مشاكلة لما يتقن قومه ويتفوقون فيه، ولما كان العرب قوم بيان ولسان وبلاغة، كانت معجزة النبي-ﷺ- الكبرى هي: القرآن الكريم، لقد تحدى الله العرب -وهم أهل الفصاحة-؛ بل العالم بالقرآن كله على رؤوس الأشهاد في كل جيل، وجاء التحدي للعرب على ثلاثِ مراحل:

المرحلة الأولى: تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام، فقال تعالى:﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور:34].

المرحلة الثانية: ولما كبلهم العجز عن هذا، فلم يفعلوا ما تحداهم، فجاءهم بتخفيف التحدي، فتحداهم بعشر سور، فقال تعالى: ﴿أَم يَقولونَ افتَراهُ قُل فَأتوا بِعَشرِ سُوَرٍ مِثلِهِ مُفتَرَياتٍ وَادعوا مَنِ استَطَعتُم مِن دونِ اللَّهِ إِن كُنتُم صادِقينَ﴾ [هود:13].

المرحلة الثالثة: ثم أرخى لهم حبل التحدي، ووسع لهم غاية التوسعة فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، ولو من قصار السور، فقال تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:38].[2]

ويرى الباحث أن مراحل التحدي أربع؛ إذ تعد آية البقرة مختلفة عن آية يونس فهي الترقي في التحدي بأن يأتوا ولو بخصيصة واحدة من خصائص الإعجاز في سورة واحدة، وذلك بإضافة حرف " من" ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:23]

والكافرون يعلمون هذه الحقيقة، فيحرصون على ألا يخلوا بينهم وبين القرآن الكريم، وقد سجل عليهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وقالَ الّذينَ كفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهّذَا القُرْآنِ وَالْغَوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:26].

القول بالصَرْفَة:

1 – يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ دار الشروق، ط:5، ت:2006م، القاهرة. ص:38.

2 – مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط:3، ت:2000م، القاهرة. ص:219.

وتعني الصرفة في الاصطلاح: أن الله صرف همم الناس عن معارضة القرآن، وكان في مقدورهم، لكن عاقهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك، لجاءوا بمثله. [1]

يقول الخطابي (ت:388هـ):" هي: صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدورا عليها، وغير معجزة عنها، إلا أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات".[2]، أي: أن الصرف أو المنع الذي سماه الخطابي عائقا لما كان أمراً خارجاً عن العادة صار هو المعجز لا القرآن.

وعرف الشريف المرتضي(ت:436هـ) الصرفة بقوله:" أن الله سلبهم العلوم، وكل من رام المعارضة، وفكر في تكلفها، في الحال العلوم التي يتأتى منها، مثل فصاحة القرآن وطريقته في النظم". أي: أن الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في المعارضة، ليجيئوا بمثل القرآن".[3]

ويرى الرافعي (ت:1356هـ) بأن القائلين بالصرفة لا يختلف قولهم عن قول المشركين فقال:" وعلى الجملة فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:24]، وهذا زعم رده الله على أهله وأكذبهم فيه وجعل القول به ضربا من العمى قال تعالى:﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور:15] فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد".[4]

والصرفة قول ورد إلى الفكر الإسلامي من الفلسفة الشرقية القديمة، يقول محمد أبو زهرة(ت:1394هـ):" وإنَّ بعض المتفلسفين من علماء المسلمين اطَّلعوا على أقوال البراهمة في كتابهم "الفيدا" وهو الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار، ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم، ويقول جمهور علمائهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها؛ لأنَّ براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها". [5]

ويضيف قائلا:" وإنَّ رواج تلك الفكرة يؤدي إلى أمرين: أولهما: إنَّ القرآن الكريم ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع محاكاته، وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتي بمثله، فالعجز

---

1 – محمد ابن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ط:1، ت:1972م، بيروت. 93/2.

2–الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف، دار المعارف، ط:3، القاهرة. ص:22.

3 – الشريف المرتضي، الموضح من جهة إعجاز القرآن "الصرفة"، تحقيق محمد رضا، مؤسسة الرضوية، ط:1، ت:2004م، بيروت. ص:35–36.

4 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط:3، بيروت. ص:146.

5 – محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ط:1، ت:1998م، القاهرة. ص:57.

ليس من صفات القرآن الذاتية، وثانيهما: الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شيء في بلاغته، أو في معانيه". [1]

وقد نسب القول بالصرفة إلى بعض المعتزلة، وكان أول من صرح بها منهم: إبراهيم بن سيار الشهير بالنظام(ت:224هـ)، الذي زعم أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم؛ لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات. قائلا:" إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته، ليست بمعجزة للنبي -ﷺ-ولا دالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه، ما فيه من الإخبار بالغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته، فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم، والتأليف".[2]

وقد تابع النظام على رأيه هذا هشام الفوطي(ت:226)[3]، وعيسى بن صبيح (ت:226هـ)[4]، ونسب إليه القول بأن:" الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وبما هو أفصح منه"[5]

ويرد السيوطي على هذا الزعم بقوله:" وهذا قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء:88]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره".[6]

والصرفة عند الجاحظ(ت:255هـ) ضرب من التدبير الإلهي، والعناية الربانية، جاءت لمصلحة المسلمين حتى يحفظ القرآن من عبث العابثين، وتشكيك المشككين، الذين يمكنهم أن يخدعوا الناس، ويزوروا أمامهم الحقائق".[7]

وجوه إعجاز القرآن:

لقد كشف القرآن الكريم للباحثين في وجوه إعجازه عن بحار ليس لها ساحل، وغاصوا في لجج ليس لها قاع، وكل عاد بلؤلؤة كريمة، أو عقد نظيم وبقيت ثمة خزائن تفوق الحصر لم

---

1 – م ن، ص:55.

2– عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق مجدي السيد، دار التوفيقية للتراث، ط:1، ت:2010م، القاهرة. ص: 128– 150، بتصرف.

3 – أحمد بن يحي المرتضى، طبقات المعتزلة، ط:1، ت:1961م، بيروت. ص:69.

4 – م ن، ص: 70.

5 – عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبد الكريم، ت:1980م، تونس. ص: 52–65.

6 – الإتقان في علوم القرآن، 6/4.

7 – عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، منشورات مصطفى البابي الحلبي ط:2، ت:1965م، القاهرة. 85/4–89.

يلجها الوالجون وكنوز لا يطيقها إحصاء، لم تمتد إليها الأيدي، تفنى الدنيا ولا تفنى، ويبلى كل جديد ولا تبلى.

لقد اعتنى علماء الأمة بموضوع الإعجاز في القرآن، وحاولوا استقراء كل وجوه الإعجاز من دون تجاوز حد الاعتدال والاتزان في ذلك بحسب شروط العلم، وتختلف أنواع الإعجاز القرآني، وتتنوع لتشمل عددا من المجالات، منها:

الإعجاز البياني:

إن الإعجاز البياني هو أساس كلِّ إعجاز قرآنيّ، يقول عبد الصبور شاهين(ت:1430هـ): "أنَّه مهما اختلفت الأقوال في شأن أوجه إعجاز القرآن، ومهما استجدّت الآراء؛ فإنَّ الإعجاز البياني هو أساس كلِّ إعجاز قرآنيّ، ففي بيان القرآن تستكنّ كل وجوه إعجازه الأخرى الصحيحة، وعلى أساس ما ندرك من تراكيبه ومفرداته يكون تصوُّرنا لآيات الله تعالى في مضمونها الذي نبحث عنه، وحيث إن الإعجاز القرآني سابقٌ للتحدِّي به، يجوز أن نقول: الإعجاز لازمٌ، والتحدّي طارئٌ، ولا بد أن نقرّر هنا أنَّ مفهوم الإعجاز كان قائمًا ووارِدًا من أول يوم نزلت فيه الآيات الأولى من سورة العلق". [1]

ويقول سعيد فاندي:" إن الصورة البيانية وسيلة أسلوبية، لإظهار المعنى وتوضيحه مع الإمتاع، وإثارة الإحساس بالجمال في نفس المتلقي، لذلك فإن الأدب يترقى كلما كان قادرا على تحويل الفكرة إلى صورة مجسمة في الذهن، مختلطة بالشعور"، إلى أن قال:" والأسلوب القرآني حافل بالصور، من ذلك قوله تعالى في تصوير استواء المؤمن وتعثر الكافر:﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾".[الملك:22] [2]

ومن أجل إظهار صفات الفضائل جعلت الصورة القرآنية للذل جناحا من الحنو في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء:24]".[3]

إن القرآن الكريم يختلف في نَظْمِه عن النثر والشعر؛ ولكنه في الوقت ذاته يجمع من خصائصهما ما يُحَيِّر السامع له، ولإعجاز النَّظْم في القرآن الكريم عدَّة مظاهر تتجلَّى فيها.[4]

---

1 – عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبة النافذة، ط:1، ت: 2006م مصر. ص:83-84.

2 – دراسات في الإعجاز القرآني، ص:106.

3 – م ن، ص:106.

4 – محمد السيد شيخون، مظاهر إعجاز النظم في القرآن الكريم، مكتبة الكليات الأزهرية، ط:1، ت:1978م، مصر. ص:73-74. ور: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): إعجاز القرآن البياني، دار المعارف، ط:2، ت:1971م، مصر. ص:95.

أولًا: خصائص الإعجاز البياني:

تميّز القرآن الكريم بخصائص مُتعلِّقة بأسلوبه البيانيّ والدلالي، وفي هذا الشأن يبين عبد العظيم المطعني (ت: 1429هـ) فيقول:" ومن هذه الخصائص ما يأتي: 1-القَصد في اللفظ والوفاء بحقّ المعنى وهي خاصّية انفرد بها القرآن عن غيره من الكُتُب كافّة؛ فهو يُعبّر عن أكبر قَدْر من المعاني في أقلّ عدد من الألفاظ. 2-الخطاب العامّ والخاصّ إذ راعى القرآن اختلاف أفهام الناس وعقولهم؛ فهو يحتوي على الخطاب الذي يفهمه الناس جميعهم، والخطاب الذي لا يفهمه إلّا أهل العلم والاختصاص وذوي العقول. 3-الاقناع العقليّ والإمتاع العاطفيّ إذ يُوفي القرآن بحاجة هذَين العنصرَين في نفس الإنسان، دون أن يكون هناك نقص في أيّ منهما. 4-البيان والإجمال فيُفصّل القرآن القصص والأحداث في بعض مواطنه، ويُوجز في مواطن أخرى، وكلّ ذلك بحكمةٍ وعلمٍ من الله".[1]

ويقول محمد سعيد البوطي(ت:1433هـ):" لا تجد هذا التفاوت في كتاب الله تعالى، فأنت تقرأ آيات منه في الوصف، ثم تنتقل إلى آيات أخرى في القصة، وتقرأ بعد ذلك مقطعا في التشريع وأحكام الحلال والحرام، فلا تجد الصياغة خلال ذلك إلا في أوج رفيع عجيب من الإشراق والبيان. وتنظر فتجد المعاني كلها لاحقة بها شامخة إليها، ودونك فاقرأ ما شئت من هذا الكتاب المبين متنقلا بين مختلف معانيه وموضوعاته ".[2]

وفي جمال اللفظ، وعمق المعنى ودقَّة الصياغة وروعة التعبير، يقول سامي حريز (ت:1436هـ):" إن الأسلوب القرآني يَجْرِي على نسق بديع خارجٍ عن المعروف من نظام جميع كلام العرب، فالفنون التعبيريَّة عندهم لا تَعْدُو أن تكون شعرًا أو نثرًا، ولكن القرآن شيء آخر؛ فلننظر إلى قوله تعالى: ﴿حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[فصلت: 1-5]

كما أن الأسلوب القرآني يظلُّ جاريًا على نسق واحد من السموّ في جمال اللفظ، وعمق المعنى ودقَّة الصياغة وروعة التعبير، رغم تنقُّله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص والمواعظ والحِجج والوعد والوعيد، وتلك حقيقة شاقَّة، بل لقد ظلَّت مستحيلة على الزمن لدى فحول علماء العربيَّة والبيان".[3]

ثانيًا خصائص جمالية المفرَدَة:

---

1 – عبد العظيم المطعني، مظاهر الإعجاز البياني، مكتبة وهبة، ط:1، ت:1992م، القاهرة. 1/163-164.

2 – محمد سعيد البوطي، روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:1999م، بيروت. ص:114.

3 – سامي حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط:1، ت:2006م، عمان. ص:65.

إن المفردة القرآنية يدرك جمالها ودقتها عند النظر في انسجامها مع سياقاتها في الجمل

يقول سامي حريز:" من أهمِّ مزاياها وخصائصها جمال وقعها في السمع، واتِّساقها الكامل مع المعنى، واتِّساع دلالتها لما لا تتَّسع له عادةً دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات، وقد نجد في تعابير بعض الأدباء والبلغاء كلمات تتَّصف ببعض هذه المزايا والخصائص، أمَّا أن تجتمع كلها معًا وبصورة مطَّرِدَة لا تتخلَّف أو تشذُّ فذلك ممَّا لم يتوافر إلاَّ في القرآن الكريم".[1]

ومن دلائل جمال المفرَدَة القرآنيَّة وتجليها ما ورد في وصف الليل والصبح في قوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 17-18]، يقول تمام حسان (ت:1432هـ):" ففي هاتين الكلمتين: "عَسْعَسَ"، و" تَنَفَّسَ" تشعر أنهما تبعثان في خيالك صورة المعنى محسوسًا مجسَّمًا دون حاجة للرجوع إلى معاجم اللغة؟! وهل في مقدورك أنْ تُصَوِّر إقبال الليل وتمدُّده في الآفاق المترامية بكلمة أدقَّ وأدلَّ من "عَسْعَسَ"؟! وهل تستطيع أن تُصَوِّر انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من "تَنَفَّسَ، ولا أعني بذلك الكلمة القرآنية المفردة، وإنما مكانة الكلمة في النظم القرآني المعجز لأن قيمة المفردات ليست ذاتية وإنما تعود قيمتها إلى مكانها من النظم المعجز الأخاذ، ومعلوم أن التحدي لم يحصل بالكلمة بل أقل ما حصل بسورة".[2]

ثالثًا: خصائص الانسجام في الجملة:

إن الجملة القرآنية مع إيجازها دقيقة، دالة على تمام المعنى بمنطوقها ومفهومها وإيحائها يقول دراز(ت:1377هـ):" نجد الجملة القرآنيَّة تدلُّ بأقصر عبارة على أوسع معنى تامٍّ متكامل، لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلاَّ بأسطر وجمل كثيرة، دون أن تجد فيه اختصارًا مُخِلًا، أو ضعفًا في الأدلَّة. [3]

يقول الباقلاني:" تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضًا في اللطف والبراعة، ممَّا يتعذَّر على البشر ويمتنع".[4]

وكذلك إخراج الجملة القرآنية للمعنى المجرَّد في صورة حسية ملموسة، ببثِّ الرُّوح والحركة فيها، يقول تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:17]، يقول محمد أبوزهرة:" إنه يُصَوِّر لك هذا المعنى في

---

1 – م ن، ص:71.

2 – تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط:1، ت،1993م، بيروت. ص:289.

3 – محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، تحقيق: أحمد فضلية، دار القلم، ط:10، ت:2008م، القاهرة. ص:153.

4 – الباقلاني، إعجاز القرآن، ص:42.

مظهر من الحركة المحسوسة الدائرة بين عينيك؛ حيث شبَّه حال المنافق المضطرب بين الحقِّ والباطل بالأعمى الذي لا يبصر".[1]

ويقول سامي حريز:" ونجد ذلك واضحًا في التلاؤم والاتِّساق الكاملين بين كلماتها، وبين حركاتها وسكناتها؛ فالجملة في القرآن تجدها دائمًا مؤلَّفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لتألُّفها السمع والصوت والمنطق، ويتكوَّن من تضامِّها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان لِيَتِمَّ لو نقصت من الجملة كلمةٌ أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال، فاقرأ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:11-12]، وتأمَّل تناسق الكلمات في كل جملة، بل وتناسق الحروف قبل الكلمات، وعن هذا التناسق البديع بين الجمل والكلمات".[2]

ولا يقتصر الإعجاز على الجانب البياني فقط يقول محمد متولي الشعراوي (ت:1418هـ):" والقرآن الكريم ليس إعجازا في البلاغة فقط. ولكنه يحوي إعجازا في كل ما يمكن للعقل البشري أن يحوم حوله. فكل مفكر متدبر في كلام الله يجد إعجازا في القرآن الكريم. فالذي درس البلاغة رأى الإعجاز البلاغي، والذي تعلم الطب وجد إعجازا طبيا في القرآن الكريم. وعالم النباتات رأى إعجازا في آيات القرآن الكريم، وكذلك عالم الفلك".[3]

ويقول سعيد فاندي:" ولما كان البيان مجال نبوغ عند العرب، صار أشمل وجه وقع به التحدي، وذلك لا ينفي قيام وجوه إعجازية أخرى في القرآن غيبية، وروحية، وعلمية، وتشريعية، كما عم التحدي بتلك الوجوه المتعددة جميع الناس بل الجن كذلك".[4]

الإعجاز العلمي:

هو إخبار القرآن الكريم بالحقائق والمعلومات الدقيقة المرتبطة بالظواهر الكونية المختلفة كأسرار الفضاء، والبحار، والجبال وغيرها، والتي لم يكن ممكنا إدراكها في زمن نزول القرآن ولم يتم إثباتها إلا بالعلم الحديث فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن ليكون كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان، وأودع فيه من الحقائق العلمية ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، يتميز بأسلوبه الرائع والمختصر في عرض الحقيقة العلمية، وفي كلمات قليلة نجد حقائق علمية غزيرة، وهنا يكمن الإعجاز.[5]

---

1 – محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، ص:272.

2 – نظرات من الإعجاز البياني في القرآن، ص:71.

3 – الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، ت:1991م، القاهرة. 38/1.

4 – دراسات في الإعجاز القرآني، ص:27.

5 –يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي، مكتبة ابن حجر، ط:2، ت:2003م، دمشق. ص:417.

وقد جاء التعبير عن تلك الحقائق في صورة إشارات حتى لا يلتبس فهمها على الأولين الذين لم يدركوا تلك الحقائق العلمية، وقد قال زغلول راغب النجار من قبل:" إن الإشارات الكونية في القرآن هي من ضرب المثل، لا من قبيل الحصر؛ لأن الكشف العلمي والمعرفة الإنسانية بالكون ومكوناته جعلها الله سبحانه وتعالى في داخل نطاق القدرة الإنسانية". [1]

يقول سعيد فاندي:" جاء الإكتناز بالإشارة للحقائق العلمية حتى لا تكون من قبيل الرمز الأدبي، وتلك حقيقة لا تغيب عن العلماء الأدباء، ولا عن الأدباء العلماء، وإن كانت قد تغيب عمن وقف على شاطئ العلم أو عمن تمسك بعدوة الأدب، إذن هي إشارات وحقائق، حتى لا ندعي بأنها مفصلات العلم أو نظرياته".[2]

ونجد محمد مصطفى المراغي (ت:1364هـ) لا يرضى عن هذا المسلك فيقول:" يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها".[3]

ولا يكاد عباس محمود العقاد (ت:1383هـ) يسلم بأهمية الإعجاز العلمي، لكون أكثر الآراء العلمية في دائرة النظرية، وليست حقائق ثابتة فيقول:" من الخطأ أن نتلقى كل نظرية علمية كأنها حقيقة دائمة نحملها على معاني القرآن؛ لأن النظريات العلمية لا تثبت على قرار بين جيل وجيل".[4]

ويقول أحمد محمد الغمراوي(1435هـ):" أنه لا ينبغي في فهم الآيات الكونية في القرآن أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز، إلا إذا كانت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ، وتحمل على المجاز، كما لا ينبغي ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفروض ولا بالنظريات التي لا تزال موضع فحص أو تمحيص".[5]

لذلك يحترس سعيد فاندي من التوسع في هذا المجال متمسكا بالشروط والضوابط التي تستدعي أن تكون الظاهرة الكونية المشار إليها حقيقة وليست نظرية محتملة فيقول:" ومن شروط اعتماد الإشارات العلمية أن تكون متضمنة في دلالة القرآن، وليست مقحمة بخاطر المفسر أو ما يأخذ بعقله من حقيقة علمية لا يدل عليها لفظ الآية ولا تركيبها".[6]

وأضاف أن من ضوابط التفسير الذي يكشف عن إعجاز العلم في القرآن:" ألا تصادم الحقائق العلمية سياق الآية القرآنية بأن يقطع جزءا منها فيستدل بها على إشارة علمية تكون

---

1 – زغلول النجار، آيات من الإعجاز العلمي للقرآن، مكتبة الشروق، ط:3، ت:2002م، القاهرة. ص:42.

2 – دراسات في الإعجاز القرآني، ص:197.

3 – عبد العزيز إسماعيل، الإسلام والطب الحديث، مطبعة مصر، ط:2، ت:1959م، مصر. ص:136.

4 – عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار الهلال، ط:2، ت:2006م، القاهرة. ص:157.

5 –أحمد الغمراوي، سنن الله الكونية، مكتبة لجنة التأليف والترجمة، ط:1، ت:1936م، السعودية. ص:6.

6 – دراسات في الإعجاز القرآني، ص:197.

مصادمة لجزء آخر من الآية، أو مضادا لمعنى آية أخرى في المعنى ذاته، وألا يعارض ما يدل على الإشارة العلمية ما صح من الشرع عن النبي من صريح القرآن وصحيح السنة، وأن تكون الإشارات العلمية الإعجازية للقرآن غير دالة على نظرية محتملة، بل مثبتة على أنها حقيقة من حقائق العلم، ويلزم أن توافق السياق القرآني".[1]

والإشكالية التي تبرز في هذا الضرب من الإعجاز في كونه يقتضي التحدي.

فكيف يقع التحدي بحقائق اكتشفها من تلقى القرآن في هذا العصر؟ ثم كيف يتحقق الإعجاز في هذا الضرب وهو لا يشمل جميع الآيات القرآنية، كالإعجاز البياني الذي يسود القرآن كله؟

والإجابة عن الشق الأول من الإشكالية أن التحدي للإنسان بحقائق العلم يرجع إلى أسبقية القرآن في الإشارة إليها، وأمية الرسول -ﷺ-، والإجابة عن الشق الآخر من الإشكالية أن الإعجاز العلمي وما شاكله من غير الوجه البياني، إعجاز جزئي يتحقق به قدر من الإعجاز لا يوجد في كتاب غير القرآن الكريم، متظافرا مع الوجوه الإعجازية الأخرى، ولو لم يسد في جميع الآيات.

الإعجاز التَّشريعي:

ويقرر محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ) بأن الإعجاز التشريعي يعد وجها من وجوه الإعجاز، وذلك في رده على اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية بمصر فقال:" ولا شك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ، ولم يكتب، ولا نشأ في بلد علم، أن يأتي بمثل ما في القرآن منها تحقيقا وكمالا، ويؤيده بالحجج والبراهين بعد أن قضى ثلثي عمره لا يعرف شيئا منها، ولم ينطق بقاعدة ولا أصل من أصولها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون ذلك وحيا من الله". [2]

ويبرز فتحي رضوان(ت:1408هـ) شمولية الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن، فيقول:" سمو التشريعات القرآنية وشمولها وكمالها إلى الحد الذي تعجز عنه كل القوانين البشرية مهما بلغت".[3]

ويؤكد سعد الدين صالح (ت: 1435هـ) أهمية التشريع الإسلامي واهتمامه بجميع نواحي الحياة، ويعد معجزة، فيقول:" وما يدل على عظمة التشريع القرآني وإعجازه، عجز البشر جميعا عن الإتيان بمثله، فهو يتناول الحقوق المدنية، والأحوال الشخصية، ويرسم صُورة للعلاقات الدَّوليَّة، ويضع نظامَ الحرب والسلم، ويضع نظامًا للعلاقات الماليَّة والسياسيَّة وهكذا، تشريعٌ مُتكامل لا يَترك من أُمُور الحياة صغيرة ولا كبيرة إلاَّ عالَجها وقنَّن لها".[4]

---

1 – م ن، ص:198–200.

2 –محمد رشيد الرضا، تفسير المنار، دار المعرفة، ط:2، بيروت. 207/1.

3 – فتحي رضوان، من فلسفة التشريع الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، ط:1، ت:1975م، بيروت. ص:8.

4 – سعد الدين صالح، المعجزة والإعجاز في القرآن، دار المعارف، ط:2، ت:1993م، القاهرة. ص:219.

ويقر العقاد بهذا النوع من الإعجاز فيقول:" فعندي أن وجه الإعجاز في كتاب رب العالمين، يرجع إلى خلود الرسالة التي جاء بها هذا الكتاب وما فيه من هدى، ونور وصلاح وإصلاح للبشرية جمعاء في إسعاد الفرد والجماعة".[1]

يقول القرضاوي:" إن الإعجاز التشريعي هو: الذي تضمن أعظم التعاليم، وأقوم المناهج لهداية البشرية إلى التي هي أقوم، في تزكية الفرد، وإسعاد الأسرة، وتوجيه المجتمع، وبناء الدولة، وإقامة العلاقات الدولية على أمتن الدعائم".[2]

وبعد دراسة معمقة لإعجاز القرآن وضروبه خلص البوطي إلى:" أن التشريع القرآني منهج متكامل للحياة الإنسانية، وبأنه من أجل مظاهر الإعجاز فيه".[3]

وحيث إن التشريع الإسلامي موصول اللحمة بالعقيدة الإيمانية، يبين سعيد فاندي مظاهر الإعجاز التشريعي، في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، ويقول:" إن المتعمق في البنية التشريعية للقرآن يتحقق من أنه مرب للنفس قبل أن يكون معاقبا لها، محققا لمصلحة الفرد والمجتمع في مثالية القيم السامية، وواقعية الحياة الطيبة، يوائم بين الغاية الحضارية النهضوية المزودة بالأمن والسلم وبين مدافعة الظلم والعدوان".[4]

الإعجاز التأثيري:

يقول الزمخشري(ت:538هـ):" تحسسا لما تدل عليه عناصر الصورة من مثارات مشاعر المؤمن والكافر فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة".[5]

يقول ابن القيّم(ت:751هـ):" ما يقع من التأثير في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة والنفوس خشية، وتستلذ الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع، سواءً أكانت فاهمة لمعانيه أم غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، وسواءً أكانت كافرة بما جاء به أم مؤمنة".[6]

---

1 –العقاد، الإسلام دعوة عالمية، دار الكتاب اللبناني، ط:4، ت: 2005م، القاهرة. ص:175.

2 – القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، ط:6، ت: 2009م، القاهرة. ص: 41.

3 –البوطي، من روائع القرآن، ص:159.

4 – دراسات في الإعجاز القرآني، ص:272.

5 – محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتاب العربي، ط:3، ت:1987م، بيروت.3/ 155.

6 – محمد بن أبي بكر ابن القيم، الفوائد، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، ط:1، ت:1998م، القاهرة. ص:15-17.

يقول الجرجاني(ت:816هـ):" تتصل نشأة هذا الوجه الإعجازي للقرآن الكريم نفسه اتصالا مباشرا، أشار إليه السابقون، ويتمثّل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه، أو قارئه ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به".[1]

وعن تأثير القرآن الكريم في من يواجه نصوصه، يقول سيد قطب(ت:1385هـ):" إن في هذا القرآن، سراً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحسن بمجرد الاستماع لهذا القرآن يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره".[2]

ويتساءل عن سر ذلك قائلا:" أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعّها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميّز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللّغة؟، أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟

ثم يجيب عن ذلك بقوله:" ذلك سر مودع في كلّ نصّ قرآنيّ، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبّر والنّظر والتّفكير في بناء القرآن كله".[3]

ويبين الخالدي تأثير القرآن في القلوب فيقول:" إن تأثير القرآن الكريم في القلوب قد بلغ مبلغاً عظيماً، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعتريهم هيبة وتهيمن عليهم عظمته، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرّعهم عن ضلالهم ويقيم عليهم حججاً لا معقّب لها فيستثقلون سماعه ويتولّون عنه بنفور مدبرين كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ [الإسراء:41]، وقال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ [الإسراء:46]، هو تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية عندما تسمعه، وتفاعلها معه حتى لو كانت نفساً كافرة".[4]

وفي شأن تأثير القرآن يقول سعيد فاندي:" ولقد حقق القرآن استجابة المتلقين لنصه، بتنوع مشاهده، وتوحيد مقاصده، فصارت آياته وسوره مؤثرة عند تفرقها بما تصوره من معان متعينة، وهي مؤثرة فوق ذلك كله عند اجتماعها بما تبسطه من تتمات لدوائر معنوية متصلة

---

1 – علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، ت:1983م، بيروت. ص:9.

2 – سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط:17، ت:1992م، بيروت. 3399/5،

3 – م ن، 3399/5–3400.

4 – صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار المنار، ط:1، ت: 1993م، بيروت. ص:341–342

بالمقاصد العامة لهداية القرآن في العقيدة والشريعة والأخلاق في امتزاج منسجم مع التعبيرات الأدبية السائدة في جميع العبارات والإشارات العلمية المكتنزة في بعض الآيات".[1]

كان النبَّيُّ –ﷺ–يحبُّ استماع القرآن العظيم؛ وتطيب نفسه حين استماعه له، ويظهر أثر الاستماع عليه بالتَّأثُّر والخشوع والبكاء. ولا عجب من ذلك فهو أرقُّ النَّاس قلباً، وأسرعهم دمعة، وأعظمهم تأثُّراً بالقرآن الكريم، فقد كان أعرفَ الخلق بالله، وأشدَّهم له خشية. عن عبد الله بن مسعود(ت:32هـ) –ﷺ– قال: قال النبي –ﷺ–:" اقرأْ علَيَّ القرآنَ"، قلت: يا رسولَ اللهِ كيفَ أقرأُ عليك وإنما أُنزِل عليك قال: إني أشتهي أن أسمعَه من غيرِي" قال: فافتتحتُ سورةَ النساءِ فقرأت عليه فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴾ [النساء:41]، فقال: حسبك"، فنظرت إليه وعيناه تذرفانِ".[2]

فكم من عدو للرسول –ﷺ– من رجال العرب، أقبلوا يريدون اغتياله فسمعوا آيات القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحوّلوا عن رأيهم الأوّل وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم إيماناً.[3]

يقول محمد بن سعد(ت:230هـ):" فهذا عُمَر بن الخطاب(ت:23هـ) –ﷺ– الذي كان رأساً مِنْ رءوس الكفر يحارب كُلَّ مَنْ أَسْلَم، وعِنْدما عَلِم بإسلام أخته فاطمة وزَوْجِها سعيد بن زَيْد(ت:51هـ) – رضي الله عنهما– ذهب غاضباً لِلانتقام مِنْهُمَا، ولَمَّا دخل وجد معهما صحيفةً مِنَ القرآن فيها مِنْ أوَّل سورة طه حتى قوله تعالى:﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى﴾ [طه:14]، فأَسْلَم مِنْ فوره وتَغَيَّر سلوكه في كُلّ شئون حياته".[4]

ويقول محمد يوسف الكاندهلوي(ت:1384هـ):" وهذا سَعْد بن معاذ(ت:5هـ) –ﷺ– الذي كان مُشْرِكاً وعِنْدما عَلِم بقدوم مصعب بن عمير(ت:3هـ) –ﷺ– قَبْل الهجرة لِلدعوة إلى الإسلام، ذهب إليه ومعه حَرْبَتُه لِمَنْعِه وعِنْدما قرأ عَلَيْه مصعب –ﷺ– قوله تعالى:﴿حم وَالْكِتَبِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [الزخرف:1–3]. فأَسْلَم في حِينه –ﷺ– وأَسْلَم قومُه بإسلامه".[5]

---

1 – دراسات في الإعجاز القرآني، ص:100.

2 – محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط:3، ت:1987م، بيروت. كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، 1925/4، برقم:4762.

3 – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة الخطابي،70، ور: الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص:350.

4 – محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق زياد محمد منصور، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1990م، بيروت. 268/3.

5 – محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ت:1999م، بيروت. 171/1–170.

وخلص الباحث إلى أن الإعجاز التأثيري في القرآن هو وجه مستقل قائم بذاته من خلال بيانه للقدرة التأثيرية في القرآن على جميع مستويات الناس الثقافية والعقلية والاجتماعية، وكيف لا يتأثر الإنسان مهما كانت قسوته بالقرآن؟ إذا كان الحجر الجماد يتأثر، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21].

الإعجاز الغيبيّ:

يُقصد به الإخبار عن الغيبيّات التي تتعلّق بالماضي قبل مجيء الرسول-ﷺ-، أو تلك التي تتعلّق بالحاضر زمن نزول القرآن، أو تلك التي تتعلّق بأحداثٍ مستقبليّةٍ لم تكن حصلت في عهد الرسول-ﷺ- تلك التي ستحصل يوم القيامة، يستحيل على البشر التنبؤ بها، وذلك برهان ساطع ودليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام بشر، إنما هو كلام علام الغيوب.

وقال مكيّ بن أبي طالب (ت:437هـ):" ومن إعجازه ما فيه من علوم الغيب التي لم تكن وقت نزوله ثم كانت ومنها ما لم تكن بعدُ. ومنها ما كانت ولم يكن أحد يعرفها في ذلك الوقت، فنزل علمها وتفسيرها في القرآن؛ كخبر يوسف -عليه السلام- وإخوته، وخبر ذي القرنين، وأهل الكهف، وإخبار الأمم الماضية والقرون الخالية، التي قد اندرس خبرها وعدم عارف أخبارها، وغير ذلك... فنزل القرآن بتبيانها ونصها على ما كانت عليه".[1]

وقال ابن تيمية(ت: 728هـ):" وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة:2-3]، والغيب الذي يؤمن به: ما أَخبرَت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار فالإيمان بالله وبرسله يتضمن الإيمان بالغيب".[2]

ذكر محمد بن عبد الله الزركشي(ت:794هـ) في وجوه إعجاز القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة مما أخبر به بأنه سيقع فوقع، كما أخبر بانتصار الروم على الفرس، قال تعالى:﴿ الم غُلِبَتِ الرُّوم فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[الروم:1-4]، ولم يكن ذلك من شأن العرب. وكذا ما تضمَّن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكايةَ مَن شاهدها وحضرها، وذكر أنَّ هذين الوجهين مردودان بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها، وهو باطل

---

1 – مكيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: الشاهد البو شيخي، جامعة الشارقة، ط:1، ت: 2008م، الشارقة. 4286/6.

2 – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، ت: 1995م، المدينة المنورة، السعودية. 233/13.

فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها. ثم قال:" نَعَم، هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز؛ إلا أنه غير منحصر فيه".[1]

1 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/95– 96.

الفصل الأول: توصيف بشرية رسول الله -ﷺ-

المبحث الأول: تصوير طبيعة الرسول-ﷺ-

اقتضت حكمة الله بأن يرسل شرائعه بواسطة رسله -عليهم أفضل الصلاة والسلام-، وأن يكونوا من البشر، لأن كل جنس يأنس إلى جنسه، ليكونوا قدوة لهم حتى يسطع سنا الإسلام في ميادين العالم كافة.

إلا أن المنكرين لبعثة الرسل يعتقدون أن البشر لا يكونون رسلا من الله، وينفون الرسالة عنهم.

يقول عمر الأشقر(ت:1433هـ):" والذين استعظموا اختيار الله البشر رسلاً نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان، نظروا إليه على أنه جسد يأكل ويشرب وينام، ويمشي في الأرض لتلبية حاجاته ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:7]، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان، وهو تلك الروح التي هي نفخة من روح الله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]".[1]

ولمكانة الروح العالية يقول سيد قطب:" وبهذه الروح تميز الإنسان، وصار إنساناً، واستخلف في الأرض، وقد أودعه الله الاستعداد للاتصال به عن طريق تلك النفخة العلوية التي ميزته، فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس، صاحب استعداد للتلقي، فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق كلّما غام عليهم الطريق، وما يقدم به إليهم العون كلّما كانوا بحاجة إلى العون ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم:11]".[2]

فالذين كذبوا نوحا -عليه السلام- قد أنكروا جدارة البشر أن يكونوا رسلا ﴿فَقَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:24-25].

وكذلك صنع قوم عاد مع رسولهم هود -عليه السلام- ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً خَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: 33-34].

أما ثمود قوم صالح -عليه السلام- فإنهم مع إنكارهم جدارة البشر بالرسالة قد طلبوا " المعجزة" التي تدهش العقول قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[الشعراء:141-142]، لكنهم كذبوه ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[الشعراء:153-154] فلما جاءت الآية وهي "الناقة"، استمروا على تكذيبهم استنكارا منهم أن يكون بشر رسولا، ﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[القمر:24].

---

1 - عمر ابن الأشقر، الرسل والرسالات، دار النفائس، ط:4، ت: 1989م، الكويت. ص:69.

2 - في ظلال القرآن، 2552/19.

وعلى درب استنكار جدارة البشر بالرسالة سار أصحاب الأيكة[1]، عندما بعث الله إليهم شعيبا-عليه السلام-، قال تعالى وهو يصف وظيفة سيدنا شعيب-عليه السلام-:﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِين﴾[الشعراء:176-177]، ولكنهم كذبوه وردوا عليه، ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[الشعراء:185-186]، ثم طلبوا منه "المعجزة" التي تذهل العقل ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[الشعراء:187].

وبتلك المقولة نفسها رد فرعون على سيدنا موسى وهارون-عليهما السلام-، حكى الله عنهم فقال تعالى:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[المؤمنون: 45-47]. [2]

يقول محمد عمارة:" تلك كانت مسيرة الإنسانية مع رسالات السماء، فتعبيرا عن قصور هذه الإنسانية في الرشد العقلاني كان استنكار الأكثرية جدارة البشرية بالنبوة والرسالة، ولهذا رأينا القرآن الكريم وهو المعجزة العقلية الخالدة للرسالة الخاتمة يلح معالجا بقايا هذه الفكرة الجاهلية على بشرية محمد-ﷺ- ليعلن ويؤكد جدارة البشر بالاصطفاء الإلهي نبيا ورسولا، واستحالة أن يكون النبي والرسول إلا بشرا يوحي إليه، وانتهاء الطور الساذج من المسيرة التطورية للإنسان، الذي كانت تناسبه المعجزات التي تدهش العقل".[3]

الأدلة على بشرية الرسول -ﷺ-

لم تكن بشريته -ﷺ-موضع خلاف، ورغم ذلك ألح القرآن على تأكيد هذه البشرية، الأمر الذي جعل كبار العلماء يتساءل ما الحكمة من وراء ذلك؟

يتساءل محمد عمارة عن سبب إلحاح القرآن على بشرية محمد-ﷺ-، رغم أن هذه البشرية لم تكن موضع خلاف ولا موطن شبهات؟

ثم يجيب عن تساؤله بقوله:" فمن العرب من ردد مقولة الأمم السابقة ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الانبياء:3]، بل طلبوا ما طلبته الأمم السابقة ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[الأنبياء:5]

---

[1] -الأيكة هي الشَّجر الكثير الملتفّ، وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السَّلام، وهم أهل مدين. الشوكاني، فتح القدير،132/4.

2 - محمد عمارة، محمد -ﷺ-المصطفى المعصوم بشر يوحى إليه، ص:29.

3 - م ن، ص:32.

وأمام هذا المنطق الجاهلي توالت الآيات القرآنية التي تكشف زيف هذا المنطق، وبهذا يغلق القرآن الطريق على كل المحاولات التي يمكن أن تظهر من ضعاف العقول والإيمان، لتشكك في بشرية الرسول".[1]

قد يعتقد بعض الناس أن النبي خلق من نور، وليس بشريته كبقية الناس ويفند محمد دروزة هذا الاعتقاد بقوله:" إن النبي بشر، وبشريته مماثلة لبشرية الناس جميعا كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[الكهف:110].[2]

عن علي بن أبي طالب(ت:40هـ) -ﷺ-أَنَّ النَّبِيَّ-ﷺ- قالَ:" خَرجتُ مِن نِكاحٍ ولم أخرُجْ من سِفاحٍ من لَدُنْ آدَمَ إلى أن ولَدَني أبي وأُمِّي ولم يُصبْني مِن سِفاحِ الجاهلِيَّةِ شيءٌ".[3]

ويتحدث محمد عمارة عن شرف الرسول-ﷺ-قبل البعثة، فيقول:" لم تكن في حياة محمد-ﷺ-قبل البعثة- التي جاءته وهو في الأربعين من عمره- ما يثير أية شبهة على بشريته، أو يلقي عليها الظلال، أو الشكوك".[4]

القرابة والعشيرة:

إن العشيرة هي: مجموعة من الناس تجمعهم قرابة ونسب فعلي أو متصور، وحتى لو كانت تفاصيل النسب غير معروفة، قد يتم تجمع أعضاء العشيرة حول العضو المؤسس أو السلف الأول، وقد تكون الروابط القائمة على القرابة رمزية، ومن دلائل بشرية الرسول-ﷺ- أن له عشيرة ينتمي إليها قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى:23]، وقال تعالى:﴿مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ [الأحزاب:50].

إن النبيُّ -ﷺ- أفضلُ الخلقِ نَفْسًا، وأفضَلُهم نسَبًا؛ اصطفاه اللهُ تعالى مِن أشرَفِ الأنسابِ وأكرَمِها، قال واثلة بن الأسقع الليثي(ت:83هـ) سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:" إنَّ اللَّهَ اصطفى مِن ولدِ إبراهيمَ، إسماعيلَ، واصطَفى من ولدِ إسماعيلَ بَني كنانةَ، واصطَفى من بَني كنانةَ قُرَيْشًا، واصطفى من قُرَيْشٍ بَني هاشمٍ، واصطَفاني من بَني هاشمٍ".[5]

---

1 – م ن، ص:35-36.

2 – سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم، 20/1.

3 – الطبراني(ت:360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق الحسيني، دار الحرمين، ت:1995م، القاهرة. 80/5، برقم:4728. حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم:1914. ور: محمد أبو فارس، السيرة النبوية دراسة تحليلية، دار الفرقان، ط:1، ت:1997م، الأردن. ص:100.

4 – محمد عمارة، محمد المصطفى المعصوم-ﷺ – بشر يوحى إليه، ص:27.

5 – صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي-ﷺ- ،1782/4، برقم:2276.

فالنَّبيُّ –ﷺ– مِن خِيارِ قُريشٍ، ثمَّ مِن خِيارِ الهاشِميّين، فهو خيارٌ مِن خيارِ مِن خِيارٍ، –ﷺ–. وفي هذا بيان للقبائل والعشائر التي كان ينتمي إليها–ﷺ–.

اليتم والإيواء:

ولقد ذكر القرآن الكريم حياة النبي–ﷺ–قبل البعثة، يقول محمد عزة دروزة:" إن آيات سورة الضحى من أقوى وأوضح النصوص القرآنية في نشأة النبي وحياته إلى مبدأ الوحي".[1]

لقد عدد الله–سبحانه وتعالى– مِنَنَه على نبيه محمدٍ–ﷺ–وفي ذلك يقول محمد بن أحمد القرطبي، (ت:671هـ):" في تفسير قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ [الضحى:6]، لا أب لك قد مات أبوك، فجعل لك مأوى تأوِي إليه عند عمك أبي طالب، فكفلك، وقيل لجعفر بن محمد الصادق(ت:148هـ): لم أُوتِم النبي –ﷺ–من أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق. وعن مجاهد(ت:104هـ): هو من قول العرب: درّة يتيمة؛ إذا لم يكن لها مِثل، فمجاز الآية: ألم يجدك واحداً في شرفك لا نظير لك، فآواك الله بأصحابٍ يحفظونك ويَحُوطونك".[2]

وقال الألوسي(ت:1270هـ):" تعديدٌ لمَا أفاضَ الله عليه–ﷺ–من أول أمرِه إلى ذلكَ الوقتِ من فنونِ النعماءِ العظامِ ليستشهدَ بالخاص الموجودِ على المترقبِ الموعودِ فيطمئنَّ قلبُه وينشرحَ صدرُهُ، رُويَ أنَّ أباهُ ماتَ وهُوَ جنينٌ قد أتتْ عليهِ ستةُ أشهرٍ، وماتتْ أمُّهُ وهوَ ابنُ ثمانِ سنينَ، فكفلَهُ عَمُّه أبُو طالبٍ الشفيق الشقيق بوصية من أبيه عبد المطلب وعطّفه الله عليه فأحسنَ تربيتَهُ، وذلكَ إيواؤُهُ ".[3]

الرجولة:

نعني بالرجولة مقومات الإنسان الكامل من العزة والشجاعة والنجدة والشهامة والإباء والكرامة والحكمة والرحمة. والصبر والثبات في شدة الملمات وقسوة الحادثات، وقد كان محمد –ﷺ–في كل أولئك بالمحل الأرفع، ألقى على الناس بأقواله وأفعاله في صفات الرجولة أنفع الدروس وضرب للأمة أعلى المثل وظل وسيظل ما بقى الدهر أستاذ العالمين وإمام الرجال في مواقف البطولة والشرف. تلقى المحن والشدائد والأذى والاضطهاد والكيد بعزم جبار وصبر شديد وثبات لا يضارع فلم يهن ولم يستسلم ولم يمالئ في الحق أحداً من الناس.

---

1 – سيرة الرسول–ﷺ–، صور مقتبسة من القرآن الكريم، 22/1.

2 – محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربيّ، ط:1، ت: 1985م، بيروت. 73/20.

3 –محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق: فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، ت:2008م، القاهرة.، 525/14.

فقد اختار الله الأنبياء –عليهم السلام– من الرجال لأنهم أقدر على تحمل مشاق الدعوة إلى الله، والصبر على تحمل الأذى فيها، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾[يوسف:109]، يقول الشعراوي:" أن الآية جاءت لِتسُدَّ على الناس ذرائع انفتحت بعد ذلك على الناس في حروب الرِّدة، حين ادَّعَتْ سجاح أنها نبية مُرْسَلة، لذلك جاء الحق سبحانه من البداية بالقول: ليوضح لنا أن المرأة لا تكون رسولاً منه سبحانه؛ لأن مهمة الرسول– ﷺ–أن يلتحم بالعالم التحامَ بلاغٍ، والمرأة مطلوب منها أن تكون سكناً، كما أن الرسول يُفترض فيه ألاّ يسقط عنه تكليف تعبديّ في أي وقت من الأوقات؛ والمرأة يسقط عنها التكليف التعبدي أثناء الطمث، ومهمة الرسول تقتضي أن يكون مُسْتوفي الأداء التكليفي في أيّ وقتٍ".[1]

الزواج والذرية: [2]

إن الزواج والتكاثر آية من آيات الله في خلقه، وذكر منها القرآن الكريم ما يأتي:

قال تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:21]. وقال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[الفرقان:54].

ومن الأدلة القاطعة على زواج الرسول–ﷺ–، أن الله خاطب أزواجه في القرآن بقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾[الأحزاب:28–30].

بل رفع من مكانتهن وجعلهن أمهات المؤمنين قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب:6] –رضى الله عليهن– قال القرطبي:" شرف الله تعالى أزواج نبيه بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن– رضى الله تعالى عنهن–".[3]

ولم يكن محمد –ﷺ–بدعا من الرسل، بل أخبره ربه بزواج الرسل من قبله، فقال تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[الرعد:38]، يقول عبد الرحمن السعدي:" فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء

---

1 – تفسير الشعراوي، 4505/1.

2 – ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملجم وآخرين، دار الريان، ط:1، ت: 1988م، القاهرة. 5/ 254 وما بعدها.

3 –الجامع لأحكام، 102/14.

يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء".[1]

وكان من ثمار هذا الزواج أن الله رزقه –ﷺ–من خديجة(ت: 3 ق هـ)– رضى الله عنها– بناته وهن: زينب، ورقية، وفاطمة، وأم كلثوم –رضي الله عنهن–

وكان للنبي –ﷺ–ثلاثة أبناء من الذكور وهم: القاسم وهو أكبرهم وكان النبي يُكنى باسمه فيُقال له أبا القاسم، وكانت ولادته قبل البعثة والنبوة، ولم يلبث كثيراً إلى أن تَوفّاه الله –تعالى– طفلاً رضيعاً قارب المشي وعمره سنتين، ورزقه بعبد الله، وُلِد بعد البعثة، ولُقِّب بالطاهر والطيب، ولحِكمة أرادها الله –تعالى– تُوفيَ ولم يُكمل رَضاعه. [2]

ورزق بابنه إبراهيم من زوجه أم المؤمنين مارية القبطية(ت:16هـ) –رضي الله عنها– بالمدينة المنورة سنة ثمان، ومات وهو ابن ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر في سنة عشر من الهجرة، فحزن النبي–ﷺ–على فراقه وحزن المسلمون لحُزن النبي–ﷺ–، وكان النبي يُخفف على أمه –رضي الله عنها– ألم فقده، عن البراء بن عازب(ت:72هـ) –ﷺ– قال لما مات إبراهيم سمعت رسول الله –ﷺ–يقول:" إنَّ له مُرْضِعًا في الجَنَّةِ". ثم قاموا بتغسيله، ودفنه في البقيع.[3]

العبودية:

قد بين لنا ربنا أن الغاية العظمى والهدف الأسمى من خلق الجن والإنس هو أن يعبدوه وحده لا شريك له فقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

ووصف الله الأنبياء بأنهم عباد له قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:73].

ومما يدلّ على عظم ذلك المقام، وكون النبي –ﷺ–في أعلى مراتبه، فقد وصفه الله تعالى بالعبودية في مواطن التحدّي والمعجزة، قال تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:23].

وفي مقام الإسراء قال تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الإسراء:1].

وعند ذكر نزول القرآن يقول الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد:9].

---

1 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 419/1.

2 – محمود المصري، سيرة الرسول –ﷺ–، مكتبة الصفا، ط:1، ت: 2005م، القاهرة. ص:28. بتصرّف.

3 – صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء،2290/5، برقم: 5842، 1– محمد رضا، محمد رسول الله–ﷺ–، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1975م، القاهرة. ص:366.

وفي مقام الدعوة إلى الله يقول الحق –سبحانه تعالى–:﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ [الجن:19].

يقول محمد أبو زهرة:" ونبينا –ﷺ–خطا خطوة إبراهيم الأولي، وهى إنكار عبادة الأوثان فقد أنكرها ابتداء، ولم يعترف لها بوجود، فما سجد لصنم قط، وما قدس صنما قط، وإذا استقسمه أحد، لا يقسم بها، ولما أراد بحيرا الراهب أن يستحلفه باللات رده، وقال أنه يكره ذكرها، وما كره ذكر شيء كما كره ذكرها، فأدرك –ﷺ–ما أدركه إبراهيم، وعلم بالعقل السليم وفطرة الله تعالى ما علمه جده الأكبر إبراهيم، ولكن الخطوات الاخرى التي خطاها إبراهيم في معرفة ربه لم يخطها فلم يخط خطوة تعرف الله في النجوم ولا في الشمس، بل وقف عند عبادة الله، وإدراك عظيم قدرة الله سبحانه، واستحقاقه واحده للعبادة".[1]

ويضيف قائلا:" والسبب في أن محمدا –ﷺ–لم يخط الخطوات التي خطاها خليل الله إبراهيم، أن إبراهيم رأى فعلا من عبد مع الأوثان الكواكب، وعبد الشمس، ولم يكن في الأقوام الذين بعث فيهم من يذكرون الله كثيرا، ولو على انحراف في الاعتقاد، أما العرب، فكانوا يعرفون الله تعالى ببقايا ديانة إبراهيم، وكانوا يذكرون الله في الحج بقية إبراهيم في العبادة، فهم يعرفون الله على انحراف، لم يكونوا يجهلونه، بل كانوا في مناسك الحج يذكرون الله كثيرا، في تلبيتهم ووقوفهم في مناسكه، والضلال في إشراكهم بالله، بينما الظاهر من تاريخ الكلدان والمصريين، أنهم ما كانوا يذكرون الله تعالى في عبادة قط، فلما نشأ محمد –ﷺ–في قوم يعرفون الله ويشركون معه في العبادة أوثانهم، ترك ما ابتدعوه، وأنكره وبالغ في إنكاره، وأبقى من بقايا إبراهيم الاعتراف بالله، ثم كان إيمانه بربوبيته واحده، واستحقاقه واحده للعبادة والألوهية".[2]

وقد يقول قائل: إن الله تعالى وصفه–ﷺ– بأنه كان ضالا فهدى، إذ قال تعالي: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾ [الضحى:7] فهل هذا يدل على أنه كان ضالا؟

يجيب محمد أبوزهرة عن ذلك فيقول:" إن محمدا –ﷺ– كان يعرف الله تعالي، ويؤمن به، ويكفر بالأوثان، وينكر أن تكون مستحقة لأي نوع من التقديس لها، كما رأى جده الأكبر إبراهيم أنها لا تضر ولا تنفع، ولكنه كان حائرا في الطريقة التي يعبد الله تعالى بها، فهو متجه باستقامة نفسه وقلبه إلى الله تعالي، وعبادته واحده، ويريد أن يقوم بحق الله، وكانت ديانة إبراهيم قد جهلت، ولا يعرف من طريقتها إلا قليلا، فكان لابد من أن تصيبه حيرة، حتى يهديه الله تعالى إلى شيء مما بقي من دين إبراهيم، وهذا هو مؤدى قوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ

1 – محمد بن أحمد أبوزهرة، خاتم النبيين–ﷺ–، دار الفكر العربي، ط:1، ت:1983م، القاهرة. 201/1

2 – م ن،201/1–202.

أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلَا الْإِيمانُ، وَلكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ [الشورى:52]".[1]

وإن محمدا –ﷺ– نشأ عابدا منذ أدرك سن التمييز، فكان عقله في الله تعالى يفكر كيف يعبده، ثم يجد في التفكير في خلق الله تعالى عبادة، كان يستغرق تفكيره لا ليعلم كيف خلق، ولكن ليعلم من الذي خلق، وكلما أمعن بفكره تعرفا للخالق، واستدلالا عليه ازداد إيمانا به، وطلبا لرضوانه، واطمئنانا لنفسه.

إن الرسول–ﷺ– اتجه إلى معرفة الخالق، وما يرضيه عاكفا على ذلك عكوف العابد في صومعته، لا يطلب إلا إرضاء ربه؛ ولكنه لم يعلم ما يرضيه، ولا ما يكون نسكا له إلا ما توارثه العرب من حج البيت ومناسكه التي بقيت من عصر إبراهيم –عليه السلام–، ونزهت نفسه وقلبه ولسانه، حتى صار ربانيا بفطرته المستقيمة وقلبه السليم.

ما كان يخرج من خلوته–ﷺ– إلا لإسداء معروف، أو إطعام مسكين، أو إغاثة ملهوف، أو لإقراء ضيف عز عليه إقراء، وإن ذلك كله عبادة، لأنه ما يقصد إلا وجه الله تعالى، وإرضاءه لله تعالى، وأي عبادة أعلى من ذلك شأنا.

هذه صورة صادقة أو مقربة من عبادته –ﷺ– قبل البعثة، وهي تدل على أنه كان قواما لله تعالى طالبا مرضاته، وإذا كان لم يعرف شريعة إبراهيم على وجه الكمال، فقد عرف ما يكفيه لأن يكون عابدا يطلب رضا الله تعالي، وقد صفت نفسه فأدركت، وخلص قلبه فألهم، وعلم أن ملة إبراهيم كانت الفطرة المستقيمة والحنيفية السمحة، فاختارها، وسلك سبيلها.

إن العبادة كانت في كيان الرسول–ﷺ– وخلقه، يقول أبو زهرة:" فالعبادة المتجهة إلى الله تعالى كانت في قلبه ونفسه، وكيانه وخلقه، قبل أن ينزل عليه كتاب هاد، قد أذهب حيرته، ووجد الكتاب ينير له السبيل، ويفصل الأحكام، ولا شك أنها تكون أهدى بعد هذا التنزيل، وأن العبادة في الجاهلية قبل البعثة كانت في قلبه بدرة صالحة نمت؛ لأنها كانت في أرض طاهرة خصبة، ولم يكن لها سقى ولا رعي، ومع ذلك اتت أكلها، فبعد البعثة المحمدية جاءها السقي والرعي فأربت ونمت، وازدهرت في قلب مخلص مدرك، وصار قريبا من الله تعالى بقلبه الطيب المخلص، وبمعرفة شرعه تعالي، وباتصال الوحى به دوما من غير انقطاع، فكان بذلك أعبد خلق الله تعالي، وكلما ازداد علما بالله وشرعه، ازداد عبادة، وخوفا من الله، وإرضاء له".[2]

---

1 –م ن، 204/1.

2 –م ن، 206/1.

عن أبي ذر عن النبي –ﷺ– أنه قال:" إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا".[1]

سُئِلَ أنس بن مالك–رضي الله عنه–عن صومِ النَّبيِّ –ﷺ–، قال:" كان يصُومُ مِن الشَّهرِ حتَّى يُرَى أنَّه لا يُريدُ أن يُفطِرَ منه، ويُفطِرُ حتَّى يُرَى أنَّه لا يُريدُ أن يصومَ منه شيئًا، فكُنْتَ لا تشاءُ أن تراه مِن اللَّيلِ مُصلِّيًا إلَّا رأَيْتَه مُصلِّيًا، ولا نائمًا إلَّا رأَيْتَه نائمًا".[2]

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ:" كانَ رَسولُ اللَّهِ –ﷺ–يَصُومُ حتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ، ويُفْطِرُ حتَّى نَقُولَ: لا يَصُومُ".[3]

ومع دوامه على العبادة التي وصفها القران، ودعا إليها، وبينها –ﷺ–، كان إذا سكت عن القيام بصلاة، أو إرشاد عام، دائم التفكير في الاء الله، والتأمل في خلقه، ليدرك عظمته، وكمال سلطانه. فلم ينقطع عن عبادة التفكير التي ابتدأ بها قبل أن يوحى إليه، ولقد قال هند بن أبى هالة ابن خديجة:" كَانَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ– مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، طويل الْفِكْرَةِ، لَيْسَ لَهُ رَاحَةٌ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السُّكُوتِ".[4]

وحيث لم يأت الحزن في القرآن إلا منهيا عنه أو منفيا، يرى الباحث أن هذا الحديث مخالفا للقرآن الكريم؛ لأن الله نهى نبيه عن الحزن في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:40]، وقوله تعالى:﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النحل:127].

النسيان:

فالنسيان طبيعة بشرية وقد زعم بعض الناس أن النبي –ﷺ– لا ينسى ولكن هذا لا يصح، لأن النبي–ﷺ– بشر ومن الأدلة على بشرية الرسول –ﷺ– النسيان قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾ [الكهف:24].

يقول السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾[الأعلى:6] :" أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده

---

1 – محمد الترمذي، سنن الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط:2، ت:1975م، مصر. كتاب الزهد، باب في قول النبي –ﷺ– لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، 556/4، برقم:2312. قال الترمذي: الحديث حسن غريب، وقال الألباني حسن بشواهده، المصدر النصيحة، برقم:243.

2 – صحيح البخاري، أبواب التهجد، 383/1، برقم:1090.

3 – م ن، باب قيام النبي –ﷺ– بالليل ونومه وما نسخ من قيام الليل، 695/2، برقم:1868.

4 – أبوبكر أحمد البيهقي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، ط:1، ت: 1990م، بيروت.24/3، برقم:1362. قال ابن القيم: هذا الحديث لا يثبت وفي اسناده من لا يعرف. ر: مدارج السالكين،505/1

ورسوله محمد –ﷺ–، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه، إلا مَا شَاءَ اللَّهُ، مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة".[1]

ومما يدل على نسيان الرسول–ﷺ– حديث عائشة–رضى الله عنها– قالت:" سمع رسول الله –ﷺ– رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا".[2]

ينكر بعض الطاعنين هذا الحديث ويتسآلون أليس هذا الحديث ينافي عصمة النبي–ﷺ– عن الخطأ في عملية تأدية الوحي إلى الناس، والذي يقتضي حفظه دون نسيان؟ ثم هذا الحديث يتناقض مع القرآن الكريم نفسه الذي ينفي النسيان عن الرسول–ﷺ– في قوله تعالى:﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ ﴾[الأعلى:6–7]؟

والإجابة: أن الحديث صحيح ثابت عن النبي–ﷺ–، بل هو في أعلى درجات الصحة، سندا ومتنا باتفاق علماء الحديث، وهو لا يقدح في عصمته–ﷺ–، كما يجوز وقوع النسيان من النبي فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ مطلقا، أما ما هو مأمور فيه بالبلاغ فيجوز وقوع النسيان منه في ذلك بشرطين، أولهما: أن يقع منه النسيان بعدما يقع منه التبليغ، وثانيهما: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكرة، إما بنفسه وإما بغيره. ولا يقدح ذلك في أصل جمع القرآن، لأن النسيان وقع بعد تبليغه إياها، فقد كانت مكتوبة بين يدي النبي–ﷺ– ومحفوظة في صدور أصحابه الذين تلقوها عنه.[3]

فالنسيان طبيعة بشرية، والرسول –ﷺ– أخبر عن بشريته، فعن ابن مسعود قال: قالَ –ﷺ–:" إنَّه لو حَدَثَ في الصَّلَاةِ شيءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ به، ولَكِنْ إنَّما أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أنْسَى كما تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وإذَا شَكَّ أحَدُكُمْ في صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عليه، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ وهو جالس".[4]

يقول محمد الزرقاني:" إنما قصارى هذا الخبر أنه يدل على أن قراءة ذلك الرجل ذكرت النبي–ﷺ– إياها وكان قد أنسيها أو أسقطها أي نسيانا، وهذا النوع من النسيان لا يزعزع الثقة بالرسول –ﷺ– ولا يشكك في دقة جمع القرآن ونسخه فإن الرسول–ﷺ– كان قد حفظ هذه

---

1 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 1/ 920.

2 – صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابُ نِسْيَانِ الْقُرْآنِ، وَهَلْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، 194/6، برقم: 5038.

3 –صديق بن حسن بن علي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط:1، ت: 1999م، بيروت. 427/7.

4 – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:1991م، بيروت. كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له،402/1 برقم:572.

الآيات من قبل أن يحفظها ذلك الرجل ثم كتبها كتاب الوحي وبلغها الناس فحفظوها عنه ومنهم رجل الرواية عباد بن بشار –ﷺ–على ما روي".[1]

ويضيف قائلا:" وليس في ذلك الخبر الذي ذكروه رائحة أن هذه الآيات لم تكن بالمحفوظات التي كتبها كتاب الوحي، وليس فيه ما يدل على أن أصحاب الرسول–ﷺ– كانوا قد نسوها جميعا حتى يخاف عليها وعلى أمثالها الضياع، ويخشى عليها السقوط عند الجمع واستنساخ المصحف الإمام كما يفتري أولئك الخراصون، بل الرواية نفسها تثبت صراحة أن في الصحابة من كان يقرؤها وسمعها الرسول–ﷺ– منه، ثم إن دستور جمع القرآن يؤيد أنهم لم يكتبوا في المصحف إلا ما تظاهر الحفظ والكتابة والإجماع على قرآنيته ومنه هذه الآيات التي يدور عليها الكلام".[2]

لا يملك الضر ولا النفع –ﷺ–:

ومن دلائل بشريته –ﷺ–أنه لا يملك الضر ولا النفع، وعلمه أن يخبر أتباعه بذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:188]، وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً﴾ [الجن:21].

وبذلك ينفي عن نفسه–ﷺ– ما يختص به الله، ويوضح الزمخشري ذلك بقوله:" هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب، أي: أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع، ولا دفع ضرر، كما المماليك والعبيد، إلاَّ مَا شَاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني، وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغيب، لكانت حالي على خلاف ما هي عليه، من استكثار الخير، واستغزار المنافع، واجتناب السوء والمضارّ، حتى لا يمسني شيء منها، ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب، ورابحاً أو خاسراً في التجارات، ومصيباً أو مخطئاً في التدابير، إِنْ أَنَا إِلاَّ عبد أرسلت نذيراً وبشيراً، وما من شأني أني أعلم الغيب".[3]

اشتغاله –ﷺ –بعمل البشر:

ومن مقتضى بشريته أنه كان يقوم بالأعمال والأشغال التي يمارسها البشر، فمن ذلك اشتغاله–ﷺ–بالتجارة، قبل البعثة، ومن ذلك رعيه للغنم قبل ذلك، عن جابر بن عبد

---

1 – محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المكتبة العصرية، ط:1، ت:1996م، بيروت..،243/1.

2 –م ن، 244/1.

3 – الكشاف، 321/2.

الله(ت:78هـ) – رضي الله عنهما – قال:" كنّا مع رسول الله –ﷺ– نجني الكَبَاث[1]، وإنّ رسول الله –ﷺ– قال:" عليكم بالأسود منه، فإنّه أطيبه "، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال:" وهل من نبي إلا وقد رعاها".[2]

ولقد بين الله بأن نبيه موسى رعى الغنم لشعيب– عليهما السلام– قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص:27].

ونبي الله زكريا–عليه السلام– كان يعمل نجاراً، فعن أبي هريرة(ت:58هـ) أن رسول الله –ﷺ– قال:" كان زكريا-عليه السلام- يعمل نجاراً".[3]

قال ابن حجر(852هـ):" وكان آدم–عليه السلام– حراثا وكان نوح–عليه السلام– نجارا وكان إدريس–عليه السلام– خياطا وكان موسى–عليه السلام– راعيا".[4]

وفي موضع آخر قال:" والذي قاله الأئمة أن الحكمة في رعاية الأنبياء–عليهم السلام– للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم".[5]

وقد خرج –ﷺ– الى التجارة بمال خديجة–رضى الله عنها– قال ابن إسحاق (ت:151هـ):" وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها فلما بلغها عن رسول الله –ﷺ–ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرا، مع غلام لها يقال له ميسرة، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبله رسول الله –ﷺ– منها وكان ذلك قبل البعثة.[6]

تعرضه –ﷺ– للبلاء:

إن الابتلاء هو: الاختبار والامتحان، ويكون في الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:35]، قال أبو الهيثم الرازي(ت: 226هـ) :" البلاء يكون حسنًا

---

1 – الكباث" هو ثمر شجرة الآراك.

2 – صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث، 1621/3، برقم:2050.

3 – م ن، كتاب فضائل، باب من فضائل زكريا –عليه السلام–1847/4، برقم:2379.

4 – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الصفا، ط:1، ت:2003م، القاهرة. 306/4.

5 –م ن، 439/6.

6 –عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: جمال ثابت، دار الحديث، ط:1، ت:2006م، القاهرة. 141/1.

ويكون سيئا، وأصله المحنة"، والله –عز وجل– يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره".[1]

والابتلاء سنة إلهية لا بد منها، والله تعالى يكشف الحقائق عبر هذه الابتلاءات.

إن سر الموت والحياة هو البلاء قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك:1–2].

لقد تعرض رسول الله –ﷺ– للكثير من الأذى والمحن في مواقف متعددة من حياته، وكان ذلك على قدر الرسالة التي حملها، ومع ذلك كان –ﷺ– ، ماضا في طريق دينه ودعوته، صابرا لأمر ربه، إشفاقا على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم الماضية من العذاب، وليكون قدوة للمسلم في كل زمان ومكان في الصبر على البلاء.

ابتلاه الله بفقد أبيه وهو في رحم أمه –ﷺ– [2]، وابتلاه بوفاة أمه في طريق عودتها بمكان يسمّى الأبواء[3]؛ وهو بين مكة والمدينة المنورة، ودفنت هناك، وابتلاه بوفاة عمه أبي طالب بن عبد المطلب، كافله وناصره وحاميه، وحزن رسول الله –ﷺ– كثيراً لعدم إسلامه. [4]

وابتلاه بوفاة زوجه خديجة –رضي الله عنها– قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، وكان ذلك بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام فقط، وقد تأثّر رسول الله –ﷺ–لوفاتها، فهي الزوجة التي رُزق الأبناء منها[5]، وهي التي دافعت عنه وآزرته ونصرته وصدّقته عند نزول الوحي عليه.[6] ، وهما نصيرا رسول الله –ﷺ– ، فتألم النبي –ﷺ–لموتهما وحزن حزنًا شديدًا. واشتهر هذا العام عند أهل التاريخ والسير بعام الحزن. [7]

علما بأن هذه التسمية لم تَرِدْ في شيء من الأحاديث الصحيحة، بل ولا الضعيفة، ولا في شيء من كتب السيرة وشروحها، كسيرة ابن إسحاق وشرحها للسهيلي، ولم يذكر هذا اللفظ – فيما أعلم– أحد ممّن كتب في السيرة كالذهبي(ت:748هـ) وابن القيم(ت:751هـ) وابن كثير (ت:774هـ)، ولا غيرهم من شرّاح الأحاديث كالنووي(ت:676هـ) وابن حجر.

---

1 – الجامع لأحكام القرآن، 373/1

2 – الطبقات الكبرى، 79/1–80. بتصرّف. إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، تحقيق: همام سعيد، دار النفائس، ط:1، ت:1995م، الأردن. ص:152. بتصرّف.

3 – الأبواء أو ودان هو مركز تابع لمحافظة رابغ، وتبعد عن رابغ 67 كم شمال منطقة مكة المكرمة.

4 – حافظ حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول، دار ابن القيم، ط:1، ت: 1990م، الدمام. 1170/3. ور: محمد المنصور فوري، رحمة للعالمين، دار السلام، ط:1، ت:1990م، الرياض. ص:60. بتصرّف.

5 – أبو مدين الفاسي، مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2004م، بيروت، ص:111.

6 – محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، ط:5، ت:2006م، دمشق.. ص: 95–99. بتصرّف.

7 – أبوبكر أحمد البيهقي، دلائل النبوة، دار الحديث، ط:1، ت: 2007م، القاهرة. 254/2.

والباحث يرى عدم ذكرها؛ لأن الله نهى رسوله عن الحزن في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، سبق الإشارة إليها.[1]

وابتلي بوفاة أبنائه في حياته-ﷺ-يقول وحيد بالي:" وكلهم ماتوا وهم صغار لحكمة أرادها الله -تعالى- وكذلك وفاة بناته في حياته إلا فاطمة فإنها تأخرت وفاتها بستة أشهر".[2]

وابتلي في جسده-ﷺ -عن أنس بن مالك(ت:91هـ)، قال:" كسرت رباعية النبي -ﷺ- يوم أحد، وشج في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول:" كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[آل عمران:128].[3]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ(ت:74هـ) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ يُوعَكُ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللِّحَافِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ: «إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ" ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:" ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ".[4]

موته-ﷺ-:

إن المفهوم الدّيني للموت هو: خروج الرّوح من جسم الإنسان للانتقال إلى مرحلة الحياة الأبدية وأغلب الأديان تشترك في ذلك معتبرة الموت بابا للولوج في حياة أخرى بعد مرحلة مؤقّتة من الحياة الدّنيا هي مجرّد ابتلاء وامتحان، وكان الموت موضوعا شغل الإنسان منذ وجوده ليحتلّ حيّزا مهمّا في مختلف الثّقافات والحضارات.

ولما تكاملت الدعوة، أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره -ﷺ-، وتتضح بعباراته وأفعاله، كاعتكافه عشرين يوما بعد أن كان يعتكف عشرا، ومدارسته القرآن مع

---

1 -أنظر: ص:40، من هذا البحث.

2 – وحيد عبد السلام بالي، الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، دار الفوائد، ط:2، ت:2003م، الإمارات. 132/1.

3 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين،1398/3-1399برقم: 1772، وبرقم 1775. ور: محمد ابن سيد الناس، في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الأفاق الجديدة، ط:2، ت:1980م، بيروت. 19/2-20.

4 – محمد بن يزيد ابن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية ط:1، ت:2009م، بيروت.، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، 1334/2، برقم: 4024.

جبريل مرتين، عن جابر بن عبد الله قال: رَأَيْتُ النبيَّ -ﷺ- يَرْمِي علَى رَاحِلَتِهِ يَومَ النَّحْرِ، ويقولُ: لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتي هذِه..[1]

قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[الأنبياء:7-8].

قد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي-ﷺ- ، ومصرحة أنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني سكراته، كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء- عليهم السلام- قال تعالى:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[آل عمران:144][2] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[الأنبياء:34]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:30]، يقول ابن عاشور في تفسيره:" فَحَصَلَتْ بِهَذَا فَوَائِدُ: مِنْهَا إِشْعَارُهُمْ بِأَنَّ الرَّسُولَ-ﷺ- يَمُوتُ كَمَا مَاتَ النَّبِيئُونَ مِنْ قَبْلِهِ لِيَغْتَنِمُوا الِانْتِفَاعَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَيَحْرِصُوا عَلَى مُلَازَمَةِ مَجْلِسِهِ، وَمِنْهَا أَنْ لَا يَخْتَلِفُوا فِي مَوْتِهِ كَمَا اخْتَلَفَتِ الْأُمَمُ فِي غَيْرِهِ، وَمِنْهَا تَعْلِيمُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ سَوَّى فِي الْمَوْتِ بَيْنَ الْخَلْقِ دُونَ رَعْيٍ لِتَفَاضُلِهِمْ فِي الْحَيَاةِ لِتَكْثُرَ السَّلْوَةُ وَتَقِلَّ الْحَسْرَةُ".[3]

وهناك بعض الآيات أشارت إلى قرب ذلك وإن لم تصرح به، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:3] عن ابن عباس- رضى الله عنهما-(ت: 68 هـ) قال:" هذه السورة عَلَمٌ وحَدٌّ حدّه الله لنبيه -ﷺ-، ونعى له نفسه، إي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلا، قال قتادة(ت:118هـ) والله ما عاش بعد ذلك إلا قليلا، سنتين، ثم توفي -ﷺ-".[4]

يقول مقاتل بن سليمان بن بشير(ت:150) في تفسيره:" لما نزلت قرأها النبي -ﷺ-على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وبكى العباس؛ فقال له النبي-ﷺ-:" ما يبكيك يا عم؟، قال: نعيت إليك نفسك، قال: إنه لكما تقول؛ فعاش بعدها ستين يوما، ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا".[5]

ويرى الباحث قول قتادة هو الصواب؛ لأن السورة نزلت في فتح مكة والفتح كان في سنة ثمان من الهجرة، أما التي عاش بعدها ستين يوما فهي آية الكلالة، والله أعلم.

---

1 – صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة،943/2، برقم:1297، ور: صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال، ط:1، ت:2009م، بيروت. ص:446.

2 – ور: مبحث توصيف أحواله-ﷺ- في غزواته، شائعة قتل الرسول-ﷺ- ، ص:199.

3 – محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ت:1984م، تونس. 404/23.

4 – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، ط:1، ت:2001م، القاهرة. 8819/10.

5 – مقاتل بن سليمان بن بشير، تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط:1، ت:2003م، بيروت. 245/4.

وفي قوله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾[المائدة:3]، ذكر ابن كثير(ت:774هـ):" أن عمر بن الخطاب –ﷺ–بكى حين نزلت هذه الآية، فقيل ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان، وكأنه استشعر وفاة النبي–ﷺ–".[1]

ومما يبين قرب أجل رسول الله–ﷺ– من حديثه، ما ورد عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ –ﷺ– قال:" صلَّى بنا رسولُ اللهِ –ﷺ–ذاتَ يومٍ ثم أقبل علينا فوعظَنا موعظةً بليغةً ذرَفتْ منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوبُ، فقلنا: يا رسولَ اللهِ كأنها موعظةُ مُودِّعٍ فأوصِنا".[2]

وعن مُعَاذِ بن جَبَلٍ قال:" بَعَثَنِي رسول اللَّهِ –ﷺ–إلى الْيَمَنِ فقال لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي".[3]

وبعد أن بلَّغَ رسول الله –ﷺ–الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، انتقل إلى جوار ربه، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ(ت:189هـ) قَالَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–وَأَبُو بَكْرٍ فِي طَائِفَةٍ مِنْ الْمَدِينَةِ قَالَ فَجَاءَ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَا أَطْيَبَكَ حَيًّا وميتا".[4]

لقد عاش–ﷺ– حياة طيبة مليئة بالمعجزات والحكم؛ رغم أنه لم يتعلم من معلم، بل عاش أميا ومات أميا–ﷺ–.

---

1 – إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1999م، بيروت. 489/2.

2 – سليمان بن الأشعث أبو داود، السنن الكبرى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط:1، ت:2001م، بيروت. كتاب السنة، باب في لُزُومِ السُّنَّةِ، 329/4، برقم:4609. صححه الألباني.

3 – سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط:2، ت:1994م، القاهرة. 89/20، برقم:171. قال الوادعي: صحيح، أنظر: الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، دار الآثار، ط:4، ت:2007م، صنعاء. 169/2، برقم:1108.

4 – أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط:2، ت: 1999م، بيروت. مُسْنَدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ –ﷺ–، 198/1، برقم:18. صحيح لغيره، رجاله ثقات، له شواهد من حديث عائشة عند البخاري برقم:1241.

المبحث الثاني: توصيف أمية رسول -ﷺ-

مفهوم الأمية:

لمعرفة الجذر اللغويّ لكلمة الأمّيّ تذكر معاجم اللغة أنّها من (أمم)، قال ابن منظور (ت: 711هـ):" إن الأُمّي هو: الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب".[1]

وقيل:" الأُمِّيُّ الَّذِي عَلَى خِلْقَة الأُمَّةِ قال تعالى: ﴿وَمِنهُم أُمِّيُّونَ لَا يَعلَمُونَ ٱلكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة:78]، وقيل الإمَّة والأُمَّةُ: الشِّرعة والدِّين، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّة﴾ [الزخرف: 22][2]

وقوله تعالى:﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّة وَٰحِدَة فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة:213]، يقول أبو زكريا الفراء (ت:207 هـ):" أي كانوا على دينٍ واحد، يقال: فلان لا أُمَّةَ له "أَي لا دِينَ له ولا نِحْلة له"، والأَمُّ: القَصْد، والأُمَّةُ: القَرْن من الناس" أُمَمٌ أَي قُرُونٌ"، ويقال: الأُمَّة في الرجُل المُنْفَرد الذي لا نَظِير له، وقيل الإمَّةُ: الحالةُ، وقيل: نسبة إلى الأم لأن الكتابة مُكتسَبةٌ، فكأنه نُسب إلى ما يولد عليه، من الجهل بالكتابة، وقلة الكلام وعُجْمة اللسان، وقيل نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين، لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة، أو "هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب".[3]

يقول الزبيدي (ت: 1205هـ):" منسوب إلى أُمّ القُرَى، أو إلى أُمّ الكتاب، أو اللوح المحفوظ".[4]

والخلاصة تكاد المعاجم اللغوية تجتمع على أن الأمية هي: عدم المعرفة بالقراءة والكتابة.[5]

ويرجع عبد المنعم الحفني(ت:1407هـ) إنّ كلمة (أمي، أمم) إلى أصلها فيقول:" هي اصطلاحٌ توراتي، يهودي الأصل، كان العبرانيّون القدماء، يطلقونه للدلالة به، على الأفراد

---

1 – أكرم ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط:2، ت:1997م، بيروت، 34/12، مادة أمم.

2 – علي بن إسماعيل المعروف ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:/2000م، دمشق.381/2.

3 – أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، ط:1، ت:1980م، بيروت. 155/3.

4 – محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث، ت:2001م، 191/8، مادة: أمم.

5 – محمد بن أحمد بن الهروي، (ت: 370هـ)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، ط:1، ت:1979م، القاهرة. 109/1. ور: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ت:1996م، القاهرة ،159/2.

والجماعات والشعوب غير الإسرائيليّة، أي غير الكتابيين، فالناس عندهم قسمان: عبرانيون وهم الصفوة، وغير عبرانيين يطلقون عليهم اسم الأمم".[1]

ويمكن السير على هذا المنوال "أي: تتبع الوجوه الناتجة عن تغير السياقات" لكي نصل إلى التحقيق في لفظ "الأمية" لتعيين السياقات المختلفة التي أتى فيها، ومن ثم وجه المعنى الذي يُلائم ذلك السياق.

وفي بيان حالة العرب من الكتابة، يقول قتادة (ت: 117هـ):" كان هذا الحي من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرؤونه، فبعث الله نبيه محمدا –ﷺ–رحمة وهدى يهديهم به".[2]

قد وردت لفظة " **الأمّيّ**" بصيغتها المفردة (أمّيّ) للدلالة على أمّيّة النبيّ–ﷺ –مرتين متتاليتين في قوله الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:157]، وقوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158]، يقول ابن كثير:" أي لقد لبثت في قومك – يا محمد– ومن قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة بل كل أحدٍ من قومك وغيرهم يعرف أنّك رجلٌ أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، وهكذا كان –ﷺ–دائماً أبداً إلى يوم القيامة لا يحسن الكتابة ولا يخطّ سطراً ولا حرفاً بيده بل كان له كتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم".[3]

قال ابن جرير الطبري(ت:310هـ):" ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، أن "الأمي" هو الذي لا يكتب، وأرى أنه قيل للأمي "أمي"؛ نسبة له إلى "أمه"؛ لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال– إلى أمه– في جهله بالكتابة، دون أبيه، ونِسْبَةٌ إِلَى الأُمَّةِ لَمْ يَتَعَلَّم الكِتاب فَهُوَ عَلَى جِبِلَّتِه، عَدَمُ شُيوعِ الكِتابَةِ وَالقِراءةِ، أَي الجَهْلُ بِهِما".[4]

وقد جاء في الحديث:" عن ابن عمر(ت:73هـ) –رضي الله عنهما– عن النبي –ﷺ–أنه قال:" إنَّا أمَّة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين".[5]

وقال الفخر الرازي(ت:606هـ): "فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون، والنبي –ﷺ–كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أميًّا، قال أهل التحقيق: وكونه أميًّا بهذا التفسير كان

---

1 – عبد المنعم الحفني، موسوعة القرآن العظيم، مكتبة مدبولي، ط:1، ت،2004م، القاهرة. 180/1.

2 – جامع البيان، 8027/10.

3 – تفسير ابن كثير،229/3.

4 – جامع البيان، 509/1.

5 – صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان،761/2، برقم:1080.

من جملة معجزاته وبيانه من وجوه: **الأول:** أنه –ﷺ–كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل:92]، منظومًا مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه، ولا تغيير كلماته، لقوله تعالى:﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:15]، وما كان يكتب، قال تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:48]، فكان ذلك من المعجزات".[1]

ويضيف قائلا:" أنه لو كان–ﷺ–يحسن الخط والقراءة، لصار متهمًّا في أنه ربما طالع كتب الأولين، فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة، كان ذلك من المعجزات، وأن تعلم الخط شيء سهل، فإنّ أقلّ الناس ذكاء وفطنة يتعلّمون الخطّ بأدنى سعي، ثم إنّه آتاه علوم الأوّلين والآخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوّة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلّم الخطّ الذي يسهل تعلّمه على أقلّ الخلق عقلًا وفهمًا، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادّتين جاريًا مجرى الجمع بين الضدّين، وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات".[2]

وقال وهبة الزحيلي(ت:1436هـ):" والأمي: الذي لم يقرأ ولم يكتب، ولقب العرب بالأميين كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة:2]، وحكى تعالى عن أهل الكتاب: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:75]، والنبي الأمي: هو محمد –ﷺ–".[3]

أمية الرسول –ﷺ–:

أما الأمية عند رسول الله–ﷺ– فشرف؛ لأن قصارى المتعلِّم في أيّ أمة من الأمم أنْ يأخذ بطرفٍ من العلم من أمثاله من البشر، فيكون مديناً له بهذا العلم، أمَّا رسول الله–ﷺ– فقد تعلم من العليم الأعلى، فلم يتأثر في علمه بأحد، وليس لأحد فضل عليه ولا منة.

يقول أحمد المنّاوي:" وبذلك كانت الأميَّة مدحًا وشرفًا وعزًّا له، وإحدى دلائل نبوّته ومعجزاته، ويكفيه شرفًا أن مُعلِّمه هو الوحي من ربه عزّ وجلّ، وقد بعثه الله عزّ وجلّ بهذا

---

1 –محمد عمر بن الحسن الملقب بالفخر الرازي، التفسير الكبير، المعروف بـ (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، ط:3، ت: 2000م، بيروت.380/15. بتصرف.

2 – م ن،380/15–381. بتصرف.

3 –وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، ط:2، ت:2003م دمشق.117/9.

القرآن وهو على أميّته لا يقرأ ولا يكتب، وأمر الناس أجمعين باتباعه، ليكون هذا معجزة من معجزاته، ودليلًا على تلقيه الوحي من عند ربه، وهو بذلك سيد العلماء، ومعلم البشرية جمعاء، والحكيم الذي فاق الحكماء، والبليغ الذي أعجز البلغاء-ﷺ-". [1]

يقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]:" وهذا القول إبانةٌ من الله -جل ثناؤه- عن أن الذين وَعَد موسى نبيَّه -عليه السلام-أن يكتب لهم الرحمة التي وصفَها سبحانه بقوله: "ورحمتي وسعت كل شيء"، هم أمة محمد -ﷺ-، لأنه لا يعلم لله رسولٌ وُصف بهذه الصفة(الأمي) غير نبينا -ﷺ- وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل".[2]

يقول الشوكاني(ت: 1250هـ):" والأمّيّ منسوب إلى من ولد من أمّة لا يحسن الكتابة، ووجه النعمة في جعل النبوة في أمّيّ موافقة لما تقدّمت البشارة به في كتب الأنبياء السالفة، وقيل بعث رجلًا أمّيًّا في قوم أمّيّين، لِأَنَّ الْكِتَابَةَ مُكْتَسَبَةٌ فَهُوَ عَلَى مَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنْ الْجَهْلِ بِالْكِتَابَةِ، وهذا القول رجحه أبو جعفر الطبري.[3]

يقول سعيد حوّى (ت:1409هـ):" لو كانت الأميّة مصطلحاً خاصّاً بالعرب لما وصف الله به اليهود، وواضح من الآيات أنّ الله يعيب في اليهود جهلهم بالقراءة والكتابة، قد يقول قائل: هو هنا يشبّههم بالعرب أي "ومنهم الأميون: كالعرب"؟، والجواب: غير صحيح لأنّ الله فسّر الأميّة "أنّهم لا يعلمون الكتاب إلّا أماني"، وهذا لا ينطبق على العرب حتى نقول أنّه تشبيه بهم، بل هو خاصٌّ باليهود، وأنه لا يقرأ ولا يكتب، ذلك من أعظم أدلّة رسالته-ﷺ-وما فيها من الهدى والإعجاز". [4]

ولقد اعترف مشركو قريش قديمًا أن هذا القرآن المعجز لا يمكن أن يتأتى لرجل أُمّيّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة؛ فَادَّعَوْا أن ذلك سحرٌ يُؤْثَر" أي يأثره عن غيره، ولو كان -ﷺ-قارئاً كاتبًا لادَّعى المشركون أن ما جاء به من اختراعه ومن بنيات أفكاره". [5]

وفي ذلك يقول قحطان الدوري(ت: 1354هـ):" كان-ﷺ -، لا يقرأ ولا يكتب كما هو ظاهر من المستفيض من كلام العرب، والثابت من أقوال الصحابة والتابعين، وهم أعرف وأعلم بحاله -ﷺ-، ولذلك حين تعرضوا لبيان سبب النسبة ذكروا أقوالا عديدة، تلتقي كلها في أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة".[6]

---

1 – أحمد المنّاوي، طريق القرآن، مكتبة الصفا، ط:1، ت: 2017 م، القاهرة. ص:45.

2 – جامع البيان، 3660/5.

3 – محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، ط:1، ت:1994م، دمشق، 252/2.

4 – سعيد حوّى، الأساس في التفسير، دار السلام، ط:6، ت:2004م، القاهرة. 219/4 . بتصرف

5 – الجامع لأحكام القرآن، 76/19.

6 –قحطان الدوري، أمية الرسول-ﷺ-، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:1991م، بيروت. ص:26.

ويرى أكثر المفسرين على أن الأمي هو من لا يحسن القراءة ولا الكتابة.

والباحث يذهب مذهب الجمهور القائل: كان-ﷺ-، لا يقرأ ولا يكتب، لأن ذلك مذكور بالنص القرآني، في الآية السابقة الذكر، ويؤكد القول بأمية الرسول-ﷺ- وذلك لورود النص القرآني في ذلك، ولم يأت في القرآن الكريم نسخه، ويبقى ما بقيت السماوات والأرض، وكذلك لم يأت نسخه في الأحاديث النبوية الشريفة، وتضافرت أقوال العلماء في ذلك، ولا يلتفت إلى أي قول مخالف للكتاب والسنة مهما كانت مكانة القائل.

ويرى بعض المفسرين إن لفظ (الْأُمِّيِّينَ) لا تعني عدم معرفة القراءة والكتابة، لأنّها ليست بصدد بيان عدم معرفتهم لها، وهي في بيان المحاجة مع المعاندين للرسالة الإسلاميّة، والمتتبّع لآيات سورة آل عمران يجدها تتحدّث عن اختلاف أهل الكتاب، رغم أنّ الرسالات السماويّة ذات هدف واحد، وأنّ الدين عند الله الإسلام بمعناه العامّ لا الخاصّ، وعرف عن أهل الكتاب كثرة المحاججة والجدل مع الرسول-ﷺ-ومع أنبيائهم من قبلهِ، وهذه الآيات مدنيّة متعلّقة بقدوم وفد نجران[1] إلى المدينة، لما جاؤوا يحاجون النبيّ-ﷺ-، فالخطاب كان في الآية مع الذين أُوتُوا الكتاب، الآية تطلب من النبيّ-ﷺ -مخاطبتهم بالقول ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:20]

ويرى الطبري إن المقصود بكلمة ﴿الأُمِّيِّينَ﴾ هم أهل الكتاب "النصارى" غير العارفين بمعاني الكتاب يعلمونه حفظًا وقراءة بلا فهم، ولا يدرون ما فيه أو يعلمون بعض ما في الكتاب، وقد أشار الحق سبحانه وتعالى في معرض الذمّ إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[آل عمران:23].[2]

ويرى الزمخشري إن المقصود بكلمة ﴿الأُمِّيِّينَ﴾ هم العرب الذين لا يقرأون الكتاب ولا يكتبون بأيديهم، وقيل سمّيت أُمّة محمّد-ﷺ-بالأُمِّيِّينَ؛ لأنهُ لم ينزل عليهم كتاب. [3]

يقول الفخر الرازي:" فكيف أشرك العرب أو الذين لا كتاب سماويّ لهم؟ وهل من وجود لمن لا دين سماويّ لهم أو مشركي العرب في المدينة المنورة، بعد فتح مكّة، وفي العام الذي عرف بعام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة؟، فكيف يخاطبهم، كما ذكر المفسرون؟، إلّا إذا

---

1 – نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكّة، سُمّي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرف بن قحطان؛ لأنه كان أوّل من عمرها ونزلها. ينظر: ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ البغداديّ (ت626 هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربيّ، ت: 1979م، بيروت. 266/5.

2 – جامع البيان، 295/3.

3 – الكشّاف، 103/4.

كان الخطاب يشمل الوفود من غير أهل الكتاب التي وفدت إلى المدينة، ولم يثبت محاجّة أيّ وفد قدم للنبيّ-ﷺ -سوى وفد نجران، والآيات تتحدّث عن جدل أهل الكتاب لا غير".[1]

ويرى محمد الصابوني(ت:1442هـ) بأن لفظ الأميين هم طائفةٌ من اليهود الجهلة العوام الذين لا يعرفون القراءة والكتابة. [2]

وهناك شيء من التداخل والاضطراب في مدلولات الأميين، ولذلك يقول ابن عطيّة (ت:541هـ) في تفسيره "الأميين" هم الجَهَلَة بالتوراة، قالا أبو العالية ومجاهد وغيرهما:" هؤلاء اليهود المذكورين، فالآية منبّهة على عامتهم وأتباعهم، أي أنهم ممن لا يُطمَع في إيمانهم لما غمرهم من الضلال"، وقيل: المراد هنا بالأميين قوم ذهب كتابهم لذنوب ركبوها فبقوا أميين، [3]

وفي بيان المعاملة المالية بين اليهود والمسلمين قال تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:75].

يقول القرطبي:" قيل: إن اليهود كانوا إذا بايعوا المسلمين يقولون: ليس علينا في الأُمِّيِّينَ سبيل، أي حرج في ظلمهم لمخالفتهم إيّانا، وادعوا أن ذلك في كتابهم؛ فأكذبهم الله عز وجل وردّ عليهم فقال: «بلى» أي عليهم سبيل العذاب بكذبهم واستحلالهم أموال العرب".[4]

وحين ننتقل من كتاب تفسير إلى كتاب تفسير نجدها تكرر الآراء والأقوال نفسها، إمّا بنصّها وإما بتغيير في بعض الألفاظ دون تغيير في المعاني، ونسوق بعض أقوال المفسرين على سبيل المثال: جار الله الزمخشري الذي فسّر قوله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ، بقوله:" لا يحسنون الكَتْب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها"[5]، وقال في تفسير قوله تعالى:﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾:" الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب"[6]، وفسّر قوله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ بقوله:" يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب"[7]، وفسّر قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

---

1 – التفسير الكبير، 7/ 165.

2 – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط:6، ت:1985م، بيروت. 71/1.

3 – عبد الحق بن غالب ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2002م، بيروت.1: 270.

4 – الجامع لأحكام القرآن، 104/4.

5 – الكشاف، 1: 288.

6 –م ن، 539/1.

7 –م ن، 571/1.

الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾. بقوله:" بعث رجلًا أُمّيًّا في قوم أُمّيين".[1]، ولم يفسر كلمة "الأمي"، في قوله تعالى:﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ بل تجاوزها دون أن يقف عندها".[2]

ويقول محمد الطاهر ابن عاشور (ت: 1394هـ):" والمراد بالأميين: العرب لأن وصف الأميّة غالب على الأمة العربية يومئذٍ، ووصف الرسول به، أي لم يكن غريباً عنهم أي رسولاً من العرب، وفي نسبته –ﷺ– إلي العرب، قالت اليهود هو رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْعَرَبِ خَاصَّةً لَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ".[3]

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ–لِابْنِ صَيَّادٍ– وَهُوَ يَهُودِيٌّ–:" أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ"، قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ".[4]

ويقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:75] وقد قام بعض من بني إسرائيل على عهد رسول الله، بخديعة الأميين من العرب المؤمنين فأنكروا حقوقهم، والمقصود بالأميين هنا المؤمنون الذين لم يكونوا من أهل الكتاب، أو هم المنسوبون إلى الأم كما قال الحق: ﴿والله أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والأبصار والأفئدة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78]".[5]

إن أمية رسول الله–ﷺ– من المعجزات العقلية وتُعَدُّ دليلا على صدق النبي –ﷺ–، وقد صرح القرآن الكريم بأن الأمية تجرد النبي–ﷺ–من الكتابة والقراءة، هذا قبل نزول القرآن، ولم يرد ما يذهب هذا الوصف بعد النزول.

يقول ابن عاشور:" والأُمِّيَّة وصفٌ خصَّ اللهُ به من رسله محمدًا–ﷺ–إتمامًا للإعجاز العلمي العقلي الذي أَيَّده الله به، فجعل الأُمِّيَّة وصفًا ذاتيًّا له... ليُظْهِرَ أن كماله النفساني كمالٌ لدنيّ إلهي، لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأُمِّيَّة وصفَ كمالٍ فيه، مع أنها في غيره وصف نقصان؛ لأنه لمَّا حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحقِّ، وكان على يقين من علمه، وبَيِّنَةٍ من أمره، ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين؛ صارت أُمِّيَّتُه آيةً على كَوْن ما حصل له إنَّمَا هو من فيوضات إلهيَّة".[6]

---

1 –م ن، 110/6.

2 – م ن، 3: 512.

3 – التحرير والتنوير، 208/28.

4 – صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد،2244/4، برقم:2930.

5 – تفسير الشعراوي،1/ 1028.

6 – التحرير والتنوير، 133/9.

والإشكالية هي: أن تعلم الخط شيء سهل، فإن أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعي، فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم، ورغم ذلك فإن الله –سبحانه تعالى– آتاه –ﷺ–من علوم الأولين والآخرين، وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم، جعله لم يتعلم الكتابة.

ويمكن دفع هذه الإشكالية بأنه لا تعارض بين النبوة والأمية، لأن النبوة اصطفاء قال تعالى:﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج:75]، ومحو الأمية أمر مكتسب بالتعليم، والتدرج في طلبه، وأن الأمية تعزيز لمعجزة القرآن الذي أنزل عليه– ﷺ– ، حيث يتلوه من لا يقرأ ولا يكتب، مع ما فيه من العلوم، وهو أبلغ دليل على مصدره الإلهي.

متى كان النبي–ﷺ– أميا؟

أولا: قبل النبوة:

ومما يؤكد أمية رسول الله–ﷺ– قبل بعثته أنه لا يعلم من أمر النبوة شيئا قبل نزول الوحي عليه –ﷺ– قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:52]، وقال تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:48].

وقد عَلّقَ الزمخشري على هذه الآية بقوله: "وأنت أُمِّيٌّ ما عَرَّفَكَ أحدٌ قَطُّ بتلاوة كتاب ولا خطٍّ، إذًا لو كان شيء من ذلك، أي من التلاوة والخطّ، لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ من أهل الكتاب، وقالوا: الذي نجده في كتبنا أُمِّيٌّ لا يكتب ولا يقرأ...، أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تَعَلَّمَهُ أو كتبه بيده".[1]

ثانيا: بعد النبوة:

اختلف العلماء في قراءة النبي–ﷺ–وكتابته على قولين بعد النبوة:

القول الأول: إنه–ﷺ– أمي لم يقرأ ولم يكتب مطلقا. لقد بعث الله تعالى نبيه –ﷺ– أمِّيًّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:48].

والقول الثاني: أنه –ﷺ–قرأ وكتب بعد نبوته، إلا أن أصحاب هذا القول اختلفوا في سبب صدور القراءة والكتابة عنه–ﷺ–، أكان ذلك معجزة، أو كان عن علمه بهما؟

---

1 – الكشاف، 462/3.

واستدلوا على ذلك بحديث المقاضاة. [1]

عن البراء بن عازب –ﷺ– قال:" لما اعتمر النبي –ﷺ–في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر لك بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله فقال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي بن أبي طالب –ﷺ–:" امح رسول الله"، قال علي: لا والله لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول الله –ﷺ –الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله".[2]

ويلاحظ في هذا المقام بأن علي قدم مقام الأدب عن مقام الطاعة مع رسول الله–ﷺ– ولا يعتبر ذلك عصيانا لرسول الله–ﷺ–.

وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي(ت:474هـ) فادعى أن النبي–ﷺ–كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب، فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة وأن الذي قاله مخالف القرآن، حتى قال عبد الله بن هند:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال: إن رسول الله قد كتبا**[3]

فجمعهم الأمير، فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة، وقال للأمير: هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن فقال: وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك".[4]

ويضيف قائلا:" وبعد أن تحققت أميته، وتقررت بذلك معجزته، وأمن الارتياب في ذلك، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك، من غير تعليم، فتكون معجزة أخرى، وذكر بن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي في ذلك، منهم: أبو الفتح النيسابوري (ت:405هـ)، وشيخه أبو ذر الهروي(ت: 434هـ) وأبو جعفر السمناني(ت:444هـ)، وآخرون من علماء إفريقية وغيرها، رأوا أن ذلك غير قادح في كونه–ﷺ– أمِّيًّا ولا معارضاً لنص القرآن، ولا بقوله:" إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب"، بل رأوه زيادة في معجزاته واستظهارا على صدقه وصحة رسالته، وذلك أنه

1– محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، ط:2، ت:1973م، بيروت. 137/12. ور: محمد ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الآفاق الجديدة، ط:1، ت:1977م، بيروت.، 127/2.

2 – صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، 1551/4، برقم:4005.

3 –محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط:1، ت: 1973م، بيروت. 65/2، ور: عبد الحي بن أحمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط:1، ت:1986م، بيروت. 345/3. حافظ بن محمد الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، مطابع الجامعة الإسلامية، ط:1، ت:1986م، المدينة المنورة، السعودية. ص:296.

4– فتح الباري، 616/7.

كتب من غير تعلم لكتابة ولا تعاطٍ لأسبابها، وإنما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قرأها، فكان ذلك خارقاً للعادة".[1]

وقد ردّ ابن كثير على ذلك عند تفسيره في الآية فقال:" ومن زعم من متأخّري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنّه –ﷺ–كتب يوم الحديبية: فإنّما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري (ثمّ أخذ فكتب) وهذه محمولةٌ على الرواية الأخرى (ثمّ أمر فكتب) ولهذا اشتدّ النكير من فقهاء المغرب والمشرق على من قال بقول الباجي وتبرّؤوا منه وأنشدوا في ذلك أقوالاً وخطبوا به في محافلهم، وإنّما أراد الرجل –أعني الباجي– فيما يظهر عنه، أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة".[2]

القول الثاني: إن قراءة النبي–ﷺ– وكتابته بعد النبوة، كانت عن علم بهما:

وبه قال علماء الإمامية، ومنهم: محمد جواد بن العاملي(ت:1226هـ) حيث قال:" كان رسول الله–ﷺ–عالما بالكتابة بعد البعثة، كما صرح به الطوسي وأبو عبد الله الحلي واليوسفي".[3]

ويبدو أن هذا الحديث منسوب إلى آل البيت، أو لعل بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبيّ–ﷺ–وآل البيت تعكس لنا ثقافة الراوي الذي نسبها إليهم، لأنّ اقتصار بعث الرسول–ﷺ– في أهل مكّة فقط، ليتلو عليهم آياته، ويزكّيهم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة تقييد في عالميّة الدعوة الإسلاميّة، مع تأخّر نزول سورة الجمعة حتى العهد المدنيّ.

ويرد القمي(ت:1359هـ) على ذلك بقوله:" ومثل هذا القول يتعارض مع قول نسب إلى الإمام الصادق في قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّۧنَ رَسُولا مِّنهُم﴾، قال: «كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسولًا، فنسبهم الله إلى الأمّيّين" أي الذين ليس لهم كتاب سماويّ".[4]

ويقول محمد حسين الطباطبائيّ (1402هـ):" فإذا كان المراد بالأمّيّين كلّ أهل مكّة مسلمهم وكافرهم، فذلك لا يناسب مذاق القرآن كون السورة مدنيّة وضمير ﴿وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ راجع إلى المسلمين لا إلى الكافرين، ولا منافاة من كونه مبعوثًا إلى الجميع، وكلُّ مدينة هي أُمُّ ما حَوْلها من القُرَى، فمن الممكن أن يكون ما ينطبق على مكّة منطبقًا على غيرها".[5]

شبهة أنه يعرف القراءة والكتابة:

---

1 –م ن، 616/7.

2 – تفسير ابن كثير، 331/5.

3 – محمد جواد الحسيني العاملي، مفتاح الكرامة، تحقيق: محمد باقر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم. 10/10.

4 – علي بن إبراهيم القمّيّ، تفسير القمّيّ، مكتبة الهدى، ط:1، ت:1967م، النجف. 2/ 366. 16/ 132.

5 – محمد الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط:1، ت:1997م، بيروت. 264/19.

لقد حاول بعضُ المشكّكِينَ أن يَنْفُوا عن رسول الله -ﷺ-صفة الأُمِّيَّة؛ لأن سرده لما في التوراة والإنجيل، وتنبُّؤه بالعديد من الأحداث المستقبليَّة -كهزيمة الفرس، وغير ذلك- دون تعليم، إنما يُعَدُّ معجزةً عقليَّةً باهرةً لا ينكرها إلاَّ المكابرون، وهم يعلمون جيدًا أن أُمِّيَّة النبي-ﷺ-مذكورة في التوراة والإنجيل؛ مصداقًا لقول الله تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف:157]، وكما قال الله تبارك وتعالى في آية أخرى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ شْهَدُونَ﴾ [آل عمران:70].

يقول ابن عطية:" تشهدون أن نعت محمد نبي الله -ﷺ-في كتابكم، ثم تكفرون به وتنكرونه، ولا تؤمنون به، وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل: "النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذي يؤمن بالله وكلماته".[1]

عن ابن عباس قال:" لَمَّا حُضِرَ النبيُّ -ﷺ- قالَ، وفي البَيْتِ رِجَالٌ فيهم عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، قالَ: هَلُمَّ أكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، قالَ عُمَرُ: إنَّ النبيَّ -ﷺ-غَلَبَهُ الوَجَعُ وعِنْدَكُمُ القُرْآنُ فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، واخْتَلَفَ أهْلُ البَيْتِ واخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَن يقولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ- كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، ومِنْهُمْ مَن يقولُ ما قالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أكْثَرُوا اللَّغَطَ والِاخْتِلَافَ عِنْدَ النبيِّ -ﷺ-، قالَ: قُومُوا عَنِّي، قالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكانَ ابنُ عَبَّاسٍ يقولُ:" إنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ ما حَالَ بيْنَ رَسولِ اللَّهِ -ﷺ- وبيْنَ أنْ يَكْتُبَ لهمْ ذلكَ الكِتَابَ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ ولَغَطِهِمْ".[2]

لقد فهم بعضهم أنّ عبارة "أكتب لكم كتاباً" دليلٌ أنه يقرأ ويكتب، وهذا غير صحيح فنداء النبي-ﷺ- لهم دليلٌ أنه كان كالعادة سيملي عليهم وهم يكتبون، وإلّا لكتب بنفسه خصوصاً بعد أن قال لهم (قوموا)، ومعلومٌ أنّ هذه الوصيّة لم تكتب، والدليل على ذلك أن البخاري "نسي الوصية الثالثة" ولو كانت مكتوبةً لما نسيها.

لقد فهم بعضهم من قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة:2]، أنّه يقرأ هذه الصحف وهي منشورة أمامه، ويرد محمد علي الصابوني على هذه الشبهة بقوله:" أي يقرأ عليهم صحفاً منزّهةً عن الباطل عن ظهر قلب لأنّ النبي -ﷺ- أمّي لا يقرأ ولا يكتب، قال القرطبي: أي يقرأ ما تتضمّن الصحف من المكتوب، يتلوها عن ظهر قلبه لا عن كتاب لأنه -ﷺ-كان أميّاً لا يكتب ولا يقرأ".[3]

---

1 - المحرر الوجيز، 452/1.

2 - فتح الباري، 792/7، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية، 1259/3، برقم:1637.

3 - صفوة التفاسير، 587/3.

يقول محمد رجب حميدو:" أما الشيعةُ: فلم يكن نفيهم لوصف (الأمية) عنه –ﷺ– ؛ إلا معاندة لصريح الكتاب والسنة، ومدافعة للنصوص القطعية الثبوت والدلالة؛ بحديث مخترع موضوع يُلْصِقُونه بأهل بيت رسول الله –ﷺ– زورا وبهتانا".[1]

ويقول الطبرسي:" يجوز أن يكون قد تعلمها من جبرائيل –عليه السلام–بعد النبوة".[2]

ويرد قحطان الدوري على ذلك بقوله:" وقول الطبرسي هذا ظن وتخمين، خالي من الدليل، ولا يترتب عليه قطع بالحكم".[3]

يقول محمد بن يوسف السنوسي(ت:895هـ):" الحق أنه لم يكتب، والقول بأنه كتب لا يوجب كفرا ولا فسقا، وإنما هو خطأ، فلا معنى للتشنيع".[4]

وإن أمّيّة محمّد–ﷺ– هي كمال في حقّه وليست نقصًا فيه كما هو الحال مع بقيّة البشر، لذلك يشير الألوسي بقوله:" إلى أنّ نعت أمّيّ عند إطلاقها على النبيّ–ﷺ– لا يوجد فيه أيّ مسحة تحقير على الإطلاق". [5]

إن إطلاق القرآن وصف الأمي على رسول الله –ﷺ– يستدعي ملازمة هذا الوصف له قبل البعثة وبعدها، دليل ذلك قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158]، وقوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:2]، فالقرآن لم يقيد وصف الأمية بحال أو زمن، كما أن اتصاف النبي –ﷺ– بالأمية مع حمله رسالة القرآن يعد وجها مهما من وجوه الإعجاز، وأن القرآن ليس من كلام بشر، بل هو تنزيل من حكيم حميد، ولا معنى للآراء المشتجرة حول إمكانية أن النبي–ﷺ– قرأ وكتب في فترة حياته، بتعلم أو بإلهام، لأنه ليس من دليل صحيح على ذلك.

إن الأمية في شأنه–ﷺ– شرف، وفي شأن أمته عيب، ورغم أميته–ﷺ– انفرد بجملة من الفضائل التي تميزه عن غيره حتى قيام الساعة.

---

1 – محمد رجب حميدو، الأمِّيَّة من خصوصياته ودلائل نبوته –ﷺ– ، مجلة رابطة العلماء السوريين، العدد:1084، ت: 3 أبريل 2018م.

2 – تفسير مجمع البيان ،287/8

3 –قحطان الدوري، أمية الرسول–ﷺ– ، ص:61.

4 –محمد بن يوسف السنوسي، مكمل اكمال الاكمال على صحيح مسلم، دار الكتب العلمية بيروت. 124/5.

5 – روح المعاني، 79/9.

المبحث الثالث: توصيف خصائص الرسول-ﷺ-:

أن المقصود بخصائصه-ﷺ- هي: ما انفرد به من الفضائل التي تميزه عن غيره، وتجسد كماله البشري، والتي يمكن ذكرها من خلال الآيات القرآنية فيما يأتي:

1-التبشير به -ﷺ-:

فقد ذكر القرآن الكريم أن الله أنزل البشارة بمبعث الحبيب محمد -ﷺ -في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين، قال اللهُ تعالى:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الصف:6].

لم يذكر القرآن كيف ذكر الرسول عندهم، يقول الألوسي:" الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا باسمه ونعوته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو، ولذلك عدل عن أن يقال: يجدون اسمه أو وصفه مكتوباً عِندَهُمُ، وأن شأنه -ﷺ- حاضرة عندهم لا يغيب عنهم أصلا، فِي التوراة والإنجيل اللذين يعتمد عليهما بنو اسرائيل سابقاً ولاحقاً، وكأنه لهذا المعنى اقتصر عليهما وإلا فهو -ﷺ- مكتوب في الزبور أيضاً".[1]

عن عطاء بن يسار قال:" لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ(ت:63هـ) -رضي الله عنهما-، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الأحزاب:45] وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ، فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا ".[2]

2-اختصاصه بأشرف الكتب:

إن القرآن كلام الله تعالى، المُنزّل على رسوله الأمين-ﷺ- ؛ ليكون نذيراً للعالمين، وهو الذي سمّاه الله تعالى نوراً مبيناً قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء:174]، وهو الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله -ﷺ-، وقال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾[الشورى:52]، وقال تعالى:﴿

---

1 – روح المعاني، 389/6.

2 – صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، 497/8، برقم: 4838.

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾[النساء"105].

يقول علي بن محمد الماوردي(ت:660هـ) خُصَّ بالقرآن في إيجازه، وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء، وتبلّد فيه الشعراء؛ ليكون العجز فيه أقهر، والتقصير فيه أظهر، فهو: أخصُّ معجزات المصطفى -ﷺ-.[1]

3-أخذ الميثاق على الأنبياء:

إن الميثاق من هذه الخصائص، أن الله أخذ العهد والميثاق على جميع الرسل والأنبياء أن يؤمنوا به ويتبعوه إذا ظهر في عهدهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:81]، يقول محمد رشيد رضا:" فَالنَّبِيُّونَ هُمُ الْمَأْخُوذُ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ حُكْمُهُ سَارِيًا عَلَى أَتْبَاعِهِمْ بِالْأَوْلَى، وَأَنَّ إِضَافَةَ مِيثَاقٍ إِلَى النَّبِيِّينَ عَلَى أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ فَهُوَ مُضَافٌ إِلَى الْمُوثِقِ لَا إِلَى الْمُوثَقِ عَلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَأْخُوذُ عَلَيْهِ مَسْكُوتًا عَنْهُ لِلْعِلْمِ بِهِ، وَتَقْدِيرُهُ: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ عَلَى أُمَمِهِمْ".[2]

وَقَوْلُهُ: لَفْظُ " رَسُولٍ" فِيهِ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهِ هَنَا مُحَمَّدٌ -ﷺ-، وَيَرُدُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِشْكَالٌ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمِيثَاقَ قَدْ أُخِذَ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَنَّ هَذَا الرَّسُولَ مَا جَاءَ فِي عَصْرِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ اللهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ عِنْدَ أَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ.

ويجيبَ محمد رضا عن هَذَا الإِشْكَالٌ بقوله:" أَنَّهُ مِيثَاقٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَرْضِ أَيْ إِذَا فُرِضَ أَنْ جَاءَكُمْ وَجَبَ عَلَيْكُمُ الْإِيمَانُ بِهِ وَنَصْرُهُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْهُ بَيَانَ مَرْتَبَتِهِ -ﷺ- مَعَ النَّبِيِّينَ إِذَا فُرِضَ أَنْ وُجِدَ فِي عَصْرِهِمْ، وَهُوَ أَنَّهُ يَكُونُ الرَّئِيسَ الْمَتْبُوعَ لَهُمْ، فَمَا قَوْلُكَ إِذًا فِي أَتْبَاعِهِمْ لَا سِيَّمَا بَعْدَ زَمَنِهِمْ؟ وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ -ﷺ- هَذَا الِاخْتِصَاصُ لِأَنَّ اللهَ - تَعَالَى - قَضَى فِي سَابِقِ عِلْمِهِ بِأَنْ يَكُونَ هُوَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ الَّذِي يَجِيءُ بِالْهُدَى الْأَخِيرِ الْعَامِّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ الْبَشَرُ بَعْدَهُ إِلَى شَيْءٍ مَعَهُ سِوَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهِمْ وَاسْتِقْلَالِ أَفْكَارِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ الَّتِي يَجِيئُونَ بِهَا هِدَايَةً مَوْقُوتَةً خَاصَّةً بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ".[3]

وَاحْتَجَّ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٌ-ﷺ- بِحُجَجٍ مِنْهَا عن جابر بن عبد الله قال:

---

1 - علي بن محمد الماوردي، أعلام النبوة، دار الهلال، ط:1، ت:1989م، بيروت ص:57-58.

2 - تفسير المنار، 3/ 349.

3 - م ن، 351/3.

قال رسول الله –ﷺ–:" والذي نفسي بيدِه لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وسِعَه إلا أن يَتبَعني". [1]

وقال ابن عباس– رضي الله عنهما–:" ما بعث الله نبيّاً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعِثَ محمد وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه"،[2].

فكل الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، يقول السعدي:" فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم –ﷺ– لما قررهم تعالى، قالوا أقررنا، فمن تولى بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله، فأولئك هم الفاسقون، فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد –ﷺ–". [3]

وَفِي أَخْذِ الْعَهْدِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ يقول ابن عاشور:" زِيَادَةُ تَنْوِيهٍ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ –ﷺ –، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ، وَبِهِ فَسَّرَ مُحَقِّقُو الْمُفَسِّرِينَ من السّلف وَالْخلف مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْن عَبَّاس، وطاووس، وَالسُّدِّيُّ". [4]

4– نداء الله تعالى له–ﷺ–بأعزّ أوصافه:

إن الله سبحانه وتعالى ناداه–ﷺ– بأحب أوصافه وأسنى كمالاته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾.

قال العز بن عبد السلام(ت:660هـ):" وهذه الخَصِيصة لم تثبت لغيره بل إن كلاً منهم نودي باسمه، فقال تعالى في شأن سيدنا آدم –عليه السلام–:﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:35]، ونادي سيدنا نوحاً –عليه السلام–قائلاً سبحانه:﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾، [هود:48]. ونادي سيدنا إِبْرَاهِيمُ –عليه السلام–قال تعالى:﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:104–105]، ونادي سيدنا موسى–عليه السلام–فقال:﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: 30]، ونادي سيدنا زَكَرِيَّا –عليه السلام–قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِياً﴾ [مريم:7]، ونادي سيدنا يَحْيَى –عليه السلام–قال

1– الإمام أحمد، المسند، 349/23، برقم: 15156. اسناده ضعيف لضعف مجالد وهو ابن سعيد، اخرجه أبو عبيد في غريب الحديث،28/3.

2– تفسير ابن كثير،65/2، ور: عبد الوهاب الديلمي، معالم الدعوة، دار المجتمع، ط:1، ت:1986م، السعودية. 454/1–456. وروى السدي نحوه.

3 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،136/1–137.

4 – التحرير والتنوير 299/3.

تعالى:﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم:12]، ونادي سيدنا عِيسَى –عليه السلام– قال تعالى:﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: 110]، فكل نبي ناداه الحق تبارك وتعالى باسمه مجرداً إلا رسول الله–ﷺ–، فلم يقل له قط: يا محمد، وإنما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ و﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾".[1]

ويضيف قائلا:" ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دَعا أحد عبيده بأفضل ما وجد يهم من الأوصاف العليّة والأخلاق السنيّة، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يُشعر بوصف من الأوصاف، ولا بخلق من الأخلاق، أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم. وهذا معلومٌ بالعرف أن من دُعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كل ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه، وهذه لفتة انتبه إليها أهل المعرفة، وهذا النداء فيه خصوصية لخطاب الحضرة المحمدية".[2]

وقد تكرر لفظ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ" في القرآن ثلاث عشرة مرة، يقول محمد أبو السعود (ت:728هـ):" وتصديرُ الجملة بحرفي النداءِ والتنبيهِ، للتنبيه على مزيد الاعتناءِ بمضمونها، وإيرادهُ –ﷺ– بعنوان النبوة للإشعار بعليتها للحكم".[3]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾[الطلاق:1]، يقول القرطبي:" الخطاب للنبي–ﷺ–خوطب بلفظ الجماعة تعظيما وتفخيما".[4]

ويقول أبو السعود:" تخصيصُ النداءِ بهِ –ﷺ–مع عُمومِ الخطابِ لأمتِهِ أيضاً لتشريفه –ﷺ–وإظهارِ جلالةِ منصبِهِ، وتحقيقِ أنَّه المخاطبُ حقيقةً، ودخولِهم في الخطابِ بطريقِ استتباعِهِ –ﷺ–إيَّاهُم، وتغليبِهِ عليهِم لاَ لأنَّ نداءَهُ كندائِهِم، فإن ذلكَ الاعتبارَ لو كانَ في حيزِ الرعايةِ لكانَ الخطابُ هو الأحقَّ بهِ لشمولِ حُكمهِ للكلِّ قطعاً".[5]وتكرر النداء بلفظ:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) مرتين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة:41]، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:67].

يقول الفخر الرازي:" وهذا الخطاب لا شك أنه خطاب تشريف وتعظيم".[6]

---

1 – عبد العزيز بن عبد السلام، بداية السول في تفضيل الرسول–ﷺ–، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط:1، ت: 1981م، بيروت. 38/1.

2 – م ن، 39/1.

3 –محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.33/4.

4 – الجامع لأحكام القرآن،116/18.

5 – م ن، 260/8.

6 – التفسير الكبير، 60/6.

ويقول الشعراوي:" فالحق سبحانه وتعالى ينادي الرسول-ﷺ-بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ حين يكون الأمر متعلقا بالأسوة السلوكية، أما إذا كان الأمر متعلقا بتنزيل تشريع، فالحق سبحانه يخاطبه -ﷺ- بقوله: بـ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ذلك أن الرسل جاءوا مبلغين للمنهج عن الله، ويسيرون وفق هذا المنهج كأسوة سلوكية".[1]

وقال تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[النور:63]، يقول محمد سيد طنطاوي(ت:1431هـ) في تفسيره لهذه الآية:" لا تجعلوا - أيها المؤمنون - دعاءكم الرسول إذا دعوتموه، ونداءكم له إذا ما ناديتموه، كدعاء أو نداء بعضكم لبعض، وإنما عليكم إذا ما ناديتموه أن تنادوه بقولكم، يا نبي الله، أو يا رسول الله، ولا يليق بكم أن تنادوه باسمه مجردا، بأن تقولوا يا محمد، كما أن من الواجب عليكم أن تخفضوا أصواتكم عند ندائه توقيرا واحتراما له -ﷺ-والمتتبع للقرآن الكريم ، يرى أن الله تعالى لم يناد رسوله محمدا -ﷺ-باسمه مجردا، وإنما ناداه بقوله: يأيها المدثر، يأيها الرسول، يأيها النبي، فندبهم سبحانه وتعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة تشريفاً ورفعاً لمنزلته". [2]

ويجب على الأمة مخاطبته -ﷺ- بما خاطبه الله به ولا يكون ممن سبق من الأمم بمخاطبة رسلهم بأسمائهم، قال أبو نعيم الأصبهاني(ت:436هـ):" فخصه الله تعالى بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه وأخبر سبحانه عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبياءهم بأسمائهم كقول قوم نوح ﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:32]، وقول قوم هود له:﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: 53]. وقول قوم موسى له:﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف:138]، وقول بني إسرائيل لسيدنا عيسى-عليه السلام-﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[المائدة:112]".[3]

5-أقسم الله تعالى بحياته-ﷺ-:

إن الشخص الوحيد الذي أقسم الله بحياته في القرآن الكريم هو النبي محمد -ﷺ- ، لأنه أكرم البرية عنده، قال تعالى:﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر:72]، يقول ابن جرير: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا " إنهم لفي سكرتهم يعمهون".[4]

يقول ابن الجوزي:" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:" مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ -ﷺ-، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ".[1]

---

1 - تفسير الشعراوي،4789/8.

2 - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، دار نهضة، ط:1، ت:1997م، القاهرة. ،3107/1.

3 - أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق عبد البر عباس، دار النفائس، ط:2، ت:1986م، بيروت. 42/1.

4 -جامع البيان،4908/6.

وقال العز بن عبد السلام:" والإقسام بحياة المُقْسَم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المُقْسِم بها، ولم يثبت هذا لغيره –ﷺ–".[2]

وقال ابن كثير في تفسيره:" أقسم تعالى بحياة نبيه، –ﷺ–، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع وجاه عريض".[3]

وكذلك أقسم الله على رسالته، قال تعالى: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:1–3]، يقول الخازن(ت:741هـ): قال ابن عباس:" هو قسم، وأن معناه يا إنسان بلغة طيي، يعني محمداً –ﷺ–، وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن ذي الحكمة، لأنه دليل ناطق بالحكمة، وهو قسم وجوابه، "إنك لمن المرسلين" أي أقسم بمحمد والقرآن، أن محمداً –ﷺ–لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلاً".[4]

وأقسم الله ببلده وإقامته قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد:1–2].

يقول وهبة الزحيلي:" لا أُقْسِمُ أي أقسم، بِهذَا الْبَلَدِ مكة، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ أي وأنت يا محمد حلال وحالّ مقيم فيه، أقسم سبحانه بالبلد الحرام، وحال كون النبي –ﷺ–مقيم فيه، إظهارا لمزيد فضله، وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله".[5]

وأقسم الله على نفى الضلال عنه–ﷺ– قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[النجم:1–2]، كما نفى عنه الجنون في قوله تعالى:﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم:1–2].

ويرى الباحث أن ما أقسم به الله –وهو يقسم بما شاء سبحانه– فهو عظيم عند الله، ويريد الحق منا أن نفهم المقسم به ونتدبر الإعجاز في ذلك.

6– عِناية الله به–ﷺ–:

إن الله ذَكَرَ عِنَايَتَهُ بِحَبِيبِهِ –ﷺ –مُنْذُ صِغَرِ سِنِّهِ، وَتَعَهُّدَهُ إِيَّاهُ، وَرِعَايَتَهُ لَهُ، تَنْبِيهَاً إلى أَنَّ اللهَ تعالى الذي تَوَلَّاهُ بِعِنَايَتِهِ مُنْذُ صِغَرِهِ، وَأَتْحَفَهُ بِنِعَمِهِ سُبْحَانَهُ، سَوْفَ يُوَاصِلُ إِلَيْهِ بِرَّهُ وَإِكْرَامَهُ، وَيُدِيمُ عَلَيْهِ فَضْلَهُ وَإِنْعَامَهُ، وَيُحَقِّقَ لَهُ مَا وَعَدَهُ بِهِ، وَيُحِيطَهُ بِعِنَايَتِهِ وَيَكْلَأُهُ بِرِعَايَتِهِ أَبَدَ الأَبَدِ، فَقَالَ تعالى:﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى﴾[الضحى:1–3]

---

1 – عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط:1، ت:2002م، بيروت.،408/4.

2 – بداية السول في تفضيل الرسول–ﷺ–، ص:37.

3 – تفسير ابن كثير، 168/4.

4 – علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2005م، بيروت. 242/5.

5 – التفسير المنير،625/15.

قد نزلت سورة الضحى في فترةٍ تأخر فيها نزول الوحي على النبي -ﷺ-، وقد أشاع المشركون الشائعات الكاذبة بسبب تأخر الوحي، فجاءت هذه السورة لتسكت ألسنتهم، وتُبشر النبي -ﷺ-برضا ربه عنه، فساقت جانباً من نِعم خالقه عليه، وتُرشد الأمة بالمداومة على مكارم الأخلاق.[1]

يقول الحسين بن مسعود البغوي(ت:510 هـ):" أقسم الله بالضحى وأراد به النهار كله، بدليل أنه قابله بالليل فقال: ﴿والليل إذا سجى﴾، وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر والبرد والصيف والشتاء. وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ هذا جواب القسم، أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك".[2]

بيّنت الآيات عِناية الله بنبيه الأمين-ﷺ- كما في قوله تعالى:﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[الطور:48] يقول ابن عاشور:" خُتِمَتِ السُّورَةُ بِأَمْرِهِ بِالصَّبْرِ تَسْلِيَةً لَهُ وَبِأَمْرِهِ بِالتَّسْبِيحِ وَحَمْدِ اللَّهِ شُكْرًا لَهُ عَلَى تَفْضِيلِهِ بالرسالة".[3]

ومن عظيم عناية الله به قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:67]، ويبين ابن عطية العصمة فيقول:" وهذه العصمة هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شيء من التبليغ كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه".[4]

كانت عِناية الله به-ﷺ- في أول أمره وآخره، وابتدأت السورة الكريمة بالقَسم على جلالة قدر الرسول -ﷺ- وأن ربه لم يهجره، كما زعم المشركون، وأنه عند الله عظيم الشأن، وبشرّته بالعطاء الجزيل في الآخرة، وما أعدّه الله -تعالى- له من كرامات ومنها الشفاعة العظمى، وذكَّرته بما كان عليه بالصغر، من اليُتم والفقر والضياع، فآواه الله وأغناه، وأحاطه بعنايته.[5]

7-مدافعة الله عنه-ﷺ-:

كان الأنبياء السابقون -عليهم السلام- يتولون الدفاع عن أنفسهم مما رماهم به المكذبون من أقوامهم من السفه والضلال، قال تعالى فيما أخبر عن قوم نوح -عليه السلام-أنهم قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف:60] ، فقال -عليه السلام-دفاعاً عن نفسه: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ [الأعراف:61]،وقول قوم هود -عليه السلام-له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف:66] ، فقال نافياً عن نفسه ما نسبوه إليه: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف:67].

---

1 -. التفسير الوسيط، 425/15. بتصرّف.

2 – الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:2000م، بيروت. 454/8.

3 – التحرير والتنوير،83/27.

4 – المحرر الوجيز،319/2.

5 – صفوة التفاسير، 572/3.

وأما نبينا محمد –ﷺ– فقد تولى ربه الدفاع عنه حين رماه المشركون بالكهانة، والجنون، فرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: 29]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة:42].

واتهموه بالضلال فجاء الرد من الله تعالى في قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم:1–2].

ولقد رموه بقول الشعر، فرد الله عليهم بقوله تعالى:﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾[الحاقة:41]، وقال تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]. وأخبر أنه سيكفيه المستهزئين قال تعالى:﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:95]، سواء كانوا من قريش أو من غيرهم، وذكر الله سبحانه وتعالى في مواضع أخرى أنه كفاه.

يقول عماد الشربيني(ت:902هـ):" عصم الله –سبحانه وتعالى– رسوله محمّدا –ﷺ– من الناس؛ أيّ أنه –ﷺ–كان معصوماً في بدنه، ومعنى هذه العصمة أنّه محميّ ومؤمّن عليه من أن يقتله أحد، ولا تعني العصمة أنّه معصوم من الأمراض".[1]

وفي هذا من التشريف لنبينا محمد –ﷺ– ، ما تحار فيه العقول، وتزداد به محبة الرسول–ﷺ –.

8– أَرْسَلْه الله رحمة للعالمين–ﷺ–:

إن الله زين تعالى محمدا –ﷺ– بزينة الرحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]،

يقول ابن عاشور:" فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مُشْتَمِلَةً عَلَى وَصْفٍ جَامِعٍ لِبِعْثَةِ مُحَمَّدٍ –ﷺ– ، وَمَزِيَّتُهَا عَلَى سَائِرِ الشَّرَائِعِ مَزِيَّةٌ تُنَاسِبُ عُمُومَهَا وَدَوَامَهَا، وَذَلِكَ كَوْنُهَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ".[2]،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ:" إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً".[3]

ورحمته شملت حتى أعدائه يقول أبو نعيم الأصبهاني(ت:430هـ):" فأمن أعداؤه من العذاب مدة حياته –ﷺ– فيهم وذلك قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:33] ، فلم يعذبهم مع استعجالهم إيَّاه تحقيقاً لما نعته به".[1]

---

1 – عماد السيد محمد الشربيني، رد شبهات حول عصمة النبي –ﷺ– ، دار الصحيفة، ط:1، ت:2002م، مصر. ص: 129. بتصرّف.

2 – التحرير والتنوير،165/17.

3 – صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي –ﷺ– أو سبه،150/16، برقم: 6778.

وفي بيان الرحمة يقول القاضي عياض(ت:544هـ):" للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافقين بالأمان من القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب".[2]

يقول السهيلي(ت:581هـ):" ولعلّ من أبرز أخلاق النبي-ﷺ- الرحمة في حربه وسلمه؛ فلقد كان رسول الله-ﷺ- رحيمًا بالطفل الصغير، والشيخ الكبير، والنساء والمرضى والعواجز، وكان رسول الله-ﷺ- يوصي قادة الجند بالتقوى ومراقبة الله؛ ليدفعه إلى الالتزام بأخلاق الحروب، وبالرحمة في المعاملات حتى في غياب الرقابة البشرية عليه، ولم يكن يكتفي بذلك بل كان يأمر مباشرة بتجنُّب قتل الولدان". [3]

وقد وصفه الله بالرحمة في مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:159]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:61]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:128] .

9-أعطاه الكوثر:

أكْرَمَ اللهُ تعالَى نَبيَّه -ﷺ-وخَصَّه بأشياءَ كَثيرةٍ دونَ غيرِه في الدُّنيا والآخرةِ، ومِن هذه الأشياءِ الَّتي أعْطاها اللهُ عزَّ وجلَّ لِنَبيِّه -ﷺ-الكوْثرُ.

لقد اختلف أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الْكَوْثَرَ:1] إلى أقوال عدة منها:

يقول الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله -ﷺ- في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعِظَم قدره.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله -ﷺ- بأن ذلك كذلك".[4]

يقول القرطبي:" واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي -ﷺ- على ستة عشر قولا"، وأصح هذه الأقوال إنه: نهر في الجنة، لأنه ثابت عن النبي -ﷺ- نص في

---

1 - الأصبهاني، دلائل النبوة، ص:9.

2 - القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى-ﷺ-، دار السعادات، ط:1، ت:2013م، دبي. 58/1.

3 - عبد الرحمن بن عبد الملك السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث، ط:1، ت:2008م، القاهرة.395/1.

4 - جامع البيان، 8803/10.

الكوثر، وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أعطيه رسول الله -ﷺ- زيادة على حوضه -ﷺ-".[1]

عن ابن عباس قال: "الكوثر": الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير: إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه".[2]

وعن عائشة(ت:57هـ) -رضي الله تعالى عنها- سألها عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قالت:" هو نهر أعطيه نبيكم -ﷺ- شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم".[3]

عن أنس قال: بينما رسول الله -ﷺ- ذات يوم بين أَظْهُرِنا إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه مبتسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال:" أنزلت على آنفا سورةٌ، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾"[الكوثر:1-3]، ثم قال: "أتدرون ما الكوثَرُ"؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وَعَدَنِيهِ ربي عز وجل عليه خيرٌ كثيرٌ هو حوض تَرِدُ عليه أمتي يومَ القيامة، آنِيَتُه عددُ النُّجومِ فَيُخْتَلَجُ العبدُ منهم فأقول: ربِّ إنه مني، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك".[4]

وعن عبد الله بن عمرو: قال رسول الله -ﷺ-:" حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكِيزَانُه[5] كنجوم السماء، من يشرب منها لم يظمأ بعده أبدًا".[6]

ولا يمنع إرادة اللفظ المشترك في أكثر من معنى، فيكون المراد بالكوثر نهر في الجنة الموعود به رسول الله-ﷺ-، وكذلك معنى الخير الكثير.

10- انشقاق القمر له-ﷺ-:

---

1 - الجامع لأحكام القرآن،169/20.

2 - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر،2405/5 برقم:6207.

3 - م ن، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكوثر، 1900/4، برقم:4681.

4 - صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، 300/1.برقم: 400. ور: محمد الأمين بن الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، ت:1995م، بيروت. 9/ 127.

5 -المُكوَّزُ المُكوَّزُ رجلٌ مُكوَّز الرأْس: طويلُه.

6 - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات نبينا -ﷺ- 4 / 1794، برقم: 2292.

من الأمور المتفق عليها بين العلماء أن انشقاق القمر وقع في عهد رسول الله –ﷺ– وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات، التي خصه الله بها قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:1–2].

وفي انشقاق القمر اثبات الحجة على نبوته–ﷺ– ، يقول الجصاص(ت:370):" لأن الله لا يقلب العادات بمثله إلا ليجعله دلالة على صحة نبوة النبي –ﷺ–، فإن قيل معناها سينشق في المستقبل عند قيام الساعة لأنه لو كان قد انشق في زمان النبي –ﷺ–لما خفي على أهل الآفاق، قيل له هذا فاسد من وجهين أحدهما: أنه خلاف ظاهر اللفظ وحقيقته، والآخر: أنه قد تواتر الخبر به عن الصحابة ولم يدفعه منهم أحد، وأما قوله إنه لو كان ذلك قد وقع لما خفي على أهل الآفاق، فإنه جائز أن يستره الله عنهم بغيم أو يشغلهم عن رؤيته ببعض الأمور لضرب من التدبير، ولئلا يدعيه بعض المتنبئين في الآفاق لنفسه، فأظهره للحاضرين عند دعاء رسول الله –ﷺ–إياهم واحتجاجه عليهم، وروى انشقاق القمر عن عشرة من الصحابة منهم عبدالله بن مسعود وابن عمر وأنس وابن عباس–رضى الله عنهم جميعا–".[1]

قال الخطابي:" انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك انه ظهر في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، وقد أنكر ذلك بعضهم فقال: لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس، لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء، والدواعي متوفرة على رؤية كل غريب، ونقل ما لم يعهد فلو كان لذلك أصل لخلد في كتب أهل التفسير، والتنجيم إذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله؟ ".[2]

والجواب عن ذلك إن هذه القصة خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لأن القمر لا سلطان له بالنهار، ومن شأن الليل ان يكون أكثر الناس فيه نياما ومستكنين بالأبنية والبارز بالصحراء منهم إذا كان يقظان يحتمل انه كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد إن يقصدوا إلى مراصد مركز القمر ناظرين إليه لا يغفلون عنه فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به أكثر الناس وانما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه، ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ثم ابدى حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن بما حاصله".[3]

---

1 – أبوبكر أحمد الجصاص، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ط:1، ت:1335هـ، بيروت.298/5.

2 – فتح الباري،218/7.

3 – م ن،218/7.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ وانشق القمر﴾[القمر:1]، يقول الثعلبي (ت:875هـ):" قيل إن المعنى ينشق القمر يوم القيامة، وهذا القول ضعيف؛ لأن الأمة على خلافه، وذلك أن قريشاً سألت رسول الله-ﷺ- آية فقيل مجملة، وهذا قول الجمهور، وقيل بل عاينوا شق القمر، وعن ابن عباس فأراهم الله انشقاق القمر، فرآه رسول الله-ﷺ- وجماعة من المسلمين والكفار، فقال رسول الله-ﷺ-" اشهدوا " وممن قال من الصحابة رأيته: عبد الله بن مسعود وجبير بن مطعم وأخبر به عبد الله بن عمر وأنس وابن عباس وحذيفة بن اليمان-رضي الله عنهم-، وقال المشركون عند ذلك: سحرنا محمد. وقال بعضهم: سحر القمر وقالت قريش استخبروا المسافرين القادمين عليكم، فما ورد أحد إلا أخبر بانشقاقه وقال ابن مسعود: رأيته انشق فذهبت فرقة وراء جبل حراء، وقال ابن زيد: كان يرى نصفه على قعيقعان والآخر على أبي قبيس".[1]

قال علي بن إبراهيم الحلبي(ت:1044هـ):" كَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فِي آخر لَيَالِي مِنًى لَيْلَةَ النَّفْرِ، وَفِيهَا اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ بِمِنًى وَفِيهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، وَالْعَاصِي بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَسَأَلُوا النَّبِيءَ -ﷺ-إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشُقَّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ فَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَالْعُمْدَةُ فِي هَذَا التَّأْوِيلِ عَلَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي «الصَّحِيحِ» قَالَ: " انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيءِ -ﷺ-بِمِنًى فَانْشَقَّ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ دُونَهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:" اشْهَدُوا".[2]

وفي تفسير هذه الآية يقول الخازن:" اقتربت الساعة، أي دنت القيامة، وانشق القمر، قيل: فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله -ﷺ-الظاهرة ومعجزاته".[3]

ولكن أرى أنه لا ضرورة لهذا التقديم والتأخير، لأن اقتراب الساعة هو موضوع الخبر الأصلي، واتصاله بانشقاق القمر دليل على قربه، فالترتيب على أصله.

ويؤكد محمد الشوكاني(ت:1250هـ) في تفسيره على وقوع الانشقاق للقمر بقوله:" قد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة بزيادة قد والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله -ﷺ-وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف، وقال الواحدي(ت:468هـ) وجماعة المفسرين: على هذا إلا ما روى عثمان بن عطاء(ت:155هـ) عن أبيه أنه قال: المعنى سينشق القمر، والعلماء كلهم

---

1 – عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:1998م، بيروت.236/5.

2 – صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة القمر، 1843/4، برقم:4583. علي بن إبراهيم الحلبي، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية، ط:2، ت:2007م، بيروت. 330/1.

3 – لباب التأويل في معاني التنزيل،12/6.

على خلافه قال وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لأن انشقاقه من علامات نبوة محمد –ﷺ–ونبوته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة".[1]

وحاول أحمد العمري التشكيك في وقوع هذه الحادثة، بانياً تشكيكه على نقاط واهية باطلة، وتمسكه بقول ضعيف مرجوح هو أن الآية الكريمة رغم أنها بصيغة الماضي فالمقصود بها أن الانشقاق سيحصل في المستقبل. واسند هذا القول إلى العز بن عبد السلام.[2]

ولكن الذي لم ينقله العمري أن العز بن عبد السلام قال في تفسيره:" {اقْتَرَبَتِ} دنت سميت ساعة لقرب الأمر فيها، أو لمجيئها في ساعة من يومها {وَانشَقَّ الْقَمَرُ} اتضح الأمر وظهر يضربون المثل بالقمر فيما وضح وظهر، أو انشقاقه انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما سمي الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه، أو ينشق حقيقة بعد النفخة الثانية، أو انشق على عهد رسول الله –ﷺ– عند الجمهور، عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال:" رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين، بمكة قبل مخرج الرسول –ﷺ– إلى المدينة شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء فقالوا سحر القمر".[3] وهو الأقوى، ولا ينفي ذلك أنه أتى بأقوال أخرى في تفسير الآية، فقد جاء بها للأمانة العلمية ثم رجح قول الجمهور.

كذلك فعل العمري مع النيسابوري حيث نقل الشبهة بين الأقوال التي ذكرها، ولم ينقل رأيه الذي يقول فيه:" ذكر هاهنا دليلا على الاقتراب وهو قوله: وَانْشَقَّ الْقَمَرُ في الصحيحين عن أنس أن الكفار سألوا رسول الله –ﷺ– آية فانشق القمر مرتين. وعن ابن عباس: انفاق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت. وقال ابن مسعود: رأيت حراء بين فلقتي القمر. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم –ﷺ– هذا قول أكثر المفسرين. وعن بعضهم أن المراد سينشق القمر وصيغة الماضي على عادة إخبار الله، وذلك أن انشقاق القمر أمر عظيم الوقع في النفوس فكان ينبغي أن يبلغ وقوعه حد التواتر وليس كذلك. وأجيب بأن الناقلين لعلهم اكتفوا بإعجاز القرآن عن تشهير سائر المعجزات بحيث يبلغ التواتر، وأيضا إنه سبحانه جعل انشقاق القمر آية من الآيات لرسوله ولو كانت مجرد علامة القيامة لم يكن معجزة له، وهذا من الإعجاز وهو الإخبار عن الغيوب".[4]

إن العمري قد نقل لنا الشبهات، وتجاهل تفنيد العلماء لها، ليقول لنا بعد ذلك: "من المهم التذكير بأن إنكار حدوث الانشقاق فعلياً في مكة في عهد الرسول ليس بدعة معاصرة يقولها

---

1 – فتح القدير، 120/5.

2 – أحمد العمري، السيرة مستمرة، عصير الكتب للنشر، ط:1، ت:2018م، الإسكندرية. ص:245.

3 –عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، ط:1، ت:1996م، بيروت. 254/3.

4 – الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، ت:1996م، بيروت. 216/6.

المتأثرون بالغرب، كما نتهم عادة، بل هو أمر كان موجوداً ومطروحاً ومتفاعلاً معه منذ عصر التابعين وما بعدهم، صحيح أنه لم يكن القول السائد، ولكنه كان موجوداً ومنقولاً ولم يتهم أحد بإيمانه جراء ذلك".[1]

لماذا لم يذكرها الفلكيون في سجلاتهم وبخاصة في الصين والهند، حيث اهتموا بتدوين أحداث فلكية أقل أهمية بكثير من هذه؟

والجواب عن هذا أن يقال: لا يوجد تاريخ أصدق من كلام الله عز وجل" القرآن"، ولا تاريخ أصدق مما جاء في الصحيحين "البخاري ومسلم"، حيث تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول.[2]

يقول ابن حجر:" وربما كان عندهم في تلك الليلة غيوم وأمطار حجبت رؤية القمر، أو يقال: إن انشقاق القمر لم يبق مدة طويلة حتى يتمكن الناس من رؤيته، إذا ربما تكون المدة يسيرة حين شاهده الناس ثم تلاءم، وربما انضاف إلى ذلك أن الناس في ذلك الوقت في الهند مثلاً كانوا نياماً لأن الهند يسبق مكة في الزمن، فيقع هذا وهم نائمون ثم يلتئم قبل أن يستيقظوا، ثم إنه لا يهمنا في شيء كون علماء الهند قالوه أم لم يقولوه، فما دام موجوداً في كتاب الله عز وجل وفيما صح عن رسول الله -ﷺ-، فلا يهمنا أن ينقل أو لا ينقل".[3]

11- خصه برحلة الإسراء والمعراج:

لم يسمع التاريخ منذ أزله إلى اليوم عن رحلة أكثر عظمة وإبهارا وإعجازا وقداسة من رحلة الإسراء والمعراج، التي كسرت حدود المكان وآفاق الزمان، وقواعد المنطق المتداول لدى عموم البشر، منذ الأزل إلى اليوم.

كان لهذه الرحلة عالمها الخاص، وأفقها الممتد في فضاء قدرة الله -ﷻ-، كانت أول لقاء في بحبوحة السماء بين أهل الأرض والملأ الأعلى.

إنها المعجزة الخالدة التي استقرت في أعماق الوجدان الإسلامي، ملهمة للإبداع الإنساني في تخيل رحلة وأحداث ولقاء لا يحيط به عقل بشري ولا يتصوره خيال شاعري مجنح.

رحلة الإسراء، جلال سماوي يمحو آلام عام الحزن، وكان كل شيء جاهزا ومرتبا بقدرة "كن فيكون".

فقصة الإسراء إلى بيت المقدس ثابتة بالوحي في قوله تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:1] قال القاضي عياض:" الحق والذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف

---

1 – السيرة مستمرة، ص:240-248.

2 – أرشيف ملتقى أهل الحديث – الأبحاث العلمية، المكتبة الشاملة الحديثة، ت:2010م، ص:123.

3 – فتح الباري، 218/7.

وعامة المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين أنه أسرَى بالجسد، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل".[1]

ويقول ابن عطية في تفسير هذه الآية:" ووقع الإسراء في جميع مصنفات الحديث ، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش عمن رواه عشرين صحابياً ، فروى جمهور الصحابة وتلقى جل العلماء منهم أن الإسراء كان بشخصه –ﷺ–، وأنه ركب البراق من مكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه ، وقالت عائشة ومعاوية إنما أسري بنفس رسول الله –ﷺ–ولم يفارق شخصه مضجعه وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق من ربه عز وجل، واحتج لقول عائشة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ [الإسراء:60]".[2]

ويضيف قائلا:" وجوزه الحسن وابن إسحاق وغيرهما، والصحيح ما ذهب إليه الجمهور، ولو كانت منامة ما أمكن قريشاً التشنيع ولا فضل أبو بكر بالتصديق، ولا قالت له أم هاني: لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك إلى غير هذا من الدلائل".[3]

ويقول الشعراوي:" والإسراء والمعراج كان بالجسد والروح معه، واستدل العلماء على ذلك بقوله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ [الإسراء:1]. والتسبيح هو تنزيه الله عن النقص والعجز وهذه لا يتأتى إلا بالعظائم، ولو كان الأمر مناما لما كان مستعظما، وبقوله تعالى: ﴿بعبده﴾ والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، هذا مدلولها، لا يمكن أن تُطلَق على الروح فقط، لكن لماذا اختار الحق سبحانه لرسوله –ﷺ–هذه الصفة بالذات؟ نقول: لأن الله تعالى جعل في الكون قانوناً عاماً للناس، وقد يُخرَق هذا القانون أو الناموس العام ليكون معجزةً للخاصة الذين ميَّزهم الله عن سائر الخَلْق، فكأن كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء، أي: أُسْرِي به؛ لأنه صادق العبودية لله، وما دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه، فاستحق أنْ يكون له مَيْزة وخصوصية عن غيره ".[4]

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه ما كان بروحه–ﷺ–يقول أبوشهبة (ت:1403ه):" ونسب القول به إلى السيدة عائشة– رضي الله عنها– وسيدنا معاوية –ﷺ– ورووا في هذا عن السيدة عائشة أنها قالت: «ما فقدت جسد رسول الله –ﷺ–، ولكن أسري بروحه» وهو حديث

---

1 – عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة، ط:1، ت:1998م، مصر.497/1.

2 – المحرر الوجيز،4 / 213. بتصرف

3 – م ن ،4 / 213.

4 – تفسير الشعراوي، 5084/1.

غير ثابت، وهّنه القاضي عياض في «الشفا» سندا ومتنا، وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع، ومما يضعف هذا الأثر ويرده أن السيدة عائشة لم تكن حينئذ قد دخل بها النبي، فإن من المتفق عليه أن رسول الله –ﷺ–لم يبن بها إلا بعد الهجرة، وإن خطبها قبلها بسنة، وقيل بسنتين، ويرد ذلك أيضا أن الثابت عنها أنها كانت تنكر على من يقول: أن محمدا رأى ربه ليلة المعراج، وتستدل بآيات من الكتاب الكريم على حسب اجتهادها وفهمها، فلو كانت ترى هذا الرأي الذي نسبوه إليها زورا لكان أقرب شيء في ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن بجسده، ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك، وأيضا فإن ما روي عن معاوية غير صحيح، وهو حين الإسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد، ولو سلمنا ما نسب إليهما– جدلا– فظواهر القران والسنة الصحيحة ترده".[1]

وأبعد من هذا القول قول من ذهب إلى أنهما كانا في المنام، ويستدلون لذلك بقوله تعالى:

﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾[الإسراء:60]، وقالوا: إن الآية تشير إلى الإسراء والمعراج، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية.

وليس أدل على ردّ استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها:" هي رؤيا عين أريها رسول الله –ﷺ–ليلة أسري به، والشجرة الملعونة شجرة الزقّوم ".[2]

ومراد ابن عباس–ﷺ– برؤيا العين– جميع ما عاينه –ﷺ–ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية، وابن عباس هو حبر الأمة، وترجمان القران، ومن أعلم الناس بالعربية، وكان إذا سئل عن لفظ من القران ذكر له شاهدا من كلام العرب، فكلامه حجة في هذا، والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضا.[3]

وقال الطبري: " ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوّته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزا لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره".[4]

---

1 – السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، 411/1.

2 – صحيح البخاري– كتاب التفسير– سورة الإسراء – باب وما جعلنا الرؤيا، 1748/4، برقم: 4439. وكتاب القدر، باب: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، 2439/6، برقم:6239

3 – السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ،412/1.

4 –جامع البيان،5081/6.

ولم يذكر المعراج بصريح اللفظ، بل بالإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم:13-18]، يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾:" اللام في {البصر} يحتمل وجهين أحدهما: المعروف وهو بصر محمد -ﷺ-، أي ما زاغ بصر محمد، وعلى هذا فعدم الزيغ على وجوه، إن قلنا الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش، فمعناه لم يتلفت إليه ولم يشتغل به، ولم يقطع نظره عن المقصود، وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء، وامتحاناً لمحمد -ﷺ-".[1]

12-كونه -ﷺ- خاتم النبيين:

وبهذا يتضح أن كل ما ورد في أن النبي محمداً -ﷺ- هو خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، أنه يدل على أنه لا رسول بعده أيضاً، لأنه لن يكون هناك رسول إلا وهو نبي، ولو جاء النص على أن الرسول محمداً -ﷺ-هو خاتم الرسل، لم يكن هذا النص نافيا لوجود نبي بعده، لأنه يحتمل أن يوجد نبي وليس برسول، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الأحزاب:40]، قال ابن كثير:" فهذه الآية نص في أنه لا نبي ولا رسول بعده؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس".[2]

وقد نصَّ النبي -ﷺ-على ختم النبوة به، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: مَثَلِي ومَثَلُ الأنْبِياءِ مِن قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيانًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ مِن زَواياهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به ويَعْجَبُونَ له ويقولونَ: هَلّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ قالَ فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتَمُ النبيّينَ".[3]

قال ابن عطية:" هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضيه نصا أنه لا نبي بعده -ﷺ- ".[4]

وإذا خُتِمت النبوة خُتِمت الرسالة، فلا يُبعث بعده نبيٌّ ولا رسول، فهو-ﷺ- خاتم النبيين، توافقا مع أن شريعته الإسلام آخر شريعة دينية من الله تعالى، كما يتلازم ذلك مع عموم هذه الرسالة التي شملت أحكامها أحوال الأمم على مختلف العصور، ولمّا كان النبي وصف لكل من

---

1 - التفسير الكبير ،411/14.

2- تفسير ابن كثير، 470/5.بتصرف.

3 - البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، 558/6، برقم:3535. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه -ﷺ- خاتم النبيين، 1791/4، برقم:2286.

4 - المحرر الوجيز، 388/4.

بعثه الله من البشر، فهو أخص من الرسول حامل رسالة من الله، ولكن وصفه لمحمد-ﷺ-بأنه خاتم النبيين أعم من وصفه أنه خاتم المرسلين.

13-عموم رسالته -ﷺ-:

وهذه من خصائصه الكبرى -ﷺ- ، حيث كان النبي يرسل إلى قومه خاصَّة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:4]. وقال تعالى:﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]، وأمّا نبينا محمد -ﷺ- فقد قال الله له: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:158].

وصرح تعالى بشمول رسالة النبي -ﷺ- لأهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:20].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1] ، يقول القرطبي:" والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن؛ لأن النبي -ﷺ- كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن:1-2]، وكون رسالته -ﷺ- خاتمة الرسالات، يقضي ويدلّ دلالة قاطعة على أن النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته واتباع ما جاء به، فقد قامت الحجة وثبتت رسالة النبي-ﷺ- وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة. [1]

إن رسالته-ﷺ-للناس كافة، قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ [سبأ: 28]. يقول وهبة الزحيلي:" وليعلموا أننا أيها النبي أرسلناك رسولا للناس قاطبة، العرب والعجم، الأبيض والأسود، مبشرا الطائع بالجنة، ومنذرا العاصي بالنار، لكن أكثر الناس لا يعلمون بعموم الرسالة النبوية ولا بمهمة التبشير والإنذار، ولا بخطورة الضلال". [2]

وبلَّغَ -ﷺ- الناس جميعاً أنه خاتم الأنبياء، وأن رسالته عامة، فعن جابر بن عبد الله قال: قالَ رسول الله -ﷺ-:" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى كل أحمر وأسود، وأُحِلَّتْ لي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ

1 - الجامع لإحكام، 4/13، ور: الصادق بنُ محمَّد بن إبراهيم، خصائص المصطفى-ﷺ- بين الغلو والجفاء، مكتبة الرشيد، ط:1، ت:2999م، الرياض.1/24-25.

2 - التفسير المنير، 510/11.

مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامة".[1]

ومن توابع خصيصة ختمه الأنبياء، أن شرعه مؤبد إلى يوم القيامة، وناسخ لجميع الشرائع قبله، قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]، قال السيوطي:" استدل بهذه الآية على أن شرعه –ﷺ– ناسخ لكل شرع قبله".[2]

1 – صحيح البخاري، كتاب التيمم،128/1، برقم:328. وكتاب الصلاة، باب قول النبي –ﷺ– : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، 533/1، برقم: 438.

2 – السيوطي، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، ت: 1985م، بيروت. ص:354.

المبحث الرابع: توصيف أخلاقه -ﷺ-:

الخَلْق "بفتح الخاء" مختص بالهيئة والصفة المُدْرَكة بالبصر، والخُلُق (بضم الخاء) متعلق بالخصال والخلال المدركة بالبصيرة. وحقيقة الخُلُق في اللغة: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب؛ لأنه يصير كخِلْقته الظاهرة التي يُعرَف بها لأنها ملازمة له.

قال تعالى مادحاً وواصفاً خُلق نبيه الكريم -ﷺ-:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم:4]، قال ابن كثير في تفسيره:" ومعنى هذا أنه -ﷺ-صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً .... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل".[1]

يقول البيهقي:" وأخلاق الرسول -ﷺ- هي الأخلاق التي بينها ربنا جل وعز، ودعانا إلى اتباعها في القرآن الكريم، وقد أدركت ذلك، وشهدته رؤية عين، أقرب الناس إلى الرسول -ﷺ-، في أقواله وأفعاله وأحواله، أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فلما سُئِلَتْ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ -ﷺ-، فلم تجد وصفا يبين عظمة أخلاق الرسول -ﷺ-، إلا بنسبة هذه الأخلاق إلى الوحي الإلهي، في كماله وجلاله. فقالَتْ: كان خُلُقُه القُرآنَ".[2]

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة -رضي الله عنها- ترشدنا إلى أن أخلاقه جَميعَ ما حصَلَ في القرآنِ، ومِن كلِّ ما استحْسَنَه وأثْنى عليه ودعا إليه، من إيمان، وصدق، وصبر، وحلم، وكرم، واستقامة.

لقد اتصف رسول الله-ﷺ- بالعديد من الأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة، التي لا يمكن حصرها، حيث كانت بعثته في إتمام مكارم الأخلاق، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-:" إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ".[3]

وعن جابر بن عبد الله قال: قال:" رسول الله-ﷺ- إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال".[4]

---

1 - تفسير ابن كثير،81/7.

2 - البيهقي، شعب الإيمان، 154/2، برقم:612. الحديث صححه شعيب الأرناؤوط، في تخريج المسند، برقم:25813. والطحاوي، شرح مشكل الأثار، مؤسسة الرسالة، ط:1،ت:2001م،15/43، برقم4435.

3 - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط:4، ت: 1997م، السعودية. باب خاتم النبيين -ﷺ-، 1300/3، برقم: 3341.

4 - الطبراني، المعجم الأوسط، 87/9، برقم:6895. صرح الحاكم بصحته وفق شرط مسلم ووافقه الذهبي.

صدقه-ﷺ-:

فكان له من الصدق القسط الأكبر، والحظ الأوفر، شهد له بذلك القاصي والداني، ويكفيه -ﷺ- شهادة ربه -عز وجل- مُزكّيًا له-ﷺ- بقوله: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون﴾ [الزمر: 33] يقول أبو السعود في تفسير هذه الآية:" وقُرِىء وصدَق به بالتَّخفيفِ، أي صدَقَ بهِ النّاسَ فأدَّاه إليهم كما نزلَ من غيرِ تغيير، وقيل: وصارَ صادقاً به أي بسببهِ، لأنَّ ما جاء به من القرآنُ معجزةٌ دالَّةٌ على صدقه -ﷺ-".[1]

ووصف الله القرآن بالحق وأن رسوله-ﷺ- صدق المرسلين من قبله، قال تعالى: ﴿بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِين﴾ [الصافات:37]، ونزه الله كلام رسوله عن الهوى، فقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:2-4].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَىْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِى قُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَىْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ:" اكْتُبْ فَوَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ".[2]

حتى في الحرب التي أُبيح فيها الكذب وخداع العدو كان -ﷺ- صادقًا، يقول ابن كثير:" خرج رسول الله-ﷺ- ومعه أبو بكر الصديق-ﷺ- ليتعرَّفا أخبار قريش، فوقفا على شيخٍ من العرب، فسأله رسول الله-ﷺ- عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟، فقال رسول الله-ﷺ-:" إِذَا أَخْبَرْتنَا أَخْبَرْنَاكَ"، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي به رسول الله - وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -للمكان الذي فيه قريشٌ- فلمَّا فرغ من خبره، قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله-ﷺ-: "نَحْنُ مِنْ مَاءٍ"، ثم انصرف عنه.."، والله تعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:30]، وهذا ما كان يقصده الرسول -ﷺ- بقوله: "نَحْنُ مِنْ مَاءٍ"، وبهذا يكون صدق في حديثه للرجل؛ فقد كان إخبار الرسول -ﷺ- الشيخ عن حقيقة هويته يُشكِّل خطرًا على المسلمين، رُغم ذلك لم يلجأ النبي-ﷺ- إلى الكذب، بل استخدم التورية والتعريض، وفي المَعاريض مندوحة عن الكذب، وبذلك حفظ جناب الصدق في قوله بلا إضرار بالمصلَحة العامَّة. [3]

---

1 - إرشاد العقل السليم 10/6.

2 - أبو داود، السنن الكبرى، كتاب العلم، باب: كتابة العلم،356/3، برقم:3648.قال يحي القطان: اسناده صحيح، والمزي في تهذيب الكمال،38/31.

3 - ابن هشام، السيرة النبوية،459/2.

تواضعه-ﷺ-:

كان رسول الله -ﷺ-جمَّ التَّواضُع، لا يعتريه كِبرٌ ولا بَطَرٌ على رِفْعَة قَدْرِه وعلوِّ منزلته، يخفض جناحه للمؤمنين ولا يتعاظم عليهم، لقد حاز نبينا محمد -ﷺ- من الأخلاق أعلاها وأكملها، والتواضع كان وصفا له-ﷺ-، تخلَّق به امتثالا لأمر الله تعالى حين خاطبه بقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:88]، يقول الطبري:" يقول تعالى لنبيه محمد -ﷺ-: وألِن لمن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقرِّبهم منك، ولا تجف بهم، ولا تَغْلُظ عليهم، يأمره تعالى بالرفق بالمؤمنين، والجناحان من بني آدم: جنباه". [1]

كان النَّبيُّ -ﷺ-أحْسنَ الناسِ خُلقًا، ومتَّصِفًا بمكارِمِ الأخلاقِ كلِّها، ومنها التَّواضُعُ والرِّفقُ بالنَّاسِ، والتَّبسُّطُ مع أصحابِه دون تَضييعٍ للهَيبةِ والوَقارِ، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال:" أتى النَّبيَّ -ﷺ-رجلٌ، فَكَلَّمَهُ، فجَعلَ ترعدُ فرائصُهُ، فقالَ لَهُ: هوِّن عليكَ، فإنِّي لستُ بملِكٍ، إنَّما أَنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ".[2]

من أول لحظات الخروج من المدينة إلى بدر، فقد كان الصحابة يتناوبون على الإبل لقلة عددها، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:" كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، وكَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رضى الله عنهما- زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ:" مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا". [3]

يقول محمد الغزالي(ت:1416ه):" كان النَّبيُّ -ﷺ- أكثرَ الناس تواضُعًا، حتى إنَّه لَمَّا فتَحَ اللهُ له مكَّةَ ودَخَلَها مُنتصِرًا مُظفَّرًا بفَضلِ اللهِ، لم يَتَكبَّرْ أو يَتَعالَ على أحَدٍ".[4]

كان النَّبيُّ -ﷺ- أكثرَ الناس تواضُعًا، حتى إنَّه لَمَّا فتَحَ اللهُ له مكَّةَ ودَخَلَها مُنتصِرًا مُظفَّرًا بفَضلِ اللهِ، لم يَتَكبَّرْ أو يَتَعالَ على أحَدٍ، إنه -ﷺ- لا يتواضع في كلماته فقط، بل في شكله الخارجي، ومظهره الذي يراه الجميع من المسلمين والكافرين، وفي هذا يقول أنسُ بنُ مالكٍ-ﷺ-:" دخَلَ النَّبيُّ -ﷺ- مكَّةَ يَومَ الفَتحِ، وذَقَنُه على رَحْلِه"، أي: مِن شِدَّةِ تَواضُعِه -ﷺ-".[5]

يقول الندوي:" خفَضَ رَأسَه-ﷺ- حتى أنَّ لِحيَتَه مَسَّتْ رَحْلَه؛ فلمْ يَرفَعْ رَأسَه مُتكبِّرًا، بلْ دَخَلَها مُتواضِعًا مُتخَشِّعًا"، أي: مُظهِرًا الخَشيَةَ والخَوفَ من اللهِ عزَّ وجلَّ، وذلك خضوعًا منه لله

---

1 – جامع البيان، 4928/6.

2 – سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب القديد، 1101/2، برقم:3312. صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، برقم:1876.

3 – الإمام أحمد، المسند، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، 17/7، برقم:3901. قال شعيب الأرناؤوط: اسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة، وبقية رجاله ثقات، ور: صحيح السيرة، ص:160.

4 – الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، ط:1، ت:2006م، القاهرة. ص:379.

5 – محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط:2، ت:1993م، بيروت. 548/2. صححه الذهبي.

وشكرًا وحمداً له على ما أكرمه الله عز وجل به من الفتح المبين العظيم. وكان يقرأ سورة الفتح، مستشعرًا بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز، وهذا مع أنَّه مَوضِعٌ ووَقتٌ يُمكِنُه فيه الفَخرُ والتَّعاظُمُ على أهلِ مكَّةَ الذين آذَوْه وأخرَجوه، ولكنَّه يَفعَلْ تَواضُعًا للهِ، وتَعليمًا لأُمَّتِه كيف يَصفَحون ويَعفون عمَّن ظَلَمَهم، مع تَعظيمِه لحُرمَةِ مكَّةَ والبَيتِ الحَرامِ، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:88]".[1]

كان -ﷺ- يحث أمته على التواضع عن عياض بن حمار أخي بني مجاشع قال:" قام فينا رسول الله-ﷺ-ذات يوم خطيبا فقال:" إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ".[2]

حلمه وعفوه-ﷺ-:

يقول محمد أبوزهرة:" ولقد هيأ الله تعالى محمدا -ﷺ-ليكون الهادي إلى الحق، وإلى صراط مستقيم، فوهبه الخلق الكامل، الذى يؤلف القلوب، ويجمع النفوس، إلا من طغى واستكبر، وآثر الهوى على الحق، إذا كان المسيح عيسى بن مريم-عليه السلام-قد كان خلقه السماحة يعفو عن المسيء كذلك خلق النبيين عامة، وخلق محمد بن عبد الله -ﷺ-خاصة، وكان ذلك إيجابيا، وليس سلبيا، يفعل الخير ويجتنب الشر، وكان التاجر السمح الصبور، ولقد امتدت هذه الأخلاق إلى ما بعد النبوة، فكانت دعامة الدعوة، فسار بسنة العفو عن الإساءة، والإعراض عن الجاهلية، وقد كان ذلك الخلق يجذب الناس إلى الايمان من غير دليل ولا برهان، وإن كان الحق واضحا في ذاته، وزاده وضوحا خلق النبي الكريم -ﷺ-، استجابة لقوله تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. [3]

يقول الشعراوي:" وهذه آية جمع فيها المولى سبحانه وتعالى مكارم الأخلاق، وبعد أن أبلغ الحق تبارك وتعالى رسوله -ﷺ-بأن يدعو المشركين لأن يكيدوا له مع شياطينهم وأصنامهم ولن يستطيعوا، وبعد ذلك يوضح له: أنا أحب أن تأخذ بالعفو، وفي هذا تعليم لرسول الله -ﷺ- ولمن يتبعه".[4]

---

1 – الندوي، السيرة النبوية، ص:337.

2 – صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، 2198/4، برقم:2865.

3 – خاتم النبيين،175/1

4 – تفسير الشعراوي،3170/1.

عَنْ جابِرٍ قالَ: لَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بِالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ﴾، قالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: يا جِبْرِيلُ، ما تَأْوِيلُ هَذِهِ الآيَةِ؟ قالَ: حَتّى أسْألَ، فَصَعِدَ ثُمَّ نَزَلَ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أنْ تَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وتُعْطِيَ مَن حَرَمَكَ، وتَصِلَ مَن قَطَعَكَ.

وعن علي -كرم الله وجهه- قال: قالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: " ألا أدُلُّكم عَلى أشْرَفِ أخْلاقِ الدُّنْيا والآخِرَةِ". قالُوا: وما ذاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ:" تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وتُعْطِي مَن حَرَمَكَ، وتَصِلُ مَن قَطَعَكَ".[1]

يقول الزحيلي في تفسير الآية:" اشتملت هذه الآيات على مقومات نجاح الدعوة النبوية وأصول الحكم الإسلامي ومنهج التعامل مع الناس. وأول هذه المقومات: فالله تعالى جعل نبيه- ﷺ- سهل المعاملة، ليّن الكلام والإرشاد، شديد العطف، إذ لو كان شديد النفس غليظ القلب، لانفض الناس من حوله، ولكن الله جعله-ﷺ- رحمة مهداة للعالمين: قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]".[2]

وفاء رسول الله-ﷺ-:

مما تحلى به الرسول الكريم-ﷺ-، من الأخلاق الفاضلة، والشمائل الطيبة، الوفاء بالعهد، وأداء الحقوق لأصحابها، وعدم الغدر، امتثالاً لأمر الله حيث قال: ﴿ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام:152]، وقد وصلت أهمية الأمر عند رسول الله-ﷺ- أن يتبرّأ من الغادرين ولو كانوا مسلمين، ولو كان المغدورُ به كافرًا؛ فقد قال النبي-ﷺ-:" منْ أمّن رجُلاً على دمّهِ فقتلهُ، فأنا برِيءٌ مِن القاتِل، وإنْ كان المقْتُولُ كافِرًا".[3]

فكان وفاؤه-ﷺ- لأعدائه في صلح الحديبة، ملتزماً بالشروط وفياً مع قريش، فعن أنس -رضي الله عنه- أنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبيَّ - ﷺ-فيهم سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، فَاشْتَرَطُوا علَى النَّبيِّ -ﷺ-أَنْ مَن جَاءَ مِنكُم لَمْ نَرُدَّهُ علَيْكُم، وَمَن جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقالوا: يا رَسولَ اللهِ، أَنَكْتُبُ هذا؟ قالَ:

---

1 – السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، ط:2، ت:2011م، بيروت. تفسير قوله تعالى: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، 708/6. ورواه الترمذي وابن حبان، ص:134، برقم:65، قال الألباني صحيح لغيره، انظر: صحيح الترغيب برقم:2467.

2 – التفسير المنير،227/5.

3 – محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: محمد بن صالح الدباسي، المتميز للطباعة، ط:1، ت:2019م، الرياض. 322/3، ور: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، ط:3، ت:1980م، بيروت. 24/9.

نَعَمْ، إنَّه مَن ذَهَبَ مِنَّا إليهِم فأبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَن جَاءَنَا منهمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ له فَرَجًا وَمَخْرَجًا".[1]، وتم إرجاع أبي بصير مع مجيئه مسلماً وفاءاً بالعهد.[2]

ومن عظيم وفائه يوم الفتح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:" لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مَكَّةَ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ(ت:41هـ) فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : أَرِنِي الْمِفْتَاحَ، أَيْ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ . فَلَمَّا بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهِ قَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اجْمَعْهُ لِي مَعَ السِّقَايَةِ فَكَفَّ عُثْمَانُ يَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: هَاتِ الْمِفْتَاحَ يَا عُثْمَانُ، فَقَالَ: هَاكَ أَمَانَةَ اللهِ ، فَقَامَ فَفَتَحَ الْكَعْبَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِرَدِّ الْمِفْتَاحِ ، فَدَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَأَعْطَاهُ الْمِفْتَاحَ ، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾[النساء:58].[3]

عدله -ﷺ-:

يتجلى عدل رسول الله -ﷺ-يوم بدرٍ وهو يسوي صفوف المجاهدين في سبيل الله، امتثالا لقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:4].

يقول الزحيلي:" مدح الله تعالى الذين أقدموا على قتال عدوّهم صفّا واحدا، حيث ذكر أن الله يرضى عن المقاتلين المتّحدين صفا واحدا، وكتلة متراصّة لا تتزحزح من المواقع، كأنهم بناء راسخ".[4]

إن رسول الله-ﷺ- وهو يسوي صفوف المجاهدين بقدحٍ في يده، فمرَّ على أحد الصَّحابة وهو سواد بن غزية -رضي الله عنه- وقد خرج من صفِّه فطعنه رسول الله -ﷺ- في بطنه وقال له استوِ يا سواد، فقال سواد: لقد أوجعتني يا رسول الله فأقدني، فما كان من رسول الله إلّا أن رفع عن بطنه وقال له: استقد، لكن سواداً اعتنقه وقبل بطن الرسول -ﷺ-، فقال النبي-ﷺ-: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله! قد حضر ما ترى -أي: حضر أمر القتال والحرب- فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له -ﷺ- بخير.[5]

ورغم ما حدث في غزوة أحد من تمثيل المشركين بـ حمزة بن عبد المطلب(ت:3هـ) -رضي الله عنه- عَمِّ رسول الله-ﷺ-، فإنه - ﷺ -لم يُغَيّر مبدأه، بل حرص على النهي عن المُثلة حتى مع

---

1 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، 1411/3، برقم: 1784.

2 – ابن هشام، السيرة النبوية ،307/4.

3 – جامع البيان،2388/3، تفسير المنار،168/5. الدر المنثور،175/2

4 – التفسير المنير،540/14. بتصرف.

5 – ابن هشام، السيرة النبوية،607/2، ور: على الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار ابن الجوزي، ط:1، ت:2007م، القاهرة. ص:400.

المشركين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:8].

قال القرطبي:" دَلّت الآية على أنّ كُفر الكافر لا يَمنع من العدل عليه، وأن المثلة بهم غير جائزة، وإن قَتلوا نساءنا وأطفالنا وغَمُّونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثلة قصدًا لإيصال الغمّ والحزن إليهم".[1]

ومن عدله -ﷺ- عدم قبول شفاعة أسامة بن زيد(ت:54هـ) في المرأة المخزومية التي سرقت، فعن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها-:" أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رَسُول اللَّهِ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رَسُول اللَّهِ، فكلمه أسامة فقال رَسُول اللَّهِ-ﷺ-:" أتشفع في حد من حدود الله تعالى، ثم قام فخطب فيهم قائلا:" إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد؛ وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".[2]

شجاعته وثباته-ﷺ-:

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[الأنفال:45]، إنّ ثبات النبيّ -ﷺ- ظهر واضحاً في مواجهة جميع الطرق والوسائل التي اتّبعتها قريش ضِدّه، سواءً كان ذلك من خلال تعذيبه هو وأصحابه، أو إغرائه بالدنيا وما فيها من مال ومنصب، وقد بلغ من ثبات النبيّ-ﷺ- وإصراره على الدعوة أنّه صار يُهدّدهم وهو وحده حتى أصبحوا يخشونه، وقد وصف الصحابة -رضي الله عنهم- ثبات النبي-ﷺ- في الحروب والمعارك، فعَنْ عَلِيٍّ -ﷺ- قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا".[3]

يقول محمد سيد طنطاوي في تفسيره:" أي: حاربتم جماعة من أعدائكم، فاثبتوا لقتالهم وأغلظوا عليهم في النزال، ولا تولوهم الأدبار، ثْبُتُواْ واذكروا الله كَثِيراً، لا سيما في مواطن الحرب، فإن ذكر الله عن طريق القلب واللسان من أعظم وسائل النصر: لأن المؤمن متى استحضر عظمه الله في قلبه لا تهوله قوة عدوه، ولا تخيفه كثرته".[4]

وجَاءَ رَجُلٌ إلى البَرَاءِ، فَقالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَومَ حُنَيْنٍ يا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقالَ: أَشْهَدُ علَى نَبِيِّ اللهِ -ﷺ- ما وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إلى هذا الحَيِّ مِن هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ،

---

1 – الجامع لأحكام القرآن: 99/6. ور: البوطي، فقه السيرة، ص:186.

2 – البخاري، كتاب الحدود باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، 2491/6، برقم:6406.

3 – الأمام أحمد، المسند، 82/2، برقم:654. صححه شعيب الأرناؤوط. رجاله ثقات.

4 – التفسير الوسيط للقرآن الكريم،1834/1.

فَرَمَوْهُمْ برِشْقٍ مِن نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِن جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فأَقْبَلَ القَوْمُ إلى رَسولِ اللهِ -ﷺ-، وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَارِثِ يَقُودُ به بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهو يقولُ: أَنَا النبيُّ لا كَذِبْ... أَنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ قالَ البَرَاءُ: كُنَّا وَاللَّهِ إذَا احْمَرَّ البَأْسُ نَتَّقِي به، وإنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي به، يَعْنِي النبيَّ -ﷺ-.[1]

وكان -ﷺ- يدعو في صلاته، بقوله:" اللَّهمَّ إنِّي أَسألُك الثباتَ في الأمرِ، والعزيمةَ على الرُّشدِ".[2]

وإذا كان الثباتُ بيدِ الله وحدَه، وهو نعمةٌ إلهيَّةٌ، ومِنحةٌ ربَّانيَّة، والنبيُّ الكريمُ المُؤيَّدُ بالوحي، والموعُودُ بالنصرِ والتمكين يطلُبُ عونَ ربِّه، ويدعُوه أن يُثبِّتَه، فما أحرَى المُؤمن أن يسأل اللهَ الثباتَ مِن قلبٍ صادِقٍ، ويلجَأَ إليه مُتضرّعًا ألا يُزيغَ قلبَه، ولا يفتِنَه بشيءٍ مِن زهرةِ الحياةِ الدنيا. وفي المُقابِل يحذَرُ لأن القدمَ إذا زلَّت انقلَبَ الإنسانُ مِن حالِ خيرٍ إلى حالِ شرٍّ، وفي هذا تحذيرٌ أن يكون المرءُ على الاستِقامة فيَحيدَ عنها، ويزِلَّ عن طريقِ الهُدَى والحقّ.

يقول محمد أبو شُهبة:" ثبات رسول الله-ﷺ- في موقف بُطولي فذٍّ، وهو يُواجِه الموتَ وجحافل الأعداء قد شجُّوا رأسَه، وكسَروا رَباعِيتَه، وطالوا وَجْنته، وأصرُّوا على قَتْله، وهو كالجبل الأشمّ، يدافع ويُجالِد جموعَ المشركين المحيطين به من كل ناحية، وهو يقول:" إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله"، ولم يَزَل يجمع الأصحابَ حوله حتى قَويتْ عزائمُهم، واشتدَّ صُلبُهم، واستعادوا أنفاسَهم، وعادوا إلى القتال، فكان سببًا مباشرًا في إفاقة الجيش من غفلته، التي إن طالت ربما زادت الخسائر وتضاعفت، لكنه الثبات النبوي الذي يفوق ثبات الطود الشامخ أمام الموج العاتي".[3]

يقول حسن الملطاوي:" وما أعظم تثبيت الله تعالى لنبيه في وجه أعدائه إذ يقول تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال:62]، والمعنى: إن يظهروا لك السلم كاذبين، وأبطئوا الغدر خائنين، فلا يضرك سوء نيتهم، فإن الله واقيك من مكرهم".[4]

صبره-ﷺ-:

---

1 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين،1400/3، برقم:1776.

2 – محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:2، ت:1993م، بيروت. ذكر جواز دعاء المرء في صلاته بما ليس في كتاب الله جل وعلا، 310/5، برقم:1974. الحديث حسن. وصححه الألباني. انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة برقم: 3228.

3 – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، 2/ 198.

4 – حسن الملطاوي، كتاب رسول الله-ﷺ- في القرآن الكريم، دار المعارف، ط:3، ت:1995م، القاهرة. ص:247.

كان شَأنُ النَّبيّ –ﷺ–كشَأنِ غالبِ الأنبياءِ –عليهم السَّلامُ–؛ أُوذوا في سَبيلِ اللهِ، وتَعرَّضوا للتَّكذيبِ مِن قَومِهم، فتَحمَّلوا مِن الإيذاءِ ما كَتَبَه اللهُ عليهم في سَبيلِ القِيامِ بحقِّ الأمانةِ والتَّبليغِ.

وفي ذلك كان حليفهم الصبر، حيث سماهم الله عز وجل أولي العزم، ويذكر الله رسوله– ﷺ– بأولى العزم في صبرهم بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35]، يقول الطبري في ذلك:" قوله تعالى ذكره لنبيه محمد –ﷺ–، مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة –ﷺ–، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد، فَاصْبِرْ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار، كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ على القيام بأمر الله".[1]

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:127]، يقول الألوسي في تفسير هذه الآية:" واصبر على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذية وعاينت من أعراضهم بعد الدعوة عن الحق بالكلية، وما صبرك ملابساً ومصحوباً بشيء من الأشياء إلا بذكر الله تعالى والاستغراق بمراقبة شؤونه والتبتل إليه سبحانه بمجامع الهمة، وهذا فيه من تسلية النبي–ﷺ– وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه أو إلا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة".[2]

وقال تعالى:﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:17]، يقول السعدي:" ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى، وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك ".[3]

وكان –ﷺ–يحث أصحابه على خلق الصبر على مشاق الجهاد، وخاصة عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:200]، فعن أبي هريرة–ﷺ–قال: قال النبي–ﷺ–:" لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا".[4]

---

1 – جامع البيان، 145/22.

2 – روح المعاني،346/10.

3 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 648/1.

4 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، 1362/3، برقم:1741.

يقول النووي:" وَأَمَّا قَوْله –ﷺ–:" وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا"، فَهَذَا حَثّ عَلَى الصَّبْر فِي الْقِتَال وَهُوَ آكَد أَرْكَانه".[1]

كان –ﷺ–صبورا أبلغ ما يكون الصبور، فقد كان قبل البعثة الصابر في المنشط والمكره، والصابر في الفقر والغني، والصابر في العجز والمقدرة، ثم كان بعد البعثة الصابر في أداء الرسالة، وتبليغها والدعوة إليها، صابر المشركين عند الدعوة، صابر قومه الذين جفوه، ونكروه وهم يعرفونه، وكذبوه، وهو الصادق الأمين، فما وهن في دعوته، ولا يئس من إجابته، وكان يرضى في أن يصدع بأمر ربه وهو يصبر على إنكارهم من غير أن ييأس من إيمانهم، ويدعو عليهم، فلم يقل كما قال نوح: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ، وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً﴾[نوح:26–27]، بل قال–ﷺ–: "اللَّهمَّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلَمونَ"، وقال: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا".[2]

توكله –ﷺ– على الله:

التوكل على الله هو الاعتماد عليه، وتفويض الأمور إليه، قال ابن عباس: "التوكل هو الثقة بالله، وصدق التوكل أن تَثِق في الله وفيما عند الله، فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك". وهو مقام عظيم من مقامات العبودية، وأمَر الله به نبيه –ﷺ–فقال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل:79]، قال ابن كثير: "أي: في أمورك، وبلغ رسالة ربك، أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك".[3]

وقال السعدي:" أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار، وفي تبليغ الرسالة، وإقامة الدين، وجهاد الأعداء".[4]

قد خوطب النبي –ﷺ– بالتوكل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]، وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء:81] يسأل الشعراوي عن سر التوكل، ويجيب في تفسيره بقوله:" لماذا؟ لأن الذين يؤمنون بك محدودو القدرة، ومحدودو الحيلة، ومحدودو العدة، ولكن الذي أرسلك يستطيع أن يجعل من عدد خصومك ومن عُدَّة خصومك جنوداً لك، وينصرك من حيث لا تحتسب، ولذلك فالحق سبحانه وتعالى بدأ قضية الإسلام وكان المؤمنون بها قلة، فلو جعلهم

---

1 – المنهاج شرح صحيح مسلم،183/6، برقم:3275.

2 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي–ﷺ– من أدى المشركين،1420/3، برقم:1795، ور: خاتم النبيين، 221/1.

3 – تفسير ابن كثير،253/5.

4 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /609/1.

كثرة لقالوا: كثرة لو اجتمعت على ظلم لنجحت، ولكن عندما تكون قلة وتنجح، فهذا فأل طيب ويشير على أنك لست منصوراً بهؤلاء وإنما أنت منصور بمدد الله".[1]

كذلك كان توكله-ﷺ-في الأحوال المتغيرة من حرب وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:61] يقول أبو السعود في تفسيره:" ولا تخَفْ أن يُظهروا لك السلمَ وجوانحُهم مطويةٌ على المكر والكيد، لأَنَّ الله يسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخِداع ويعلم نياتِهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويردُّ كيدَهم في نحرهم".[2]

ومن عظيم توكله على الله في غزوة ذي أمر، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أصاب المسلمين مطرٌ كثيرٌ فابتلت ثياب رسول الله-ﷺ- فنزل تحت شجرة ونشر ثيابه لتجف، واستطاع غورث بن الحارث أن ينفرد برسول الله بسيفه، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال:" الله"، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله-ﷺ- فقال: "مَنْ يمْنعُك مِنِّي؟!" قال: كن كخير آخذ، قال:" أتشْهدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ؟" قال: لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله!! قال: فذهب إلى أصحابه، قال: قد جئتكم من عند خير الناس". ونزل في ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:11]. [3]

حزنه -ﷺ-على أصحابه:

وكان الرسول -ﷺ-يحزن على أصحابه المجاهدين إن أصابهم أَلَمٌ أو قتل، وكان من رحمته أنه يبكي عليهم، مع أنهم شهداء، ولقد حزن الرسول-ﷺ- يوم أحد على عمه حمزة حزنا عظيما فقال:" لن أصاب بمثلك أبدا، وما وقفت قط موقفا أغيظ علي من هذا"، فنزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165] ثم قال:" لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم، ولكن الله نهه عن المُثلة بعد ذلك". [4]

وفي غزوة موتة حزن الرسول-ﷺ- على أصحابه، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:" إن النبي -ﷺ-نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم؛ فقال:" أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ

---

1 – تفسير الشعراوي،1696/1.

2 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،127/3.

3 – صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع،1515/4، برقم:3905. البداية والنهاية،3/4.

4 – في ظلال القرآن، 1552/3. ور: مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط:3، ت:1985م، بيروت. ص:86.

فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَإِنَّ عَيْنَيْ رسول الله –ﷺ–لَتَذْرِفَانِ، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ".[1]

وكذلك حَزِنَ –ﷺ– حُزْنًا شديدًا بسببِ تأخُّرِ الوَحْي، وشقَّ عليه فُتُورُه؛ خَشْيَةَ انقطاعِ النُّبوة، وزَوالِ الاصطفاءِ مِنَ اللهِ تعالى له، ثم حَصَلَ له –ﷺ– ما يُؤَكِّدُ نُبوَّتَه، ويَقْطَعُ الشَّكَّ باليَقِين، عن جَابِرٍ –رضي الله عنه–قَالَ: قال رسولُ الله –ﷺ– وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ:" بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 1–5]، فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ".[2]

---

1 – صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، 1554/4، برقم:4014. ابن هشام، السيرة النبوية، 294/4.

2 – صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله –ﷺ–،5/1، برقم:4.

الفصل الثاني: توصيف ظاهرة الوحي:

المبحث الأول: مفهوم الوحي، وأدلة وقوعه

يشرح ابن منظور معنى الوحي بقوله:" الوَحْيُ هو: الإشارة، والكتابة، والرِّسالة والإِلْهام، والكلام الخَفِيُّ، وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك، يقال: وحَيْتُ إِليه الكلامَ، وأَوْحَيْتُ ووَحَى وَحْياً، قال أَبو إِسحق: وأَصل الوحي في اللغة كلها إِعلام في خَفاء، ولذلك صار الإِلهام يسمى وَحْياً".[1]

ومفهوم الوحي عند الزرقاني(ت:1367هـ) هو:" أن يُعْلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده، كلَّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر".[2]

إن الملحدين اليوم يروّجون اسم" الوحي النفسي" على القرآن، وفي هذا يقول محمد دراز:" زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاءونا برأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، لا يختلف عنه في جملته ولا في تفصيله، فقد صوّروا النبيّ -ﷺ- رجلا ذا خيال واسع وإحساس عميق فهو إذا شاعر، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيرا على حواسه، حتى يخيّل إليه أنه يرى ويسمع شخصا يكلّمه، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته، فهو إذا الجنون أو أضغاث الأحلام، على أنهم لم يطيقوا الثبات طويلا على هذه التعليلات، فقد اضطروا أن يهجروا كلمة "الوحي النفسي" حينما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية والمستقبلة، فقالوا: لعله تلقّفها من أفواه العلماء في أسفاره للتجارة، فهو إذا قد علّمه بشر. فأيّ جديد ترى في هذا كله؟ أليس كله حديثا معادا يضاهون به قول جهّال قريش؟ وهكذا كان الإلحاد في ثوبه الجديد صورة متّسخة، بل ممسوخة منه في أقدم أثوابه، وكان غذاء هذه القلوب المتحضّرة في العصر الحديث مستمدّا من فتات الموائد التي تركتها تلك القلوب المتحجّرة في عصور الجاهلية الأولى، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:118]". [3]

ويقول حسن عتر(ت:1432هـ):" فقد أفادة إطلاقات اللغة أنَّ السرعة والخفاء من سمات الوحي ومزاياه". [4]

ويقول مصطفى البغا(ت:1434هـ):"ويمتاز هذا الإعلام بالسُّرعة والخِفية، يصحبه يقينٌ من الشَّخص الموحى إليه أنَّ هذا من عند الله، وقد يكون بواسطةٍ أو بدون واسطةٍ".[5]

1- لسان العرب، 239/15-240، مادة وحي.

2- مناهل العرفان في علوم القرآن، 66/1.

3 - النبأ العظيم، ص:97.

4- حسن ضياء الدين عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه، دار المكتبي، ط:1، ت:1999م، دمشق. ص:98.

5- مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، ط:2، ت:1998م، دمشق. ص:17. بتصرّف.

ويرى محمد شقرة إن الدين هو الوحي فيقول:" فإن الدين هو الوحي المنزل على النبي- ﷺ- الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران:19]". [1]

والباحث يرجح تعريف الزرقاني الذي يقول فيه:" أن يُعْلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده، كلَّ ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر، وذلك لشموله على صفة الوحي، وصفة الموحى إليه.

أدلة وقوع الوحي وثبوته:

أولاً: الأدلة القرآنية:

إن الآيات في هذا الباب كثيرة معلومة لمن نظر وتأمل بعين البصر والبصيرة، ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر، قوله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]، يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية:" فقضية التوحيد واضحة منذ بداية الرسالات إلى خاتمها، والكل جاءوا بقول لا إله إلا الله، قضية مشتركة بين جميع رسالات السماء".[2]

وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:51-52]، وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عادل (ت:775هـ):" الآية فيها بيان حال قدرته وعلمه وحكمته -سبحانه وتعالى- ببيان أنه كيف يخص أنبياءه بوحيه وكلامه".[3]

ثانياً: الأدلة من السنة:

ورد في السنة الصحيحة الثابتة جملة من الأحاديث النبوية الدالة على وقوع الوحي نذكر منها: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله-ﷺ-:" ما مِنَ الأنْبياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ".[4]

---

1 - محمد إبراهيم شقرة، تنوير الأفهام إلى بعض مفاهيم الإسلام، ط:2، ت:2000م، بيروت. 160/2.

2 - تفسير الشعراوي،5845/1.

3 - عمر بن عادل، تفسير اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1998م، بيروت. 105/14. بتصرف.

4 - صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي،336/3، برقم:4981.

ثالثاً: الأدلة العلمية:

وفي تفسير قوله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:53]، يقول الفخر الرازي:" إن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والإضلال والظلمات، وقد أكثر الله منها في القرآن، وقوله:{ وَفِي أَنفُسِهِمْ } المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام، وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة، فهذا إخبار عن الغيب وقد وقع مخبره مطابقاً لخبره ، وفق العلم الحديث، فيكون هذا إخباراً صدقاً عن الغيب، والإخبار عن الغيب معجزة، فبهذا الطريق يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقاً، وتزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم المنزّه عن المثل والضد".[1]

قيام المخترعات المادية في عصرنا دليل على ظاهرة الوحي، يقول الزرقاني:" إن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده وننتفع به، وعن طريق تلك المخترعات أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه وأن يفهمه ما شاء ويرشده إلى ما أراد، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، كما استطاع العلم أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد الجاهل بأصوات وأنغام وبقرآن وأغان وكلام على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره، أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس يهدي به خلقه".[2]

رابعاً: الأدلة العقلية:

يعتمد ابن حزم على أصل معرفي يتصل بما تحققه العلوم والصنائع من فوائد للإنسانية وهذا الأصل ينطلق من فكرة التعليم أو الوحي، فالعلوم جملة وتفصيلاً مشتقة من المعرفة الإلهية التي نقل جزء منها إلى الناس عن طريق النبوة والرسالة، فيقول:" وكذلك كل ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه من حرث، وحصاد، وعجن، وطبخ واستخراج الأدهان، ودق الكتان، وغزل القطن وحياكته، وآلات كل ذلك، وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز، واستخراج المعادن، وكل ذلك لا سبيل إلى الاهتداء إليه دون تعليم، فوجب بالضرورة، ولابد أنه من إنسان واحد فأكثر علمهم الله تعالى، ابتداء كل هذا دون معلم، ولكن بوحي حققه عنده، وهذه صفة النبوة، ومما يدل

---

1 – التفسير الكبير، 406/13.

2 – مناهل العرفان،70/1-71.

على أن النبوة هي أصل المعرفة، انتفاء الوقوف على المعارف، والصناعات، وتحصيل ملكتها، دون تعليمها من طرف معلم، فلا بد إذن من وحي من الله في كل ذلك".[1]

ويقول الزرقاني:" إن هذا الأمر الممكن قد وقع فعلا ذلك أنه قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم محمد-ﷺ-، وكل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم-ﷺ- فهو حق ثابت، وذلك هو مقتضى الصدق والعصمة، وأما الدليل على أن محمدا -ﷺ- صادق معصوم فإنما هي المعجزة القائمة في التحدي إلى قيام الساعة".[2]

الوحي نسبته إلى الله تعالى، وصلته بالغيب:

أولاً: نسبته إلى الله تعالى:

وفي تحقيق نسبة الوحي إلى الله، يقول الطوسي(ت: 460هـ):" وذلك لأن نوع ما يأتي به الوحي من تلك المعارف والعلوم لا يُعلم إلا من أربعة أوجه: إما بمشاهدة الحال، أو قراءة الكتب، أو تعليم بعض العباد، أو بوحي من الله، وقد بطلت الأوجه الثلاثة الأولى بأنها لم تكن حاصلة فصحّ أنها بوحي إلهي، قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [النساء:82]، ونمعن النظر في هذا الوحي فنجد فيه تميّزا عن كل ما يحيط بنا وبمعارفنا ، إننا ننجذب فيه إلى حقيقة عميقة تخاطب فينا مكنونات وخفايا لا تسبر غورها إلّا قوة مطلعة على سرائرنا خارجة عن ذواتنا ومستويات عالمنا، قوة مهيمنة تحيط بأسرار الوجود كله".[3]

إن الوحي من الله لأنبيائه عن طريق جبريل -عليه السلام-، ولا سبيل للعقل فيه إلا بما جاء به القرآن الكريم.

والقرآن كلام الله تعالى، فلما سمع أبوبكر -رضي الله عنه- سجع مسيلمة، قال هذا كلام لم يخرج من إلّ".[4]، وإل هو أسم الله بالعبرية.

إن ظاهرة الوحي مثلت حدثا غير معتاد، يوضح ذلك أحمد حسين بقوله:" لهذه المميزات فإن النبوات، والوحي أساسها، كانت في مختلف فترات انطلاقها موضعا للجدل والخلاف لأنها مثلت حدثا غير عادي، وارتبطت بما وراء هذا العالم من خلال اتصالها بقوى غير منظورة، تنتمي إلى عالم مختلف، ولم تكن مجرد دعوات تغييرية وتشريع جديد ينسخ ما قبله، فثبت لدينا

---

1 – الفصل في الملل والنحل، 65/1، بتصرف.

2 –مناهل العرفان، 74/1. بتصرف.

3 – محمد الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب العاملي، دار احياء التراث العربي، ط:1، ت:1957م، بيروت. 458/2.

4 – المحرر الوجيز، 122/1.

أن هؤلاء الأنبياء عرفوا ما لم يعرف بقية البشر، ظاهرة خفية لا تمت إلى المعارف السائدة بسبب، وبالتالي لا سبيل إلى العقل البشري لإدراكها".[1]

ثانياً: صلته بالغيب:

يقول الراغب(ت:502هـ) في مفهوم الوحي:" ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بدائة العقول وإنما يعلم بخبر الأنبياء، فمعارفه غائبة عن الحس البشري المحدود المقيّد، فهو غيب بالنسبة إلى الإنسان، إذ يقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى فإنه لا يغيب عنه شيء، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:123]، وقال تعالى: ﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل:75]، وقال تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ:3]، والإيمان بالوحي وإثباته معتمد أساسا ومستلزم للإيمان بالغيب وإثباته، لأن إنكار الغيب هدم لأهم أسس العقيدة، وبه يقع على الإنسان اسم الإلحاد".[2]

ومن المشاهد الغيبية قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[ص:67-68]، يقول مالك بن نبي:" فهذه الآيات فيما يبدو تسوق معنى الوحي لغايات جدلية كما تتيح للنبي أن يستخدمه برهانا في محاجته خصوم دعوته".[3]

وقد أخبر -ﷺ- عن هزيمة الفرس قبل حدوثها، قال تعالى: ﴿ الم غُلِبَتِ لرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم:1-4].

عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال: " كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت (الم غُلِبَتِ الرُّومُ) إلى (فِي بِضْعِ سِنِينَ) قالوا: يا أبا بكر، إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين، قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، وشقّ على المسلمين، فذكروا ذلك للنبيّ -ﷺ-: فقال: " مَا بضْعُ سِنِينَ عنْدَكُمْ؟ " قالوا: دون العشر. قال: " اذْهَبْ، فزَايِدْهُمْ وازْدَدْ سَنَتَيْن " قال: فما مضت

---

1 -أحمد حسين، محمد رسول الله-ﷺ- نبي الإنسانية، دار الشروق، ط:1، ت:1980م، بيروت. ص:67.

2- أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصبهاني)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، دار القلم، ط:3، ت:2002م، دمشق. ص:366.

3 – الظاهرة القرآنية، ص:145.

السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله: (الآية)".[1]

وفي الحديثِ: بَيانُ تأييدِ اللهِ لرَسولِه -ﷺ- وتَسليتِه بالأحداثِ والعِبَرِ مع غيرِه من الأُمَمِ، وفيه: دليلٌ من دلائلِ نُبوَّتِه -ﷺ- ، وفيه: بيانُ مَنزلةِ أبي بكر -رضي الله عنه- في الإسلامِ.

يقول البوطي:" الوحي هو الأساس الأول الذي يقوم على حقيقته معنى النبوة والرسالة، ومن تم فهو المنبع الأول لعامة الإخبارات الغيبية".[2]

وفي إنكار ظاهرة الوحي، يقول محمد رشيد رضا:" كان العرب قبل الإسلام ينكرون عموما أن يكون هناك وحي تشريعي ينزل من السماء، كما أنكروا النبوة والرسالة عموما، ولا يستثنى من ذلك إلا أفراد من بقايا الحنفاء في الحجاز وغيره ومن دخل في اليهودية والنصرانية لمجاورته أهلهما، إلا أن مفاهيم وظواهر أخرى تتصل بشكل ما مع الوحي في بعض عناصره اللغوية، أو الاصطلاحية كانت موجودة، من هذه المظاهر الإلهام والتكليم من السماء، إذ أنهم كانوا يعتقدون أن كهنتهم يتلقّون الإلهام، ومصدر هذا الإلهام في اعتقادهم هو " تابع أو رئي يلقي إليهم الغيب".[3]

ومن خلال الاستقراء في التاريخ الجاهلي يتوصل جواد علي إلى:" أن عرب الجاهلية اعتقدوا بتكليم السماء للإنسان، ومما استدل به على ذلك ما يروى من أن قريشا كانوا إذا مر بهم النبي -ﷺ-يقولون: غلام بني عبد المطّلب يكلّم من السماء، وإن قالوها هزءا واستخفافا".[4]

لقد كان أول الوحي إلى البشر هو ما كان من كلام الله إلى سيدنا آدم -عليه السلام-وتعليمه من الوصايا ما يميز به ما ينفعه مما يضره، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾[البقرة:35] ، كما أرسل الحق رسلاً كثيرين من بعد نوح -عليه السلام-وقبل محمد -ﷺ- أوحى الله إليهم جميعا، كالوحي إلى سيدنا نوح-عليه السلام-حيث اختاره الله من بين قومه لينذرهم عذابه إذا تمادوا في غيهم، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح:1]، وقال تعالى:﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:36-37]، وحكى الله في شأن لُوطٍ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ- عليهم السلام-، فقال تعالى:﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

---

1 – جامع البيان، 6504/8. ور: الترمذي، سنن الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب سورة الروم، 343/5، برقم:3193. حكم الألباني:صحيح.

2 –محمد سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، ط:8، ت:1979م، دمشق. ص:186.

3 – محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار المنار، ط:5، ت: 1947م، القاهرة. ص:172.

4 – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب في الإسلام السيرة النبوية، دار الساقي، ط:4، ت:2001م، بيروت. ص:125.

بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:71-73]، كما أوحى الله إلى موسى قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:11-13]، وفي شأن جميع الأنبياء قال تعالى:﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ [النساء:163-164]، وقال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:13]، وآخر نزولا للوحي كان مع سيدنا محمد-ﷺ-.

الوحي في الاستعمال القرآني:

إن الوحي من الألفاظ التي أشرق عليها القرآن الكريم بأبعاد جديدة، يقول الراغب الأصفهاني:" كان للقرآن الكريم، الفضل الكبير في إثراء اللغة العربية، والتوسع بها إلى آفاق جديدة في التعبير، والتصوير، والابتكار لمعان ومفاهيم جديدة، لم تكن البيئة العربية قد شهدتها من قبل، ومادة الوحي من الألفاظ التي أشرق عليها القرآن الكريم بأبعاد جديدة إضافة إلى ما جلاه من معانيها التي كانت متداولة عند الناطقين بها، فكان لهذه الإشراقة أن رفلت العربية بأبعاد روحية سمت بها إلى معان شريفة راقية في التعبير".[1]

ويضيف قائلا:" فقد استوعب القرآن الكريم جميع التصريفات اللغوية لمادة (الوحي) وعبّر عن أغلبها بمعانيها المتداولة، وصبّها جميعا في قوالب جديدة ترابطت فيها المعاني المتعددة، أو انفصلت عن بعضها بعضا، فلما كان الإلقاء إلى النبي -ﷺ- بواسطة جبريل -عليه السلام-، أو قذفا في الروع أو رؤيا مما خفي على غيره -ﷺ-فقد عبّر سبحانه عن ذلك بالوحي، وهي معان لم يكن بعضها معروفا في العربية ومن ثمّ أخذ لفظ الوحي يختص بالكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه". [2]

ومفهوم الوحي فيما كان إلى النبي -ﷺ- يقول الزبيدي(ت:379هـ):" سبب التسمية بالوحي إلى أن الملك أسرّه عن الخلق، وخصّ به النبي المبعوث إليه".[3]

---

1 - المفردات في غريب القرآن، ص:515.

2 - م ن، ص:515.

3 - الزبيدي، تاج العروس، 380/20.

ويبين محمد عبد الباقي(ت:1388هـ) المواطن التي وردت فيها لفظة الوحي فيقول:" وردت لفظة الوحي في سبعين آية منها، أربع وستون آية مكية، وست آيات مدنية، دلت على معان مختلفة". [1]

وفي بيان المعاني التي وردت فيها كلمة الوحي، يقول مناع القطان(ت:1420هـ) منها:

1-وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفوس الناس: قال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:112]، وقال تعالى:﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:121]، ويفسّره قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس:4-6].

2-ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12].[2]

3-الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:68]، لكي تنتهج وفْق فطرتها، وتستوحي من باطن غريزتها، مذلَّلة لِما أُودع فيها من غريزة العمل المنتظم، ومن ثَمَّ فهي لا تحيد عن تلك السبيل.

4-الإشارة السريعة على سبيل الرمز كإيحاء زكريا -عليه السلام-لقومه، حكى الله عنه فقال تعالى:﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[مريم:11].

5-الإلهام الفطري للإنسان، كما أوحى الله للحواريين، قال تعالى:﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة:111] ، وكالوحي إلى أم موسى قال تعالى:﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾[طه:38]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7].[3]

بداية الوحي المحمدي:

إن الرؤيا الصادقة تمثل جانبا مهما من جوانب التلقي الغيبي في نبوات الأنبياء -عليهم السلام-، وأشهر رؤيتين تعرض القرآن لهما: الأولى رؤيا سيدنا إبراهيم-عليه السلام-، وهي أساس مهم

1-محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط:2، ت:1981م، بيروت. مادة وح ي، ص: 746.

2- مباحث في علوم القرآن، ص:33.

3 - م ن، ص33.

في نبوته ونبوة ابنه سيدنا إسماعيل – عليهما السلام–، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: 102].

وقال تعالى لإبراهيم: ﴿ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[الصافات: 104].

والثانية رؤيا يوسف –عليه السلام–التي مهدت لتفاصيل مهمة في حياته النبوية التي ارتبطت بتلك الرؤيا ليس في بدايتها فحسب، بل في مراحل حياته في أغلبها بما أوتي من نعمة أسبغها الله عليه في تأويله رؤيا الملك ورؤيا السجينان، ويختمها تَأْوِيلُ رُؤْيَايَه، قال تعالى عن لسانه:﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾ [يوسف:100]، ولا يختلف نبينا –ﷺ– في هذا الجانب عن غيره من الأنبياء –عليهم السلام–، إلا أن الرؤيا مثلت في نبوته –ﷺ– أحد الجوانب التي شهدتها عملية تلقيه للوحي، وليست جانبا أساسيا كما كانت لبعض أولئك الأنبياء، فالرؤيا الصادقة تمثل في حالة نبينا –ﷺ– أحد الإرهاصات التي هيأت لبزوغ نبوته –ﷺ–، إذ سبقت رؤاه الصادقة إعلان نبوته وبعثته، عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ –ﷺ– مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ؛ فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ...".[1]

وقد ثبتت الرؤيا الصادقة لنبينا –ﷺ– في حالات عديدة ذكرها القرآن، وأشهر تلك الرؤى ما كان من رؤياه في فتح مكة ودخول المسلمين إليها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح:27]، وفي تفسير هذه الآية يقول الخازن:" أن رسول الله –ﷺ– رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية، أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقوا رؤوسهم، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، شق عليهم ذلك، وقال المنافقون: أين رؤياه التي رآها؟ فأنزل الله قوله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾.[2]

وتعتبر الرؤيا تمهيدا للوحي في اليقظة، يقول ابن حجر:" وَبُدِئَ بِذَلِكَ لِيَكُونَ تَمْهِيدًا وَتَوْطِئَة لِلْيَقَظَةِ، ثُمَّ مَهَّدَ لَهُ فِي الْيَقَظَة أَيْضًا رُؤْيَة الضَّوْء وَسَمَاع الصَّوْت وَسَلَام الْحَجَر".[3]

---

1 – صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب: أول ما بدئ به الرسول–ﷺ– من الوحي، 2561/6، برقم:6581.
ور: ابن هشام، السيرة النبوية ،249/1.

2 – لباب التأويل في معاني التنزيل، 453/5.

3 – فتح الباري، 28/1.

ويقول حسن ضياء الدين عتر(ت:1432هـ):" إن الرؤيا من النبوة، لما يقترن بها من اليقين بأنها من عند الله".[1]

عن أبي هريرة أنه سمع رَسُول اللَّهِ –ﷺ– يقول:" الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ ".[2]

ويستشكل على بعض ممن يقف على ظواهر معنى هذا الحديث، في جعله الرؤيا الصالحة جزءاً من النبوة، ومعلوم أن النبوة قد ختمت بنبينا محمد –ﷺ– ، والجواب على هذا الإشكال: إنكار الخطابي وابن بطال(ت:449هـ) وغيرهما، هذا التأويل، وَقَالَ الْمَازِرِيّ(ت:536هـ):" لَا يَلْزَم الْعَالِم أَنْ يَعْرِف كُلّ شَيْء جُمْلَة وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ جَعَلَ اللَّه لِلْعَالِمِ حَدًّا يَقِف عِنْده، فَمِنْهُ مَا يَعْلَم الْمُرَادَ بِهِ جُمْلَة وَتَفْصِيلًا، وَمِنْهُ مَا يَعْلَمهُ جُمْلَة لَا تَفْصِيلًا، وَهَذَا مِنْ هَذَا الْقَبِيل"، وقَالَ النَّوَوِيّ:" لَمْ يَثْبُت أَنَّ زَمَن الرُّؤْيَا لِلنَّبِيِّ –ﷺ– كَانَ سِتَّة أَشْهُر"، [3]

وقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر بْن الْعَرَبِيّ (ت: 543هـ):" أَجْزَاء النُّبُوَّة لَا يَعْلَم حَقِيقَتهَا إِلَّا مَلَك أَوْ نَبِيٌّ، وَإِنَّمَا الْقَدْر الَّذِي أَرَادَهُ النَّبِيّ –ﷺ– أَنْ يُبَيِّن أَنَّ الرُّؤْيَا جُزْء مِنْ أَجْزَاء النُّبُوَّة فِي الْجُمْلَة، لِأَنَّ فِيهَا اِطِّلَاعًا عَلَى الْغَيْب مِنْ وَجْه مَا، وَأَمَّا تَفْصِيل النِّسْبَة فَيَخْتَصّ بِمَعْرِفَتِهِ دَرَجَة النُّبُوَّة".[4]

وقال ابن الأثير(ت: 630هـ):" ليس المعْنى أن النُّبوّة تَتَجزَّأ، وَلاَ أنَّ مَن جَمع هذه الخلالَ كان فيه جزءٌ من النبوّة، فإن النبوَّة غيرُ مكْتَسَبة، ولا مُجْتَلبَة بالأسباب، وإنَّما هي كرامة من الله تعالى".[5]

ويؤكد الباحث بأن النبوة لا تتجزأ، لأنها غير مكتسبة، وإنما هي اختيار الله، أما الرؤيا قد تحقق عند غير الأنبياء كرؤيا ملك مصر وفي هذا قال تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف:43].

وقد سئل ابن عثيمين(ت:1421هـ) عن ذلك فقال:" "وتخصيص الجزء بستة وأربعين جزءا من الأمور التوقيفية التي لا تُعلم حكمتها كأعداد الركعات والصلوات".[6]

---

1 – حسن ضياء الدين عتر، نبوة محمد–ﷺ– في القرآن، دار النصر، ط:1، ت:1973م، القاهرة. ص:177.

2 –صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، 1774/4، برقم:2263.

3 – المنهاج شرح صحيح مسلم. 21/15.

4 – محمد بن عبد الله بن العربي، عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، تحقيق: صدق جميل العطار، دار الفكر، ط:3، ت: 2005م، بيروت. كتاب الرؤيا، 104/5.

5 – المبارك بن محمد بن الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: الطاهر الزاوي، المكتبة العلمية، ط:1، ت:1979م، بيروت. 741/1.

6 – محمد صالح ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل، تحقيق: فهد بن ناصر، دار الوطن، ط:1، ت:1987م، الرياض.327/1–328.

ويرى أحمد عبد الوهاب(ت:1425هـ)، بأن سبيل الوحي الرؤيا الصادقة فيقول:" وكانت الرؤيا هي سبيل الوحي لأغلب الأنبياء-عليهم السلام-، مع أن أكثر وسائله أن تأتي الملائكة في صور مختلفة تخاطب الأنبياء بلغاتهم وتبلغهم وحي الله".[1]

صور الوحي المحمدي وأقسامه:

إنه تعالى من كمال قدرته وعلمه وحكمته، يبين كيف يخص أنبياءه بوحيه وكلامه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:51]، يقول الفخر الرازي:" ما صح لأحد من البشر أَن يُكَلِّمَهُ الله إلا على أحد ثلاثة أوجه:

الأول: الوحي وهو: الإلهام والقذف في القلب. يقول مالك بن نبي:" إن كلمة الإلهام ليس لها أي مدلول نفسي محدد، مع أنها مستخدمة عموماً لكي ترد معنى الوحي إلى ميدان علم النفس، والوحي النفسي يدور حول معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير، والوحي الإلهي يجب أن يأخذ معنى المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضاً غير قابل للتفكير، والمكاشفة لا تنتج عند صاحبها يقينا كاملاً، ويقين النبي -ﷺ- بالوحي قد كان كاملاً، مع وثوقه بأن المعرفة الموحى بها غير شخصية، وطارئة، وخارجة عن ذاته".[2]

ويميز محمد حسين الصغير (ت: 1402هـ) بين الوحي عن المكاشفة، والوحي النفسي، والإلهام، فيقول:" وإذا كان الوحي فعلا متميزاً، فهو صادر عن فاعل مريد، وهذا الفاعل المريد هو الله تعالى، وليس الإلهام والكشف كذلك، وهذا ما يميز الوحي عن المكاشفة، والوحي النفسي، والإلهام، إذ أن مردّ الإلهام يعود عادة إلى الميدان التجريبي لعلم النفس، ونزعة الوحي النفسي في انقداحها تعتمد على التفكر في الاستنباط، والمكاشفة تتأرجح بين الشك واليقين".[3]

ويضيف قائلا:" أما الوحي فحالة فريدة مخالفة لا تخضع إلى التجربة أو التفكير، ومتيقنة لا مجال معها للشك. مضافاً إلى أن حالات الكشف والإلهام والإيحاء النفسي حالات لا شعورية ولا إرادية، والوحي ظاهرة شعورية تتسم بالوعي والإدراك التامين، والوحي بالمعنى المشار إليه يختص بالأنبياء، وليس الإلهام أو الكشف كذلك، فهما عامان وشائعان بين الناس".[4]

والثاني: المنام، والدليل على أن رؤيا الأنبياء في المنام وحيٌ، كما أوحى الله إلى سيدنا إبراهيم -عليه السلام- في ذبح ابنه-عليه السلام-، قال تعالى:﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ

1- أحمد عبد الوهاب، الوحي والملائكة في اليهودية والمسحية والإسلام، دار وهبة، ط:1، ت:1979م، القاهرة. ص:45.

2 - الظاهرة القرآنية، ص:167.

3 - محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، دار المؤرّخ العربي، ط:1، ت:2000م، بيروت. 16/1.

4 - م ن، 16/1.

أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:102] .

أما الوجه الثالث: فهو قسمان:

أ-على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مبلغ، وهذا أيضاً وحي بدليل أنه تعالى أسمع موسى-عليه السلام-كلامه من غير واسطة، وسماه وحياً، قال تعالى: ﴿فاستمع لِمَا يُوحَى﴾ [طه:13].

وهذا ينقسم إلى نوعين:1- وهو ما وصل إليه الوحي بدون واسطة شخص آخر، وما سمع عين كلام الله فهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ وَحْياً﴾.

2- وصل إليه الوحي بدون واسطة شخص آخر، ولكنه سمع عين كلام الله، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾.

ب- وهو أن يصل إليه الوحي بواسطة شخص آخر، وهذا النوع أشهر الأنواع وأكثرها وقوعا، يقول الفخر الرازي:" ووحي القرآن كله من هذا القبيل فهو المسمى: بـ(الوحي الجلي) وهو المراد بقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء﴾". [1]

فالوحي المحمدي اشتمل على كل صور الوحي التي تعرض القرآن لها منها:

بواسطة الملك:

إن الملك الْمُرْسَلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوَحْيِ لِرُسُلِهِ، اسمه جبريل -عليه السلام-كما قال تعالى:﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:97]، يقول ابن عاشور:" وَجِبْرِيلُ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ لِلْمَلَكِ الْمُرْسَلِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوَحْيِ لِرُسُلِهِ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، كَلِمَةُ جَبْرَ وَكَلِمَةُ إِيلَ. فَأَمَّا كلمة جبر فَمَعْنَاه عِنْدَ الْجُمْهُورِ نَقْلًا عَنِ الْعِبْرَانِيَّةِ أَنَّهَا بِمَعْنَى عَبْدٍ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهَا فِي الْعِبْرَانِيَّةِ بِمَعْنَى الْقُوَّةِ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِيلَ فَهِيَ عِنْدُ الْجُمْهُورِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى".[2]

ويتخذ الوحي عن طريق الملك إلى الرسول -ﷺ- عدة أشكال تبعا للصورة التي يأتيه بها ويلقّنه الوحي الإلهي، ويمكن إجمال هذه الأشكال في الآتي:

أ . مواجهة جبريل -عليه السلام-للنبي -ﷺ-في صورته الملكية الحقيقية التي خلقه الله عليها، وقد قيل إنه ما من نبي رآه على تلك الصورة إلا الرسول-ﷺ-، عن مسروق أنه سأل عائشة -رضي الله عنها-عن قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير:23]، وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم:13]، فَقَالَتْ:" أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: إِنَّمَا

---

1 - التفسير الكبير 451/13. بتصرف

2 - التحرير والتنوير، 620/1.

هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ".[1]

وقد أجمع أغلب المفسرين وأصحاب الحديث على حدوث ذلك مرتين:[2]

المرة الأولى: كانت في بداية بعثته –ﷺ– وقد وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير:23]، وتدل الروايات أن ظهور جبريل للنبي –ﷺ– على صورته الحقيقية هذه كان بطلب من النبي –ﷺ– بأن يراه على حقيقته الملكية، فقد روى الثعلبي عن ابن عباس: أن الرسول –ﷺ– قال لجبريل:" إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء..."، وإن جبريل واعده فخرج النبي–ﷺ– للموعد، فإذا جبريل قد أقبل بخشخشة وكلكلة من جبال عرفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي–ﷺ– خر مغشيا عليه".[3]

المرة الثانية: كانت في ليلة المعراج، وقد ذكرها القرآن الكريم مؤكدا ذلك في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾[النجم:13]، وقوله تعالى:﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم:18].

يقول ابن سيد الناس(ت: 734هـ):" وصفت حال جبريل –عليه السلام–في صورته الحقيقية هذه التي رآه الرسول –ﷺ– عليها في المرتين بأنه كان له ستمائة جناح وقد سدّ الأفق".[4]

يقول الزمخشري:" أنّ رسول الله –ﷺ– أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها، فاستوى له في الأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق. وقيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد –ﷺ– مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء".[5]

ويقول الفخر الرازي:" وإنما نقول أن جبريل–عليه السلام–أرى النبي –ﷺ– نفسه مرتين وبسط جناحيه وقد ستر الجانب الشرقي وسده، ودنا من النبي –ﷺ– أي بعد ما مد جناحه وهو بالأفق، عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبي –ﷺ– ".[6]

ب– أن يأتيه في مثل صلصلة الجرس: عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" إن الحارث بن هشام (ت:18هـ) –رضي الله عنه– سَأَلَ النبيَّ –ﷺ– فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

---

1 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: معنى قوله تعالى: ولقد رآه نزلة أخرى،159/1، برقم:177.

2 – الكشاف،29/4، والتفسير الكبير، 291/28، وجامع أحكام القرآن، 180/19.

3 – جامع أحكام القرآن،180/19.

4 – عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، 112/1.

5 – الكشاف،437/6.

6 – التفسير الكبير،398/14–399.

فقال رسول الله –ﷺ–:" أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ثم يُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُه، وأحيانا ملك في صورة رجل، فأعي مَا يقول".[1]

صوت الوحي:

أن للوحي صوتًا يسمعه الرسول –ﷺ–مثل الصلصلة، ويسمعه الصحابة –رضي الله عنهم– مثل دوي النحل، عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ –ﷺ– يَقُولُ:" كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– الْوَحْيُ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ".[2]

ومفهوم الصلصلة هو: صَوْت الحديد إذا حُرِّك".[3]

كذلك تكلم الصحابة في أمر الوحي وشهدوا بما رأته أعينهم من حالات، وما سمعته آذانهم من أصوات تصاحب نزول الوحي كأنها ذوي النحل أو صلصلة الجرس، لكنهم لا يفقهون كلاماً، أمّا هو –ﷺ– فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه، دون لبس ولا خفاء، ومن غير شك ولا ارتياب، فيجد ما أوحي به إليه حاضراً في ذاكرته، كأنما كتب في قلبه.[4]

لا يوجد تعارض بين صلصلة الجرس وبين دوي النحل، يقول ابن حجر:" ويمكن أن يكون صوت دوي النحل باعتبار ما يسمعه من حوله، وأما هو–ﷺ–فيسمعه كصلصلة الجرس، فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس؛ لأن سماع الدوي بالنسبة إلى الحاضرين، فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبهه رسول الله –ﷺ– بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه".[5]

ويفسر أحمد القرطبي(ت:656) هذا القول فقال:" إنما كان أشد عليه لسماعه صوت الملك الذي هو غير معتاد، وربما كان شاهَدَ الملَك على صورته التي خُلق عليها، كما أخبر بذلك عن نفسه–ﷺ– في غير هذا الموضع، وكان يشتد عليه أيضاً؛ لأنه كان يريد أن يحفظه ويفهمه مع كونه صوتا متتابعا مزعجاً، ولذلك كان يتغير لونه، ويتفصد عرقه، ويعتريه مثل حال المحموم، ولولا أن الله تعالى قواه على ذلك، ومكَّنه منه بقدرته: لما استطاع شيئا من ذلك، ولهلك

---

1 – صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله –ﷺ–، 14/1، برقم:3. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: عرق النبي–ﷺ–في البرد، 1816/4–1817، برقم: 2333.

2 – الإمام أحمد، المسند، 351/1، برقم: 224.اسناده ضعيف لجهالة يونس بن سليم ولم يرو عنه غير عبد الرزاق، وأخرجه الحاكم في المستدرك،392/2.

3 – المعجم الوسيط المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: مجمع اللغة العربية، ط:2، ت:1972م، القاهرة.520/1.

–4 الزرقاني، مناهل العرفان، 64/1.

5 –"فتح الباري،22/1.

عند مشافهة الملك؛ إذ ليس في قوى البشر المعتادة تحمل ذلك بوجه".[1]

يقول ابن القيم:" وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك، حتى إن جبينه ليتفصد عرَقًا في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت(ت:45هـ)، فثقلت عليه حتى كادت ترضها".[2]

قال ابن المَلَك (ت؛854هـ):" أنه صوت متدارِك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يقرع سمعه حتى يتفهم، ويستثبت، فيتلقفه حينئذٍ ويعيه، ولذلك قال-ﷺ-:" وهو أشده عليَّ".[3]

وقال محمد المباركفوري(ت:1353هـ):" هذا القسم من الوحي أشد أقسامه على فهم المقصود؛ لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة، أشكلُ من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، وفائدة هذه الشدة، ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات".[4]

ويقول مناع القطان:" وهو أشده على الرسول -ﷺ- ، لأن هذه الحالة: انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملكية الروحانية".[5]

تمثل الملك للنبي -ﷺ- في صورة بشرية:

فيرى الرسول -ﷺ- الملك جبريل-عليه السلام-في صورة إنسانية، فيجالسه ويتحدث معه، عن عائشة -رضي الله عنها-قالت:" أن الحارث بن هشام سأل النبي -ﷺ- قائلا: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال -ﷺ-:"... وأحيانا يتمثل لي الملك، رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ...".[6]، وكان تمثله في صورة شخص معروف للنبي-ﷺ- والصحابة.

وفي وصف جبريل-عليه السلام- في صورته البشرية يقول القطان:" وقد حددته الروايات بأنه دحية الكلبي-رضي الله عنه- (ت:45هـ) إنه كان من أحسن الناس صورة، وأن جبريل-عليه السلام- كان يتمثل في صورته للنبي -ﷺ-، وكان-ﷺ- يراه وكذلك الصحابة -رضي الله عنهم-، إلا أنهم لا

---

1 – أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، تحقيق: هاني الحاج، دار ابن كثير، ط:1، ت:1996م، دمشق. 137/6.

2 – محمد أبوبكر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:14، ت:1986م، بيروت.37/1 – 38.

3 – محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الكَرمانيّ، المشهور بـ ابن المَلَك، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي، ط:2، ت:1983م، بيروت.322/13.

4 – محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، دار الحديث، ط:1، ت:2001م، القاهرة. كتاب المناقب،153/9–154، برقم:3643.

5 – مباحث في علوم القرآن،2/1.

6 – سبق تخريجه، ر: ص: 101.

يعلمون أنه جبريل، وهذه الحالة أخف على الرسول –ﷺ–، لأنها عكس الحالة الأولى، فهي الملك من الروحانية المحضة إلى البشرية الجسمانية".[1]

ولم يشاهد الصحابة –رضى الله عنهم–الملك إلا في حالات نادرة كما ورد في حديث سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان، حيث روى عمر بن الخطاب–ﷺ– رؤية الصحابة لجبريل في صورة رجل شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعرِ، لا نرَى عليه أثرَ السفرِ ولا نعرفُه، ثمَّ قال رسولُ اللهِ –ﷺ–:" يا عمرُ أتدري من السائلُ؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: فإنه جبريلُ –عليه السلام–أتاكم يعلِّمَكم دينَكم".[2]

تمثل الملك للنبي –ﷺ–في النوم:

يزعم بعض المشككين أن ما كان من رؤية النبي–ﷺ– لجبريل–عليه السلام– في الغار إنما كانت رؤية مناميه، مستدلين على ذلك برواية لابن إسحاق تزعم أن أول ما نزل من القرآن كان مناما، ويرمون من وراء ذلك إلى التشكيك في الوحي، والذهاب إلى أن ما كان يراه إنما هو طيف يخايله فيظنه وحيا ويحسب نفسه نبيا، يقول ابن هشام:" حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل–ﷺ––بأمر من الله تعالى، قال رسول الله–ﷺ–:" فجاءني جبريل –عليه السلام–وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب فقال: اقرأ، قلت ما أقرأ، فغتّني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، كرر الرسول –ﷺ–ذلك ثلاث مرات، فقال: اقرأ: فقلت: ماذا أقرأ، ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:1–5]، قال–ﷺ–: فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا".[3]

إن تصوير الوحي بالحلم في النوم يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن رؤية النبي–ﷺ– لأمين الوحي –عليه السلام–كانت يقظة لا مناما، أما رؤية ابن إسحاق التي استدلوا بها –إن صحت– فتحمل على أن ما حدث في المنام كان قبل ذلك توطئة لما حدث في اليقظة، ومن الثابت أن رؤيا الأنبياء حق.[4]

علما بأن رسول الله–ﷺ– كان دائما في شوق إلى لقاء جبريل –عليه السلام– وفي حاجة إلى الوحي.

---

1 – مباحث في علوم القرآن،2/1.

2 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، 39/1، برقم:9.

3 – ابن هشام، السيرة النبوية، 172/1.

4 –محمد حسين الذهبي، الوحي والقرآن، مكتبة وهبة، ط:1، ت: 1986م، مصر. ص:8.

المبحث الثاني: توصيف حاجة رسول الله-ﷺ-إلى الوحي:

إن قضية الوحي تعد جزءا من المعرفة الإلهية التي لا يرد عليه الخطأ أو الشك ولا عوارضهما، يجب اعتماده للوصول إلى الحق في المدركات لا سيما في المجال الغيبي الميتافيزيقي.

إن حاجته-ﷺ-القصوى تلحّ عليه أن يتكلم، وفي هذا يقول دراز:" لقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلحّ عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالا ومجالا، ولكنه كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام ولا يجد في شأنها قرآنا يقرؤه على الناس".[1]

ويضيف قائلا:" إذا تأملت الحالات والمواقف التي كان النبي، -ﷺ-، في حاجة إلى نزول الوحي ولكنه كان يتأخر، ستدرك بشكل قاطع أن هذا القرآن ليس من عند النبي، كما ادعى أولياء الشيطان زورًا وظلمًا وبهتانا، ولكنه وحي من عند الله، وإلا لو كان غير ذلك لسهل على النبي -حاشاه- أن يصدر كلاما من تلقاء نفسه وينسبه إلى الوحي السماوي، لتنقطع ألسنة المخرصين، ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:44-47]".[2]

مواقف تأخر فيها الوحي عن رسول الله-ﷺ-:

إن الحوادث التي ذكرها القرآن، وكان النبي-ﷺ-، في حاجة إلى الوحي في شأنها، ولكنه تأخر عنه، منها:

في تحويل القبلة:

إن شَرائِعُ الدِّينِ مَبنيَّةٌ على الوحْيِ وما أمَرَ به اللهُ سُبحانه، وكان النبيُّ -ﷺ-مُتَّبِعًا لذلك، وإنْ مالَتْ نفْسُه إلى أمرٍ فإنَّه لا يَفعَلُه ما لم يُؤمَرْ به، عن البَراءِ بْنُ عازِبٍ(ت:72هـ)-رَضيَ اللهُ عنهما-قال:" كان رسول الله -ﷺ- يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله -ﷺ-يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله :﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:144]، فتوجه نحو الكعبة ".[3]

---

1 - النبأ العظيم، ص:53.

2 - م ن، ص:54. بتصرف

3 - صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان،155/1، برقم:390.

يقول الزمخشري:" كان الرسول-ﷺ-يردّد وجهه ويصرف نظره في جهة السماء، وكان يتوقع من ربه أن يحوّله إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل -عليه السلام-والوحي بالتحويل فجائه الوحي بقوله:{ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ} أي: فلنعطينّك القبلة التي تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته".[1]

ويضيف قائلا:" أن التحويل إلى الكعبة هو الحق، لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلّي إلى القبلتين، ومع ذلك مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ، لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة، إنما هو عن مكابرة وعناد، مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق، وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ، حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره، وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم، ومع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم، كما لا ترجى موافقتهم لك".[2]

ويقول البيضاوي(ت: 685هـ):" قيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، ورسول الله -ﷺ-في مسجد بني سلمة، وقد صلّى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب، وحوّل الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمى المسجد مسجد القبلتين".[3]

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَا القبلة التي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرسول مِمَّن يَنقَلِبُ على عَقِبَيْهِ﴾ يقول محمد سيد طنطاوي:" أي وما شرعنا التوجه إلى القبلة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس، إلا لنعامل الناس معاملة الممتحن المختبر، فنعلم من يتبع الرسول ويأتمر بأوامره في كل حال ممن لم يدخل الدين في قرارة نفسه ، وإنما دخل فيه على حرف، بحيث يرتد عنه لأقل شبهة، وأدنى ملابسة كما حصل ذلك من ضعاف الإيمان عند تحويل القبلة إلى الكعبة، ولكن شاء الله أن يكون معلومه الغيبي مشاهداً في العيان، لتقوم عليه الحجة ، ويترتب عليه الثواب والعقاب".[4]

في مسألة أهل الكهف:

قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[الكهف:9]

يقول الواحدي في سبب نزول الآية: "إن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد

---

1 – الكشاف،144/1.

2 – م ن،144/1.

3 – عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:1998م، بيروت.151/1.

4 – التفسير الوسيط،227/1.

وحاله: سلوا محمدا عن الروح، وعن فتية فقدوا في أول الزمان، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها، فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي، وإن لم يجب في ذلك كله فليس بنبي، وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي. فسألوه عنها، فأنزل الله الآية". [1]

ويفسر الشعراوي سبب نزول الآية بقوله:" وقد وردتْ قصة أهل الكهف نتيجة لسؤال كفار مكة الذين أرادوا أنْ يُحرجوا رسول الله-ﷺ-، ويُروى أنهم أرسلوا رجلين منهم هما: النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أهل الكتاب في المدينة ليسألوهم عن صدق رسول الله-ﷺ-، وما خبره عندهم، وما ورد عنه في كتبهم، وقد كان يهود المدينة قبل البعثة يتوعدون الأوس والخزرج عباد الأصنام ببعثة النبي الجديد، يقولون: لقد أطلَّ زمان نبيٍّ نتبعه ونقتلكم به قَتْل عاد وإرم؛ لذلك رغب أهل مكة في سؤال يهود المدينة عن صدق رسول الله-ﷺ-".[2]

ويضيف قائلا:" فلما ذهب الرجلان إلى يهود المدينة قالوا: إنْ أردتُمْ معرفة صدق محمد فاسألوه عن ثلاثة أشياء، فإنْ أجابكم فهو صادق، اسألوه: ما قصة القوم الذين ذهبوا في الدهر مذاهب عجيبة؟ وما قصة الرجل الطوّاف الذي طاف الأرض شرقاً وغرباً؟ وما الروح؟ فجاءوا إلى رسولِ اللهِ -ﷺ-فسألُوهُ عن ذلكَ، فعن ابن عباس قال:" قالَ رسول الله-ﷺ-: غدًا أجِيبُكُم"، ولم يَسْتَثْنِ، فمَكَثَ خمسَ عشرَةَ ليلةً لا يُحْدِثُ اللهُ إليهِ في ذلكَ وحيًا ، ولا يأتِيهِ جبريلُ -عليه السلام-، حتَّى أحْزَنَ ذلكَ رسولَ اللهِ -ﷺ-، فشقّ ذلك عليه، وكَبُر في نفسه أنْ يعطِي وَعْداً ولا يُنجزه، وأَرْجَفَ بهِ أهلُ مكةَ ، فقالُوا: وعَدَنَا أنْ يجيبَنَا غدًا وقدْ مَضَتْ خمسِ عشرةَ ليلةً ، أصبحْنَا منْها اليومَ لا يخبِرُنَا عمَّا سألَنَاهُ عنهُ ، فنزلَ عليهِ جبريلُ بسورةِ الكهفِ ، فعَاتَبَهُ في أوَّلِهَا على حزْنِهِ عليهمْ ثمَّ أخبَرَهُ بخبَرِ أهلِ الكهفِ ".[3]

وقالوا: إن سبب إبطاء الوحي على رسول الله-ﷺ- في هذه المسألة أنه قال: -ﷺ-:" أخبركم بما سألتم عنه غداً"، ولم يقُلْ: إنْ شاء الله؛ ولذلك خاطبه ربه -تبارك وتعالى- بقوله:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً﴾[الكهف: 23]، وهذه الآية في حَدِّ ذاتها دليل على صدق رسول الله-ﷺ-، وعلى أدبه، وعلى أمانته في البلاغ عن ربه عز وجل، وقد أراد الحق سبحانه أن يكون هذا الدرس في ذات الرسول-ﷺ-ليكون نموذجاً لغيره ، وحتى لا يستنكف أحد إذا استُدرك عليه شيء ، فها هو محمد رسول الله يستدرك عليه ربه ويُعدِّل له، فكأن الآية تربية للأمة

---

1 – أسباب النزول للواحدي،153/1.

2 – تفسير الشعراوي،8842/14.

3 –م ن، 8843/14. ور: سنن الترمذي،304/5، برقم:3140. ضعيف الاسناد، ذكره البيهقي في دلائل النبوة،269/2.

في شخصية رسولها-ﷺ- حتى لا يستنكف المربَّى من توجيه المربِّي، ما دام الهدف هو الوصول إلى الحقيقة".[1]

إلا أن أعداء الإسلام قد طرحوا عدة إشكالات على هذه القصة منها:

1- النبي تأخر عن الأجابة لأنه لم يجد الجواب المطلوب في مصادره التي كان ينقل منها أو أن الأشخاص الذين أستعان بهم لم يعرفوا الجواب (والعياذ بالله).

2- كيف يعاقب الله نبيه ويقطع عنه الوحي مع أنه معصوم بل وهو في مقام التحدي لإثبات نبوته فقط لأنه لم يقل (إن شاء الله) ؟

3-الأجوبة التي أتى بها لم تكن واضحة فأوكل الأمر إلى علم الله فمثلاً لم يخبرهم عن عدد أهل الكهف ولا عن ماهية الروح ولا عن من هو ذو القرنين.[2]

ولحل هذه الإشكالات

في قولهم: إن النبي-ﷺ-تأخر عن الأجابة لأنه لم يجد الجواب المطلوب في مصادره التي كان ينقل منها أو أن الأشخاص الذين أستعان بهم لم يعرفوا الجواب(والعياذ بالله).

ويرى الباحث أن هذا زعم باطل لأنه لم يقم على دليل، ولم يرد لأصحاب الكهف ذكر في المصادر اليهودية، ولذلك فإن قصة أصحاب الكهف التي وردت في القرآن الكريم تعد من القصص القليلة التي لم يرد لها ذكر في التراث الديني لليهود، بعكس قصص القرآن الأخرى التي نجد لها ما يقابلها في قصص التوراة وغيرها من القصص الديني الذي وقعت أحداثه بعد التوراة، ثم أقحمه اليهود على كتبهم الدينية، ألا يعد ذلك من إعجاز القرآن الغيبي، ودليلا على صدق النبوة.

إن النبي -ﷺ-حين لم يستثنِ بقوله: "إن شاء الله"، إنما كان محققاً للغرض الإلهي بالأصل، وأن تأخر الجواب إنما جاء لحِكَمٍ ومصالح، وأن صورة الخطاب الإلهي وإن كانت موجهة إلى النبي -ﷺ-؛ ناشئة من فعل واقعي له؛ إلا أن غيره هو المعنيَّ به.[3]

ولو أن الأجوبة لم تكن واضحة لظهرت آثار استهزاء أهل الكتاب والمشركين بها، ولقيلت في ذلك الأشعار، غير أن التاريخ لم يسجل لنا سوى إفحام خصوم النبي -ﷺ- وممتحنيه، وما ذلك إلا لأن الأجوبة كانت واضحة وافية، ولا أدل على ذلك من أن الروايات تذكر انبهار القوم بها وشهادتهم على أنها حق".[4]

---

1 - تفسير الشعراوي ،8844/14.

2 - تفسير القمي، 32/2.

3 - محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي، مكتبة الإسلامية، ط:1،ت: 1960م، طهران.324/2.

4 - محمد طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، دائرة المعارف العثمانية، ط:3، ت:1967م، الهند.93/8.

في قصة الإفك:

والقصة حدثت في غزوة بن المصطلق، وتسمى بغزوة المريسيع، وقد سطرها القرآن بحروف من نور تتلى على مسامع الدنيا إلى يوم القيامة، قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:11].

وسبب نزولها ما رواه الأئمة من حديث الإفك الطويل في قصة عائشة –رضوان الله عليها–[1]، وهو خبر صحيح مشهور، أغنى اشتهاره عن ذكره.[2]

فالإفك تعمُّد الكذب، لذلك كان الإفكُ أفظعَ أنواع الكذب؛ لأنه يقلب الحقائق ويختلق واقعاً مضاداً لما لم يحدث، وما دام أن الحق سبحانه سمَّى هذه الحادثة في حَقِّ أم المؤمنين عائشة إفكاً فلا بُدَّ أنهم قَلَبوا الحقائق وقالوا ما يناقض الواقع، أما العصبة: فهي الجماعة التي ترتبط حركتها لتحقيق غاية متحدة، وما دام أهلُ الإفْك عصبةً فلا بُدَّ أن لهم غاية واحدة في التشويه والتبشيع، وأن الذين أتوا بالكذب في أمر عائشة جماعة من المؤمنون.[3]

عن عائشة –رضى الله عنها– قالت:" كان رسولُ اللهِ –ﷺ–إذا أرادَ سَفَرًا أقْرَعَ بَينَ نِسائِه، فأيَّتُهنَّ ما خرَجَ سَهمُها خرَجَ بها".[4] وهذا ما تقتضيه عدالته –ﷺ–.

وفي هذه الغزوة أقرع بينهن فخرج السهم لعائشة–رضى الله عنها– فخرجتْ معه، وأثناء الاستعداد للعودة بعد الغزوة، تأخرت عن القوم، ويظهر البوطي سبب تأخرها، فقال: قالت السيدة عائشة:" ذهبت لأقضي حاجتي في الخلاء، ثم رجعت إلى هَوْدَجِي ألتمس عِقْداً لي من" جَزْع ظَفَار وهو نوع نفيس"، فلما عدت وجدت القوم قد ذهبوا، لا بُدَّ أنهم سيفتقدونني وسيعودون".[5]

وكان من عادة القوم أن يتأخر أحدهم بعد الرحيل ليتفقد المكان ويُعقب عليه، عَلَّه يجد شيئاً نسيه القوم أو شخصاً تخلَّف عن الرَّكْب، وكان هذا المعقِّب هو صفوان بن المُعطّل(ت:19هـ) –رضي الله عنه– من خيرة الصّحابة الكِرام، وهو الذي قام بمساعدةِ السيّدة عائشة –

---

1 – صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك:1517/4، برقم:3910.

2 – تفسير البغوي،18/6، ور: الجامع لأحكام القرآن،161/12، وزاد المعاد:113/2–116، ومحمد بن أحمد أبوزهرة، خاتم النبيين، دار الفكر العربي، القاهرة.. 358/2.

3 – التفسير الكبير،11 / 266.

4 – البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، 1773/4، برقم:243. وبرقم: 4473.

5 –صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث الافك، 1517/4، برقم:3910. ور: البوطي، فقه السيرة، ص:224.

رضي الله عنها– في العودة إلى المدينة، فأشاع عبد الله بن أبي في المعسكر حديث الإفك لشدة عدواته لرسول الله.[1]

وانتشار الحديث عنها بالمدينة وهي لا تشُعر بشيءٍ أو تسمع به، ولكنّها شعرت بتغيّر مُعاملة النبيّ –ﷺ–لها، وبعد خُروجها لقت أُمّ مسطح تشتمُ ابنها، فقالت لها: أتسبّين رجلاً شهد بدراً؟ فأخبرتها بما تحدّث الناس عنها من الإفك، فازدادت مرضاً على مرضها، وذهبت إلى بيت أهلها، وسألت أُمّها عن الكلامِ الذي سمعتهُ، فطمأنتها، ولكنَّها بقيت تبكي طوال اللّيل، وهي على ذلك شهراً كاملاً، وضاق الأمر بالنبيّ –ﷺ–بما سمِع من ترويج المُنافقين في أمر زوجته.[2]

يقول ابن القيم:" فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعة ويذيعه ويجمعه ويفرقه وكان أصحابه يتقربون به إليه، ورسول الله –ﷺ–ساكت لا يتكلم، ثم استشار أصحابه في فراقها، فأشار عليه علي –رضي الله عنه– أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحا، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها وألا يلتفت إلى كلام الأعداء".[3]

فكان من حكمة حبس الوحي شهرا أن القضية تمخضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله –ﷺ–وأهل بيته، والصديق وأهله، وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم به غاية الهناء فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك، لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها، وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك.[4]

وكان –ﷺ–يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الأقوال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:97]، يقول الشعراوي:" فكأن رسول الله –ﷺ–حين

---

1 – تفسير الشعراوي،6291/1، ور: الرحيق المختوم، ص: 304. بتصرّف وأحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:2004م، بيروت. ص:161–162، بتصرّف. وصحيح السيرة النبوية، 257/1، بتصرّف. محمد رضا، محمد رسول الله–ﷺ–، ص:224.

2 – الرحيق المختوم، ص: 320–322. بتصرّف. ور: أكرم ضياء العمري، السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ، مكتبة العلوم والحكم، ط:6، ت:1994م، المدينة المنورة. 411/2–412.

3 –زاد المعاد، 261/3

4– م ن، 263/3.

كان يُكذِّبه أحد، أو يستهزئ به أحد كان يضيق صَدْره فتضيق كمية الهواء اللازمة للحركة؛ ولذلك يُطمئِنه الحق سبحانه أن مَدَده له لا ينتهي، وإذا ما جافاكَ البِشْر أو ضايقك الخَلْق؛ فاعلم أنك قادر على الأُنْس بالله عن طريق التسبيح؛ ولن تجد أرحم منه سبحانه، وأنت حين تُسبِّح ربك فأنت تُنزِّهه عن كُلِّ شيء وتحمده ، لتعيش في كَنَف رحمته".[1]

يقول الزمخشري:" كان بلاء مبيناً ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله-ﷺ-، وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها".[2]

عن عائشة قالت:" وأُنْزِلَ على رسولِ اللهِ -ﷺ-من ساعتِهِ فسَكَتْنا فرُفِعَ عنه وإني لَأَتَبَيَّنُ السُّرورَ في وجهِه وهو يمسحُ جبينَه ويقولُ:" أَبْشِرِى يا عائشةُ فقد أَنْزَلَ اللهُ براءتَك"، قالت فكنتُ أَشَدَّ ما كنتُ غَضَبًا، فقال لي أَبَوايَ: قُومِي إليه، فقلتُ: لا واللهِ لا أَقُومُ إليه ولا أَحْمَدُهُ، ولا أَحْمَدُكُما، ولكن أَحْمَدُ اللهَ الذي أَنْزَلَ براءتي، لقد سَمِعْتُمُوهُ فما أَنْكَرْتُمُوهُ ولا غَيَّرْتُمُوهُ".[3]

فقد بيَّنت الآيات بشكلٍ صريح براءة السيّدة عائشة -رضيَ الله عنها- ممَّا اتَّهمهُ بها أصحابُ الإفك،[4] فطلبت أُمّ السيّدة عائشة منها أن تقوم وتشكر النبيّ -ﷺ-، فقالت: لا أحمدُ إلَّا الله؛ ممَّا يدلُ على صفاءِ عقيدتها، وإيمانها وصبرها وتوكّلها على اللهِ.[5]

إن في انتشار حديث الإفك وذكر القرآن له دليل على نبوته-ﷺ-؛ لأنه لو كان مدعيا للوحي لأخفى هذه القصة ولم يجعلها تقرأ على مر الزمن.

في الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ:

عندما عاد النبيّ ومَن معه من غزوة تبوك لم يقبل النبي -ﷺ- عذرهم، وبقوا على هذا الحال خمسين ليلة، وجلس مرارة بن الربيع وهلال بن أمية يبكيان في بيتهما، أما كعب بن مالك فقد كان يخالط المسلمين، ويصلّي معهم ويطوف في السوق، ولا يكلّمه أحد ولا ينظر إليه. لأن رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ- نَهى النّاسَ عَنْ كَلامِهِمْ، وأمَرَهم بِأنْ يَعْتَزِلُوا نِساءَهم، ثُمَّ عَفا اللَّهُ عَنْهم بَعْدَ خَمْسِينَ لَيْلَةً"، قال تعالى:﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:118]، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله -ﷺ- وهو يبرق وجهه من

---

1 – تفسير الشعراوي 13/ 7784–7786.بتصرف

2 – الكشاف،222/3.

3 – صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، 2129/4، برقم:2770.

4 – صحيح السيرة النبوية، 260/1–261، بتصرّف.

5 – الرحيق المختوم، ص:305. بتصرّف، ور: البوطي، فقه السيرة النبوية، ص:310–311. بتصرّف.

السرور، وكان رسول الله –ﷺ– إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر، قال–ﷺ–:" أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك، قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله، قال كعب: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله –ﷺ–: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك".[1]

إحالة التساؤلات على الوحي:

إنَّ البشرية –في الواقع– تعيش حياة الضنك والهمّ والغمّ، ونجاتها لن تكون إلا في الوحي واتِّباعه؛ وبإشراق هذا الروح المضيء على المسلمين الأوائل، تفتحت قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه، وانطلقوا في طريق العلم يبحثون عن الحق والخير، وما كان لهم من معلم سوى الرسول النبي الأمي–ﷺ– الذي جاءه العلم وحيا من عند الله، وكانوا لذلك يسألونه، وينتظر الرسول–ﷺ– خبر السماء، حتى إذا جاءه، علمه ما يقول.

إن السؤال من أهم وسائل البحث عن المعرفة، وأبرز أدوات التقويم، ومن الأساليب التي حرص الدين الإسلامي عليها، وهو منهج جلي في القرآن الكريم، ويؤكد ذلك أن مادة السؤال للرسول–ﷺ– في القرآن الكريم أخذت حيزا منه، ووردت على عشرين وجها ومن تلك الوجوه:[2]

جاء السؤال عن حكم الهلال، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة:189]، وفي تفسير هذه الآية يقول محمد رشيد الرضا:" أَيْ: مَوَاقِيتُ لَهُمْ فِي صِيَامِهِمْ وَحَجِّهِمْ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَفِي نَحْوِ عِدَّةِ النِّسَاءِ وَآجَالِ الْعُقُودِ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ، فَإِنَّ التَّوْقِيتَ بِهَا يَسْهُلُ عَلَى الْعَالِمِ بِالْحِسَابِ وَالْجَاهِلِ بِهِ، وَعَلَى أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ، فَهِيَ مَوَاقِيتُ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَأَمَّا السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ فَإِنَّ شُهُورَهَا تُعْرَفُ بِالْحِسَابِ فَهِيَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْحَاسِبِينِ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ضَبْطِهَا إِلَّا بَعْدَ ارْتِقَاءِ الْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ بِزَمَنٍ طَوِيلٍ".[3]

وَقَدْ وَرَدَ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْآيَةِ أَنَّ بَعْضَهُمْ سَأَلَ النَّبِيَّ–ﷺ–عَنِ الْأَهِلَّةِ مُطْلَقًا، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ سَأَلَ: لِمَ خُلِقَتْ؟ وَالرِّوَايَتَانِ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ(ت:327هـ)". [4]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ(ت:18هـ) وَثَعْلَبَةَ بْنَ غُنَيْمَةَ(ت:5هـ)–رضى الله عنهما– قَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَالُ الْهِلَالِ يَبْدُو دَقِيقًا مِثْلَ الْخَيْطِ، ثُمَّ يَزِيدُ حَتَّى يَعْظُمَ وَيَسْتَوِيَ وَيَسْتَدِيرَ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ وَيَدِقُّ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ لَا يَكُونُ عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ؟ وَقَدِ اشْتُهِرَ هَذَا السَّبَبُ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الْبَلَاغَةِ يَذْكُرُونَهُ فِي مُطَابَقَةِ الْجَوَابِ لِلسُّؤَالِ وَعَدَمِهَا، وَزَعَمُوا أَنَّ مُرَادَ السَّائِلِينَ

---

1 – التحرير والتنوير،51/11– 52. ور: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب وصاحبيه، 2120/4 ،2121، برقم:2769.

2 – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 167/3–168

3 – تفسير المنار،163/2.

4 – تفسير القرآن العظيم، 323/1.

بَيَانُ السَّبَبِ الطَّبِيعِيِّ لِهَذَا الِاخْتِلَافِ، وَأَنَّ الْجَوَابَ إِنَّمَا جَاءَ بِبَيَانِ الْحِكْمَةِ دُونَ الْعِلَّةِ؛ لِأَنَّهُ مَوْضُوعُ الدِّينِ، جَرْيًا عَلَى مَا يُسَمَّى فِي الْبَلَاغَةِ الْأُسْلُوبَ الْحَكِيمَ كَأَنَّهُ قَالَ كَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا عَنِ الْحِكْمَةِ وَالْفَائِدَةِ فِي اخْتِلَافِ الْأَهِلَّةِ إِنْ لَمْ تَكُونُوا تَعْرِفُونَهَا، وَإِلَّا فَعَلَيْكُمُ الِاكْتِفَاءُ بِهَا وَعَدَمُ مُطَالَبَةِ الشَّارِعِ بِمَا لَيْسَ مِنَ الشَّرْعِ.[1]

وتارة يكون السؤال عن الأموال، قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:215]، وتارة عن حال الحرب والقتال، قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ ﴾ [البقرة:217]، وتارة عن الحلال والحرام، قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:219]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة:4]، وتارة يكون سؤالهم لامتحان الرسول-ﷺ- كالسؤال عن القيامة وما فيها من الأهوال، قال تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:187]، وهذا يدل على أن القرآن من الله لا دخل لمحمد-ﷺ- فيه.

وهذا سؤال المبالغة في الجدال، يقول القشيري(ت:465هـ):" السائلُ عن الساعةِ رجلان؛ مُنْكِرٌ يتعجَّبُ لفَرْطِ جهله، وعارِفٌ مشتاقٌ يستعجل لِفَرْطِ شوقه، والمتحقق بوجوده ساكِنٌ في حاله؛ فسيان عنده قيام القيامة ودوام السلامة، والحق – سبحانه – استأثر بعلم الساعة؛ فلم يُطلِعْ على وقتها نَبيًّا ولا صفيًّا، فالإيمان بها غيبيٌّ، ويقين أهل التوحيد صادق عن شوائب الرِّيب".[2]

يقول ابن الأثير(ت:630):" السؤال في كتاب الله والحديث نوعان أحدهما: ما كان على وجه التبيين والتعلم مما تمس به الحاجة إليه، فهو مباح، أو مندوب، أو مأمور به، والآخر: ما كان على طريق التكلف والتعنت، فهو مكروه ومنهي عنه، فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه فإنما هو ردع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ" [3].

يقول ابن كثير:" ويتكرر السؤال من المنافقين عن الساعة، من باب لاستهزاء كما في قوله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾[النازعات:42].[4]

---

1 – تفسير المنار،202/2.

2 – عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط:2، ت: 2007م، مصر.477/2.

3 – النهاية في غريب الحديث والأثر، 328/2.

4 – تفسير ابن كثير، 518/3.

وكانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعادًا لوقوعها، وتكذيبًا بوجودها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء:38]، وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:18].

وكذلك ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ [الأحزاب:63]، والغرض من السؤال التعنت ويعلق ابن كثير على هذا السؤال بقوله:" يقول تعالى مخبرا لرسوله-ﷺ-: أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك، وأرشده أن يرد علمها إلى الله، عز وجل، الذي يقيمها، لكن أخبره أنها قريبة بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:1].

وقال تعالى:﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:1]، وقال تعالى:﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:1]، وهناك من يقول بأن رسول الله-ﷺ- يعلم علم الساعة بدليل الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أن رسول الله-ﷺ- قال:" يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم".[1]

والباحث يرى هذا القول فاسد لتعارضه مع النص القرآني، كما أن رسول الله-ﷺ- وصف حال الناس يوم القيامة ولم يحدد موعده.

وتارة يكون السؤال عن الغنائم، قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الانفال:1]، قال الطبري:" اختلف أهل التأويل في معنى الأنفال التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي الغنائم، وقالوا: معنى الكلام: يسألك أصحابك، يا محمد، عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر، لمن هي؟ فقل: هي لله ولرسوله".[2]

وتارة يكون السؤال عن الانفاق قال تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219]، يقول البغوي في تفسيره:" واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فضل عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية، ثم نسخ بآية الزكاة. وقال مجاهد: معناه: التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلا على الناس".[3]

---

1 – تفسير ابن كثير، 517/5، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول الله تعالى: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم،2393/5، برقم:6167. وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، 2196/4، برقم:2863.

2 – جامع البيان، 3757/5، ور: أحمد بن محمد النحاس، معاني القرآن، المحقق: محمد علي الصابوني، ط:1، ت:1989م، مكة المكرمة.192/2.

3 – معالم التنزيل،253/1.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله-ﷺ-:" خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول".[1]

وتارة يسألون عن الحيض، قال تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222]، يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية:" حين تقرأ { هُوَ أَذًى } فقد أخذت الحكم ممن يُؤمنُ على الأحكام، ولا تناقش المسألة، مهما قال الطب من تفسيرات وتعليلات وأسباب، والمحيض يطلق على الدم، ويراد به أيضاً مكان الحيض، وزمانه، وقوله تعالى عن المحيض إنه أذى يهيئ الذهن لأن يتلقى حكما في هذا الأذى ، وبذلك يستعد الذهن للخطر الذي سيأتي به الحكم . وقد جاء الحكم بالحظر والمنع بعد أن سبقت حيثيته".[2]

وتارة عن حال الجبال قال تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ [طه:105]، يقول ابن عادل في تفسيره:" قال ابن عباس-رضى الله عنهما-: سأل رجلٌ من ثقيف رسولَ الله -ﷺ-فقال: كيفَ تكون الجبالُ يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية. وقال الضحاك: نزلت في مشركي مكة، قالوا يا محمد كيف تكون الجبالُ يوم القيامة؟ على سبيل الاستهزاء، { فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً } وأجاب بفاء التعقيب، لأن مقصودَهم من هذا السؤال الطعنُ في الحشر والنشر، فلا جرم أمره بالجواب مقروناً بحرف التعقيب، لأن تأخير البيان في مثل هذه المسألة الأصولية غير جائز، وأما المسائل الفرعية فجائز، فلذلك ذكر هناك بغير حرف التعقيب".[3]

وتارة يأتي السؤال عن اليتيم وإصلاح ما له من المال، قال تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة:220]، والمعنى يسألونك عن القيام بأمر اليتامى، أو التصرف في أموالهم، أو عن أمرهم وكيف يكونون معهم،{ قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ } يقول الألوسي:" أي مداخلتهم مداخلة يترتب عليها إصلاحهم أو إصلاح أموالهم بالتنمية والحفظ خير من مجانبتهم، وفي الاحتمال الأول إقامة غاية الشيء مقامه".[4]

وتارة يسألون عن ماهية الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الاسراء:85]، يقول السعدي في تفسيره:" وهذا متضمن لردع من يسأل المسائل، التي لا يقصد بها إلا التعنت والتعجيز، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون عن الروح التي هي من الأمور الخفية، التي لا يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد، ولهذا أمر الله رسوله-ﷺ- أن يجيب سؤالهم بقوله:{ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } أي: من جملة

---

1 – صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: باب لا صدقة إلا عن ظهر غني،518/2، برقم:1360.

2 – تفسير الشعراوي،979/2-980.

3 – تفسير اللباب في علوم الكتاب، 236/11.

4 – روح المعاني، 169/2-170.

مخلوقاته، التي أمرها أن تكون فكانت، فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها".[1]

وفي هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

ومن الأسئلة الإخبارية السؤال عن ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾ [الكهف:83]، أي: اليهودُ سألوه على وجه الامتحانِ، أو سألتْه قريشٌ بتلقينهم، يقول ابن عاشور:" فَالسَّائِلُونَ: قُرَيْشٌ لَا مَحَالَةَ، وَالْمَسْئُولُ عَنْهُ: خَبَرُ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْعَالَمِ عُرِفَ بِلَقَبِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، كَانَتْ أَخْبَارُ سِيرَتِهِ خَفِيَّةً مُجْمَلَةً مُغْلَقَةً، فَسَأَلُوا النَّبِيءَ -ﷺ-عَنْ تَحْقِيقِهَا وَتَفْصِيلِهَا، وَأَذِنَ لَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ مِنْهَا مَا هُوَ مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ للنَّاس فِي شؤون الصَّلَاحِ وَالْعَدْلِ، وَفِي عَجِيبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْخَلْقِ، فَكَانَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ مُنْفَرِدِينَ بِمَعْرِفَةٍ إِجْمَالِيَّةٍ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ وَكَانَتْ مِنْ أَسْرَارِهِمْ فَلِذَلِكَ جرّبوا بهَا نبوءة مُحَمَّد -ﷺ-، وَلَمْ يَتَجَاوَزِ الْقُرْآنُ ذِكْرَ هَذَا الرَّجُلِ بِأَكْثَرِ مِنْ لَقَبِهِ الْمُشْتَهِرِ بِهِ إِلَى تَعْيِينِ اسْمِهِ وَبِلَادِهِ وَقَوْمِهِ، لِأَنَّ ذَلِك من شؤون أَهْلِ التَّارِيخِ وَالْقَصَصِ وَلَيْسَ مِنْ أَغْرَاضِ الْقُرْآنِ، فَكَانَ مِنْهُ الِاقْتِصَارُ عَلَى مَا يُفِيدُ الْأُمَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ عِبْرَةً حِكَمِيَّةً أَوْ خُلُقِيَّةً فَلِذَلِكَ قَالَ الله: قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً".[2]

وجاء أيضا السؤال من أهل الكتاب قال تعالى:﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:153]، أي: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، بِأَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا مُحَرَّرًا بِخَطٍّ سَمَاوِيٍّ يَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ، وَقِيلَ: أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابُ شَرِيعَةِ هَذَا النَّبِيِّ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَالْأَلْوَاحِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى-عليه السلام-.

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ يقولُ محمد رشيد:" إِنَّنَا نَجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِنَا أَنَّ التَّوْرَاةَ نَزَلَتْ عَلَى مُوسَى-عليه السلام-كُلُّهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَكَذَلِكَ نَزَلَ الْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى، -عليه السلام-، وَبَنَوْا عَلَى هَذَا أَنَّ الْيَهُودَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ شَرِيعَتَهُ كُلَّهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ كَالتَّوْرَاةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا مِمَّا كَانَ يَغُشُّ بِهِ الْيَهُودُ الْمُسْلِمِينَ، فَالْمَعْرُوفُ فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي عِنْدَهُمْ، أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى-عليه السلام-مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى جُمْلَةً وَاحِدَةً هُوَ الْوَصَايَا الْعَشْرُ مَنْقُوشَةً فِي لَوْحَيْنِ".[3]

ويضيف قائلا:" يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ، هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّعَنُّتِ، وَالتَّعْجِيزِ، لَا بِقَصْدِ طَلَبِ الْحُجَّةِ لِأَجْلِ الِاقْتِنَاعِ، وَإِنْ تَعْجَبْ أَيُّهَا الرَّسُولُ مِنْ سُؤَالِهِمْ، وَتَسْتَنْكِرْهُ وَتَسْتَكْبِرْهُ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ سَأَلُوا

---

1 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،466/1.

2 – التحرير والتنوير،17/16-18.

3 – تفسير المنار، 11/6.

مُوسَى-عليه السلام-أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً، سَأَلَهُ ذَلِكَ سَلَفُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ".[1]

وجاءت الإجابة قبل السؤال كما في قوله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:186]، يقول الطبري:" نزلت في سائل سأل النبي -ﷺ-فقال: يا محمد، أقريبٌ ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله:" وإذا سألك عبادي عَني فأني قريبٌ أجيبُ".[2]

المبحث الثالث: توصيف الأعراض المصاحبة للوحي:

كان النبي-ﷺ- يتهيأ وشعوره ووعيه معا لتلقي الوحي، فهو يستجمع كل قواه العقلية والنفسية لاستقبال الوحي بغير إرادة منه وقصد مسبق، بل بتوجيه من الله تعالى، وتفعيل لتلك القوى بقدرته، حيث القرآن قول عظيم القدر ثقيل الوزن، قال تعالى:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[المزمل:5]، يقول أبو السعود:" وقيلَ مَعْنَى كونِه ثقيلاً: أنه رصينٌ لرزانة لفظهِ ومتانة معناهُ أو ثقيلٌ على المتأمل فيهِ لافتقارِه إلى مزيد تصفيةٍ للسرّ وتجريدٍ للنظرِ أو ثقيلٌ في الميزان أو على الكفار والفجارِ أو ثقيلٌ تلقيه. عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-قال:" كانَ نَبِيُّ اللهِ -ﷺ-إذَا أُنْزِلَ عليه الوَحْيُ كُرِبَ لِذلكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ".[3] ، وعن عائشةَ -رضيَ الله عنها- رأيتُه ينزلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشديدِ البردِ فيفصمُ عنه وإن جبينَهُ ليرفضُّ عرقاً".[4]

ويقول الفخر الرازي:" ذكروا في تفسير الثقيل وجوهاً أحدها: وهو المختار عندي أن المراد من كونه ثقيلاً عظم قدره وجلالة خطره، وكل شيء نفس وعظم خطره، فهو ثقل وثقيل وثاقل، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء: {قَوْلاً ثَقِيلاً} يعني كلاماً عظيماً".[5]

ولكونه كلاماً عظيماً قال تعالى:﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّ هُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، يقول الألوسي:" العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع، على جَبَلٍ عظيم، لَّرَأَيْتَهُ مع كونه علماً في القسوة، وعدم التأثر مما يصادمه، متشققاً، وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر ما فيه من القوارع،

---

1 – م ن، 12/6.

2 – جامع البيان ،925/2

3 –صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي-ﷺ-، 1817/4، برقم:2334.

4 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،398/6. ور: أبو بكر محمد بن خزيمة، التوحيد تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، ط:5، ت:1994م، الرياض.358/1.

5 – التفسير الكبير، 108/16.

ولو أنزل على جبل لخشع وتصدع، وهذا مثل من الأمثال التي تصور عظمة القرآن قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الامثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21]".[1]

وفي نقل الجبل من صورة الجماد الساكن إلى صورة حية تحمل الأحاسيس والمشاعر، يقول الزحيلي:" أي وجعل فيه تمييز ووعي كالإنسان، لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً خاشِعاً منقادا خاضعا، ومُتَصَدِّعاً متشققا، وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، أي: وتلك الأمثال المذكورة يراد بها توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن، لقساوة قلبه، وقلة تدبّره".[2]

ولإتمام هذا اللقاء بين الطبيعتين المتغايرتين، طبيعة الملك النورانية وطبيعة النبي-ﷺ- البشرية، يقول حسن ضياء الدين عتر:" فإن بعض الباحثين يرى أنه يستوجب أحد أمرين تتعلق بها تلك الظواهر الخارجية وهما: إما أن يتصف النبي -ﷺ- بوصف ملك الوحي باستثارة الروحانية فيه وتقويتها وتغليبها على الأوصاف البشرية، وإما أن يتصف ملك الوحي بوصف النبي البشري، فتتغلب عليه الأوصاف البشرية ومجمل القول في هذه الآثار أن حالة الشدة في التلقي لا تتعدى في تأثيرها أحوال النبي الجسدية، فنحن نجده وهو يتلقى الوحي يتمتع بحالة عادية وبحرّية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية بحيث يستخدم ذاكرته استخداما كاملا خلال الظاهرة نفسها ... وهذا التلازم بين الحالة العضوية (الشدة في التلقي) والوحي الذي هو ظاهرة نفسية يمثل الطابع الخارجي المميز للوحي".[3]

آثار الوحي ومظاهره على النبي -ﷺ-:

تحريك اللسان:

قال تعالى:﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[القيامة:16]، وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير:" هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله -ﷺ-في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له بجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه".[4]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:" كان رسول الله -ﷺ-يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله تعالى:﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:16-17]".[5]

---

1 - روح المعاني 644/13.

2 - التفسير المنير،482/14.

3 - نبوة محمد في القرآن، ص:194.

4 - تفسير ابن كثير،7 / 169-170.

5 - صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -ﷺ-، 6/1، برقم:5.

ولقد نهى الله نبيه–ﷺ– عن العجلة، فقال تعالى:﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، [طه:114]، يقول ابن عاشور:" وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْعَجَلَةِ بِالْقُرْآنِ الْعَجَلَةَ بِقِرَاءَتِهِ حَالَ إِلْقَاءِ جِبْرِيلَ آيَاتِهِ. فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ النَّبِيءُ يُبَادِرُ جِبْرِيلَ فَيَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ جِبْرِيلُ حِرْصًا عَلَى الْحِفْظِ وَخَشْيَةً مِنَ النِّسْيَانِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ الْآيَةَ. وَهَذَا كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ".[1]

كان النبي –ﷺ–لحِرصه على حِفظ القرآن يُسابق المَلَك في قِراءته قبل أن يَفرغ، وكلما قال جبريل آية قالها معه، فأرشده الله تعالى إلى عدم الاستعجال وإلى الإنصات حتى ينتهي جبريل، فإذا انتهى أُمِر أن يقرأ بالطريقة التي أقرأها إياه جبريل، ويُقرئ بها أصحابه.

قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:114]، يقول أبو السعود:" كان رسولُ الله –ﷺ–إذا أُلْقَى إليه الوحيَ يتبعه عند لفظِ كل حرفٍ، وكل كلمةٍ لكمال اعتنائِه بالتلقّي والحِفظ، فنُهيَ عن ذلك إثرَ ذكرِ الإنزال بطريق الاستطرادِ لِما أن استقرارَ الألفاظِ في الأذهان تابعٌ لاستقرار معانيها فيها، وربما يَشغَل التلفظُ بكلمة عن سماع ما بعدها، وأُمر باستفاضة العلمِ واستزادتِه منه تعالى فقيل:{ وَقُلْ } أي في نفسك { رَّبّ زِدْنِى عِلْماً } أي: سل الله عز وجل زيادةَ العلمِ، فإنه الموصلُ إلى طِلْبتك دون الاستعجالِ، وقيل: إنه نهُي عن تبليغ ما كان مجملاً قبل أن يأتيَ بيانُه وليس بذاك، فإن تبليغَ المُجملِ وتلاوتَه قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيّتِه".[2]

وقد تولى الله بيان معاني القرآن قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} يقول السعدي: " أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه، وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، وأن النبي –ﷺ–قد بين للأمة معاني القرآن، كما بين ألفاظ الوحي لهم".[3]

ثقل جسمه–ﷺ– عند نزول الوحي عليه:

ما تصفه الروايات من أحوال مصاحبة لعملية الوحي يرى فيه بعض المفسرين توضيحا وشرحا لما ورد في قوله تعالى:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزّمّل:5] ، حيث أرجعوا هذا

1 – التحرير والتنوير،317/16.

2 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،387/4.

3 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 899/1.

الثقل إلى ما يلاقيه النبي –ﷺ–من عناء جرّاء تلقيه الوحي من الملك، وذهب مفسرون آخرون إلى آراء أخرى عديدة في تفسير هذا الثقل تضمنتها كتب التفسير.[1]

كان –ﷺ–إذا نزل عليه الوحي ثقل جسمه، حتى إن البعير الذي يكون عليه يكاد يبرك، وحتى يكاد يرضّ فخذه فخذ الجالس إلى جنبه–ﷺ–، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ إِنْ كَانَ ليوحي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا".[2]

وعن زيد بن ثابت قال:" أَنَّ رَسولَ اللَّهِ –ﷺ–أَمْلَى عليَّ:﴿ لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: 95]، وفَخِذُهُ علَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتَّى خِفْتُ أنْ تَرُضَّ فَخِذِي، فَجَاءَهُ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ(ت:15هـ) وهْوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، واللَّهِ لو أسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ، وكانَ أعْمَى، ثُمَّ سُرِّيَ عنْه فأنْزَلَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ –ﷺ–،﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾".[3]

كان –ﷺ– يصيبه التعب، والكرب:

والْإِشَارَة إِلَى كَثْرَة معاناته –ﷺ–بالتَّعَب وَالْكرب عِنْد نزُول الْوَحْي، يقول محمود بن أحمد العيني(ت:855هـ):" كَانَ إِذا ورد عَلَيْهِ الْوَحْي يجد لَهُ مشقة، ويغشاه الكرب لثقل مَا يلقى عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سنلقي عَلَيْك قولا ثقيلا﴾، وَلذَلِك كَانَ يَعْتَرِيه مثل حَال المحموم كَمَا رُوِيَ أَنه كَانَ يَأْخُذهُ عِنْد الْوَحْي الرحضاء أَي البهر والعرق من الشدَّة وَأكْثر مَا يُسمى بِهِ عرق الْحمى وَلذَلِك كَانَ جَبينه يتفصد عرقا كَمَا يفصد وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِك ليبلو صبره وَيحسن تأديبه فيرتاض لاحْتِمَال مَا كلفه من أعباء النُّبُوَّة ".[4]

عن عائشة–رضي الله عنها–، في حديث البراءة من الإفك – قالت:" فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ –ﷺ– فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ في الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ".[5]

---

1 – جامع البيان،8263/10، والكشاف، 173/4، معالم التنزيل،408/4، الذر المنثور،315/8.

2 – الإمام أحمد، المسند، 362/41، برقم: 24868، الحديث صحيح، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة،53/7، ور: فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد، ط:14، ت:2006م، الرياض.186/1. البيهقي، دلائل النبوة، 53/7

3 – صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب الصلاة في الثياب، باب ما يذكر في الفخذ،145/1، برقم:363.

4 – محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2001م، بيروت.43/1.

5 – صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، 2136/4، برقم: 2770.

إن أثر التغير والانفعال تظهر عليه على صاحب الرسالة-ﷺ-، أن جبينه وجبهته تفيضان بالعَرَق حتى في اليوم الشديد البرد، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:" إن كان لينزل على رسول الله -ﷺ-في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقا ".[1]

قال ابن حجر:" وفي قولها" في اليوم الشديد البرد" دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية".[2]

تربد وجهه -ﷺ-:

ولقد كانت تجربة الوحي شديدة على الرسول-ﷺ- كحالة غير عادية تفرض عليه، فيعاني من شدتها ما يعاني وكان يتغير وجهه -ﷺ-فيتربَّد ثم يحمرُّ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:" كَانَ نبي اللَّهِ -ﷺ-إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوحي كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ وَجْهُه".[3]

وفي تربد الوجه، يقول النووي:" أي: علته غبرة، والربد تغير البياض إلى السواد، وإنما حصل له ذلك لعظم موقع الوحي، قال الله تعالى: إنا سنلقي عليك قولا ثقيلاً".[4]

عن صفوان بن يعلى بن أمية(ت:48هـ) عن أبيه:" أن رجلا أتى النبي -ﷺ-وهو بالجعرانة وعليه جبة وعليه أثر الخلوق أو قال صفرة فقال كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ فأنزل الله على النبي -ﷺ-فستر بثوب، ووددت أني قد رأيت النبي -ﷺ-وقد أنزل عليه الوحي فقال عمر تعال أيسرك أن تنظر إلى النبي -ﷺ- وقد أنزل عليه الوحي؟ قلت: نعم فرفع طرف الثوب فنظرت إليه له غطيط - وأحسبه قال - كغطيط البكر فلما سري عنه، قال:" أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة واغسل أثر الخلوق عنك وأنق الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك".[5]

وكان -ﷺ- تعتريه رعدة عند نزول الوحي عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:1]، يقول ابن عطية: "نداء للنبي -ﷺ-، واختلف الناس لمَ نودي بهذا، فقالت عائشة والنخعي وجماعة: لأنه كان وقت نزول الآية متزملاً بكساء".[6]

---

1 - م ن، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي -ﷺ-في البرد وحين يأتيه الوحي، 1816/4، برقم:2333، ور: مساعد بن سليمان الطيار، كتاب المحرر في علوم القرآن، مركز الإمام الشاطبي، ط:2، ت:2008م، الرياض.64/1.

2 - فتح الباري،26/1.

3 - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي -ﷺ-في البرد وحين يأتيه الوحي، 1817/4، برقم: 2334.

4 - المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنا،190/11.

5 - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج،634/2، برقم:1697.

6 - المحرر الوجيز، 6 / 439.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، [المدثر:1]، قال أبو السعود في تفسيره: " المدثرُ هو لابسُ الدثارِ وهُوَ مَا يُلبسُ فوقَ الشِّعارِ الَّذي يلي الجسدَ ".[1]

كان -ﷺ-ينكس رأسه، ويغطيه بثوبه:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:" كَانَ النبي -ﷺ-إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ" [2].

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:" كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ-إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَرَفْنَا ذَلِكَ فِيهِ، فَتَنَحَّى مُنْتَبِذًا خَلْفَنَا، فَجَعَلَ يُغَطِّي رَأْسَهُ بِثَوْبِهِ، وَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفْنَا أَنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَأَتَانَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قوله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح:1-3]".[3]

وكل ما أصاب النبيَّ -ﷺ-من كربٍ وشدَّة لا شك أنه بسبب ثقل الوحي الذي أخبره الله تعالى به قبل إنزاله عليه، وقد هيَّأه تعالى لذلك التلقي.

بكاؤه -ﷺ-عند سماع القرآن:

إن البكاء طبيعة وفطرة بشرية، فطر الله سبحانه الناس عليها، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[النَّجم:43]، ولعلّ من أهمّ الأسباب التي تؤدي إلى نزول الرّحمات ومغفرة الذنوب؛ البكاء من خشية الله، وقد كان رسول الله -ﷺ-كثير البكاء خشيةً من الله.

قال ابن القيم: "وأما بكاؤه -ﷺ-فكان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت – كما لم يكن ضحكه قهقهة – ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا".[4]

عن ابن عمر قال: قلت لعائشة-رضى الله عنها-:" أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله -ﷺ-، فبكت وأطالت ثم قالت: كل أمره عجب، لَمَّا كان ليلةٌ مِن اللَّيالي قال:" يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربِّي"، قُلْتُ: واللهِ إنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَك، وأُحِبُّ ما سرَّك، قالت: فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصَلِّي، فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ لِحيتَه، فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ، فلمَّا رآه يبكي، قال: يا رسولَ اللهِ لِمَ تَبكي وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال:" أفلا أكونُ عبدًا شكورًا، ثم قال: ما لي لا أبكي لقد نزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها، قال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾[آل عمران: 190]". [5]

---

1 – إرشاد العقل السليم، 6 / 402.

2 – صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي-ﷺ-،1817/4، برقم:2335.

3 – الإمام أحمد، المسند ،7/ 426، 427، برقم:4421. قال الهيثمي: اسناده صحيح، كشف الاستار،202/1

4 –زاد المعاد، 189/1.

5 – التفسير الكبير،8/5. ور: صحيح ابن حبان،387/2، برقم:620. قال شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح على شرط مسلم. تخريج صحيح ابن حبان، وسعيد القحطاني، رحمة للعالمين، مؤسسة الجريسي، مطبعة سفير، ط:1، ت:2006م، الرياض. ص: 83-84.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:41] يقول الشعراوي:" وساعة تسمع كلمة « كيف » فاعرف أن هناك شيئا عجيبا، فكل شيء يتعجب منه يؤتى فيه ب «كيف»، والشهيد هو: الذي يشهد ليقرر حقيقة، فكيف يكون الموقف إذا جاء وقال: أنا أبلغتهم الموقف ولا عذر لهم لأنني أعلمتهم به، وَجِئْنَا بِكَ يا محمد على هؤلاء شَهِيدًا، على هؤلاء المكذبين الذين أرسل إليهم وهم أمة الدعوة، أن حال هؤلاء سيكون فظيعاً حينما يأتي يوم العرض يوم القيامة، فإذا كان الشهيد بكى من وقع الآية فكيف يكون حال المشهود عليه؟ الشهيد الذي سيشهد بكى من الآية، نعم؛ لأنك تعلم أن رسول الله – ﷺ–ملئ قلبه رحمة بأمته".[1]

1 – تفسير الشعراوي،1538/1.

الفصل الثالث: توصيف عتاب رسول الله -ﷺ-في القرآن

المبحث الأول: مفهوم العتاب وتأثيره في نفس الرسول-ﷺ-:

إن العتب هو: الملامة. عتَبَ عليه يَعِتب، ويعتُب عَتْبا وعتابا ومَعْتَبة ومعتبا أي: وجد عليه، وعاتبه مُعاتبة وعِتابا: كل ذلك لامه في تسخط، والإعْتاب والعُتْبى: رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب، والاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته، والعتب: الرجل الذي يعاتب صاحبه أو صديقه في كل شيء، إشفاقا عليه ونصيحة له، وتقول: قد أعْتبني فلان أي ترك ما كنت أجد عليه من أجله، ورجع إلى ما أرضاني عنه، بعد إسخاطه إياي عليه.[1]

قال الأزهري(ت:370هـ):" التعتب والمعاتبة والعتاب: كل ذلك مخاطبة الإدلال وكلام المدللين أخلاءهم، طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرة بعضهم بعضا ما كرهوه مما كسبهم الموجدة ".[2]

قد وردت مفردة العتاب بصيغتها اللغوية الصريحة منها قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[النحل:84]، يقول الألوسي:" أي لا يطلب منهم أن يزيلوا عتب ربهم، أي: غضبه بالتوبة والعمل الصالح إذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل والرجوع إلى الدنيا مما لا يكون".[3]

وقوله تعالى:﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[الروم:57] يستفيد الزمخشري من دلالة لفظة " يُسْتَعْتَبُونَ" العتاب الصريح، فيقول:" من قولك استعتبني فلان فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وذلك إذا كنت جانياً عليه، وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه، ألا ترى إلى قول علي بن محمد العدوي(ت:377هـ):

سائِلْ تَمِيماً في الحُرُوب وعامِراً * وهَلِ المُجرِبُ مثْلُ مَنْ لم يَعْلَمِ**

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَن تُقَتَّلَ عامِـــرٌ * يَوْمَ النِّسَارِ فأُعْتِبوا بالصَّيْلَـــمِ [4]**

كيف جعلهم غضابا، ثم قال: فأعتبوا، أي: أزيل غضبهم، والغضب في معنى العتب".[5]

وقوله تعالى:﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية:35].

---

1 – لسان العرب، 29/9، مادة عتب، ور: أحمد الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، 391/2.

2 – محمد ابن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:2001م، بيروت. 278/2.

3 – روح المعاني، 264/10.

4 – علي بن محمد العدوي، المعروف بالشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق: صالح المهدي العزاوي، ط:1، العراق. ص:24. البحر الكامل.

5 – الكشاف، 270/5.

ويوضح ابن عاشور في تفسيره مفهوم الإعتاب يقول:" وَالِاسْتِعْتَابُ بِمَعْنَى: الْإِعْتَابِ، فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ كَمَا يُقَالُ: أَجَابَ وَاسْتَجَابَ، وَمَعْنَى الْإِعْتَابِ: إِعْطَاءُ الْعُتْبَى وَهِيَ الرِّضَا، وَهُوَ هُنَا مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، أَيْ وَلَا يَرْضَوْنَ بِمَا يُسْأَلُونَ". [1]

وقوله تعالى:﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنْ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:24]. ، يقول البغوي:" يسترضوا ويطلبوا العتبى،{ فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} المرضين، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل، فقلت: أعتبني فلان، أي: أرضاني بعد إسخاطه إياي، واستعتبته: طلبت منه أن يعتب، أي: يرضى".[2]

كما وردت مقارباتها دالة على معان تنتمي إلى معاني العتاب في سياقات الآيات القرآنية، كاللوم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون:6]. يقول القطان:" فمن طلب ما بعد ذلك مما حرّم الله فهو متعدٍّ للحدود المشروعة، وبذلك يكون مؤاخَذاً ومذنباً يستحق العقاب".[3] وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [الإسراء:29]. وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات:54].

والتثريب في قوله تعالى على لسان يوسف-عليه السلام-:﴿ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف:92]، يقول ابن عادل:" والتَّثْرِيبُ: العَتبُ، والتَّأنيب، وعبَّر بعضهم عنه بالتَّعيير من عيَّرته بكذا إذا عتَبْته، أي: لا أثرِّبُكمُ اليوم وهو اليوم الذي مظنته التَّثريب ، فما ظنُّكم بسائر الأيَّام، ويحتمل أنِّي حكمت في هذا اليوم ألاّ تثريب مطلقاً؛ لأنَّ قوله:" لا تَثْرِيبَ" نفي للماهيَّة، ونفي الماهيَّة يقتضي نفي أفراد جميع الماهية، فكان ذلك مفيداً للنَّفي المتناول لكلِّ الأوقات والأحوال، ثمَّ إنَّه أزال عنهم ملامة الدُّنيا طلب من اللهِ أن يزيل عنهم عقاب الآخرةِ، فدعا لهم بقوله: "يَغْفِرُ الله لَكُمْ".[4]

يقول أبو هلال العسكري(ت:395هـ):" العتاب هو: الخطاب على تضييع حقوق المودة والصداقة في الإخلال بالزيارة وتركت المعونة وما يشاكل ذلك ولا يكون العتاب إلا ممن له موات يمت بها، إن التثريب شبيه بالتقريع، والتوبيخ، ولا يكون التثريب إلا على قبيح، واللوم قد يكون لما يفعله الإنسان في الحال، على الفعل الحسن".[5]

---

1 – التحرير والتنوير،376/25.

2 – معالم التنزيل، 171/7.

3 – تيسير التفسير، 471/2.

4 – اللباب، 351/9.

5 – الحسن بن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، دار الكتب العلمية، ط:2، ت:2005م، بيروت. ص:65.

وقد عرفه العلماء بأنه: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموجدة على صدور المكروه من الحبيب تأديبا ليستغفر عنه ويصير مورد المراحم، وبعبارة أخرى: العتاب تأديب الشفقة. [1]

يقول عويد المطرَفي(ت:1429هـ):" إن عتاب الله تعالى لنبيه –ﷺ–معناه: تذكيره في تلطف وإشفاق، لما يقع من الخطأ في اجتهاده –ﷺ–توصلاً الى تصحيح هذا الخطأ الذي يعود به الرسول –ﷺ–الى موافقة مراد الله تعالى، وتحقيق المطلوب منه –ﷺ–، فينال كامل الرضا".[2]

إن القران سجل في كثير من آياته بعض أخطاء في الرأي على الرسول–ﷺ–؛ ووجه إليه بسببها عتابا نشعر بلطفه تارة، وبعنفه تارة أخرى، ولا ريب أن العقل المنصف يحكم بأن هذا القرآن كلام الله وحده، ولو كان من عند محمد–ﷺ–ما سجل على نفسه هذه الأخطاء وذلك العتاب. [3]

يقول صلاح الخالدي:" وخاض السابقون كثيرا في تلك المواقف، وأكثروا من الكلام عن آيات العتاب للرسول–ﷺ–، وقدموا فيها روايات لم تصح، ونسبوا إلى رسول الله–ﷺ–ما لا يليق به، وعلو منزلته عند الله، وسجلوا ذلك في بعض كتب والتفسير والتاريخ. [4]

ويضيف قائلا:" فمن حق النبي –ﷺ–على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من ولد لوالده، ومن عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له، مما يزيد على لوازم الرسالة، وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى:﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح:9]، وقال تعالى:﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157]، فأبان أن حق الرسول –ﷺ– في أمته أن يكون معززاً موقراً مهيباً، وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره، ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم".[5]

---

1 – عبد الرؤوف المناوي (ت:1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: عبد الحميد صالح حمدان، ط:1، ت:1990م، الرياض. ص: 236، ور: محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط:2، ت:1988م، بيروت. ص:304.

2 – عويد بن عيَّاد المطرَفي، آيات عتاب المصطفى –ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، جامعة الملك عبد العزيز، ط:3، ت: 2005م، مكة المكرمة. ص:113.

3 – مناهل العرفان في علوم القرآن، 358/2.

4 –صلاح عبد الفتاح الخالدي، عتاب الرسول –ﷺ–في القرآن، دار القلم، ت:2002 م، دمشق. ص:5.

5 – م ن، ص:6.

وفي المقام نفسه يقول عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود –ﷺ–: إِذَا حُدِّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–حَدِيثًا فَظُنُّوا بِرَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–الَّذِي هُوَ أَهْيَاهُ وَأَهْدَاهُ وَأَتْقَاهُ". [1]

وفي التحذير من إغفال التأدب مع الرسول–ﷺ–قال ابن تيمية:" ترك الاحترام للرسول–ﷺ–وسوء الأدب معه مما يخاف معه الكفر المحيط". [2]

العتاب دليل اجتهاد الرسول –ﷺ–:

إن قضية اجتهاد رسول الله –ﷺ–فيما لا نص فيه محل خلاف بين العلماء، ويرى القائلون به أن الوحي يأتي فيسدّد إن كان هناك مجال للتسديد وإلا فسكوت الوحي عنه إقرار وتصويب، وعلى المؤمنين الأخذ به، لقوله تعالى:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر:7].

يبين عياض السلمي(ت:655هـ) موقف العلماء من اجتهاد الرسول–ﷺ– فيقول:" والجمهور على أنه–ﷺ–قد يجتهدُ، إذا لم يأته وحيٌ، وقد يتوقّفُ إلى نزول الوحي، وإذا اجتهد: فمنهم مَن يقول: إنه مسدَّدٌ للحقِّ لا يُخطئ في اجتهاده، ومنهم من يقول: إنه قد يُخطئُ في إصابة الحقّ، ولكن اللهَ يُصوِّبُه حالاً ويُبيّنُ له الحقَّ". [3]

عن رافع بن خديج الأنصاري (ت:74هـ) قال رسول الله –ﷺ–:" إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر". [4]

ويثبت المطرفي اجتهاد الرسول–ﷺ–بقوله:" قد اتفقت جميع الطوائف على جواز الاجتهاد للرسول–ﷺ–في أمر الدنيا ومعايشها، لا على التشريع".[5]

إن اجتهاد الرسول هو فتح باب الاجتهاد لأمته إلى يوم القيامة، وفي ذلك يقول الزرقاني:" ولا ريب أن الرسول–ﷺ– كان في موضع الإمامة الكبرى للخلق، فكان من حكمة الله أن يجتهد ليقلده الخلق في الاجتهاد، وأن يخطئ في بعض الأمور لئلا يصرفهم خوف الخطأ في الاجتهاد عن الاجتهاد، إن الرسول–ﷺ–عاش طوال حياته يجتهد في كل ما لم ينزل عليه فيه

---

1 – الإمام أحمد، المسند،156/6 برقم: 3645. قال شعيب الأرناؤوط: الحديث صحيح على شرط الشيخين، رجاله ثقات.

2 – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد كبير أحمد، رمادي للنشر، ط:1، ت: 1997م، الرياض. ص:57.

3 –عياض بن نامي السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدميرية، ط:1، ت:2005م، الرياض. ص:458.

4 –صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، 1835/4، برقم:2362.

5 – آيات عتاب المصطفى–ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:94.

وحي، حتى يتقرر في الناس مبدأ الانتفاع بمواهب العقول وثمار القرائح ويتحرر الفكر البشري من رق الجمود والركود ".[1]

وفي مقام التنزيه للرسول –ﷺ–يضيف قائلا:" إن هذا الخطأ ليس معصية حتى يقدح ذلك في عصمة –ﷺ–إنما هو من نوع الخطأ الذي يستحق عليه صاحبه أجرا، لأنه صادر عن اجتهاد منه".[2]

ويبين دراز نوعية اجتهاد الرسول –ﷺ–فيقول:" لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع فيها العتاب عليها لوجدتها تنحصر في شيء واحد، وهو أنه كان إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثما، اختار أقربهما إلى رحمة أهله، وهداية قومه، وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبه في دين الله، لم يكن بين يديه نصا فخالفه كفاحا، أو جاوزه خطأ ونسيانا، بل كل ذنبه أنه مجتهد بذل وسعه في النظر، ورأى نفسه مخيرا فتخير".[3]

ويضيف قائلا:" هَبْهُ مجتهدا أخطأ باختيار خلاف الأفضل، أليس معذورا ومأجورا؟ على أن الذي اختاره كان هو خير ما يختاره ذو حكمة بشرية وإنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية، هل ترى في ذلك ذنبا يستوجب عند العقل هذا التأنيب والتثريب، أم هو مقام الربوبية ومقام العبودية، وسنة العروج بالحبيب في معارج التعليم والتأديب؟ [4]

والخطأ من الرسول–ﷺ–دليل على بشريته يقول عياض السلمي:" وليس في هذا انتقاصٌ لمنزلة الرسول –ﷺ–، وإنما فيها دليلٌ على بشريّته، ودليل على صدقه وأمانته؛ حيث بلغ الأمة خطأه وتصويب الله له، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:3–4]، فإن المنفيَّ النطقُ عن هوى، والاجتهادُ ليس كذلك".[5]

عن أم سلمة(ت:61هـ) –رضى الله عنها–قالت: قال رسول الله–ﷺ–:" إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار". [6]

وقع الخلاف بين العلماء في جواز اجتهاده –ﷺ–يقول الآمدي(ت:370هـ):" اختلفوا في جواز الخطأ عليه في اجتهاده، فذهب بعض أصحابنا إلى المنع من ذلك وذهب أكثر أصحابنا

---

1 – الزرقاني، مناهل العرفان، 359/2.

2 – م ن، 358/2.

3 – النبأ العظيم، ص:55

4 –م ن، ص:56.

5 – أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، ص:459.

6 – صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة،1337/3، برقم:1713.

والحنابلة وأصحاب الحديث والجبائي وجماعة من المعتزلة إلى جوازه، لكن بشرط أن لا يُقر عليه، وهو المختار". [1]

يرى ابن الحاجب(ت:646هـ) كذلك، ويعززه الأسنوي(ت:772هـ) بقوله:" وهو قول الحنابلة وأصحاب الحديث، وحجتهم في ذلك آيات العتاب، وتبويب مسلم وغيره من أهل الحديث أطلقوا عليه باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة".[2]

العتاب دليل أمانة الرسول-ﷺ-:

إن الرسول-ﷺ- بلاغ عن ربه، وبيان لما يصدر عن الله تعالى، ذلك يقتضي تمام أمانته-ﷺ-وهو ما تحقق في سيرته من بعثته إلى وفاته-ﷺ-.

وفي أمانة الرسول-ﷺ-يقول أمين محمد سلام(ت:1442هـ):" قد ذكر القران آيات العتاب الموجه إلى رسول الله-ﷺ-، لنشعر بلطفه تارة، وبعنفه أخرى، ولا ريب أن العقل المنصف يحكم جازما بأن القران كلام الله وحده، ولو كان من كلام محمد-ﷺ-ما سجل على نفسه هذه الأخطاء، وكان يرجع للصواب، الذي أرشده الله إليه دون أن يبدي أي غضاضة ودون أن يكتم شيئا مما أوحاه الله إليه بل يتلوه الناس ويتقربون إلى الله به إلى يوم القيامة". [3]

عن مسروق بن الأجدع الوادعي (ت:62 هـ) عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- (ت:58هـ): "مَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67].[4]

وعن عائشة أيضا قولها:" وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ -ﷺ-كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب:37]".[5]

ويرى أبو القاسم القشيري أن النبي-ﷺ-لم يكن خرق حدًا، أو تعاطى محظور، وإنما ترك ما هو الأولى. [1]

---

1 – علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، ط:2، ت:1982م، دمشق. المسألة الحادية عشرة ،216/4.

2 – الأسنوي، نهاية السول في شرح منهاج الوصول، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، ط:1، ت:1999م، بيروت. 1031/2.

3 – أمين محمد سلام، نظرة في آيات العتاب، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 23 العدد الأول 2007م.، ص:328.

4 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل،159/1، برقم: 287–177.

5 – م ن، 160/1، برقم:288–177.

يقول دراز:" أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره، حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه، أكان يعلنها عن نفسه–ﷺ–بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بلى إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه، لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان، ولو كان كاتما–ﷺ– لكتم أمثال هذه الآيات ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:24].[2]

وفي خشية الرسول–ﷺ– من ربه يقول أمين محمد سلام:" إن الرسول–ﷺ–يخشى الله أشد الخشية ويتمنى ألا يخطئ ويبدل كل ما في وسعه؛ بل أكثر من ذلك والله يقول:﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:286]". [3]

ومن الدليل على أنه أمانة الرسول–ﷺ– في إبلاغ الرسالة، يقول محمد الشعراوي:" ولو أن هذا القرآن كلام بشر ما كان يحوي عتابا لرسول الله –ﷺ–فالبشر من عاداتهم لا يتقبلون النقد، ويدعون الكمال، وما من منهج بشري يلوم فيه صاحبه نفسه أو يعاتبها، بل كل منهج وضعه بشر يحاول أن يوهم الناس بأن هذا هو الكمال المطلق، وكون أن رسول الله–ﷺ– قد قام بإبلاغ هذه الآيات دليل على أنه أمين في إبلاغ الرسالة التي كلفه سبحانه وتعالى بها ". [4]

أنواع العتاب:

يسأل بعضهم:" هل العتاب القرآني الموجه إلى نبينا محمد –ﷺ–نوع واحد؟

يجيب بيئوغين الإندونيسي عن هذا السؤال بقوله:" إن العتاب الوارد في القرآن الذي وجهه الله –سبحانه وتعالى–إلى نبينا محمد –ﷺ–ليس نوعا واحدا؛ بل هو أنواع متعددة، وقد اختلفت نظرة العلماء في نوعية العتاب الموجه إلى رسول الله –ﷺ–في القرآن بين أهل العلم فمنهم من جعله نوعين اثنين". [5]

النوع الأول: أن يكون عتاب لطف ولين، وذلك في مثل قوله– تعالى–:﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة:43].[6]

---

1 – لطائف الإشارات، 30/2.

2 – النبأ العظيم، ص:55.

3 – نظرة في آيات العتاب ص:327.

4 – محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، المختار الاسلامي للطباعة، ط:1، ت:1978م، القاهرة.، 232/1.

5 – عتاب الله عز وجل للأنبياء، ص:48.

6 – أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ت: 2003م، ليبيا، ص:219.

النوع الثاني: أن يكون عتابا عنيفا، ومنه قوله– تعالى–:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:67].[1]

ومنهم من يرى غير هذه النظرة حيث قسمه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عتاب توجيه: والمقصود من عتاب التوجيه هو أن يوجه الله –تعالى– أنبياءه – عليهم الصلاة والسلام– إلى ما يراد منهم في تبليغ ما أنزل إليهم من الآيات إلى أممهم حتى يتحلوا بالصبر فيما يلاقونه في سبيل ذلك من الأذى، والغرض منه هو نقل المعاتب من حالة كان عليها إلى حالة أخرى يراد له المصير إليها.[2]

القسم الثاني: عتاب تنبيه: المقصود منه تنبيه عباده إلى ما يحتمل وقوعه منهم لو ما ينبهوا إلى ذلك الفعل منهم مرة أخرى، والغرض منه هو: تنبيه المعاتب إلى عدم الرجوع إلى الذي عوتب عليه، حتى لا يتكرر منه ذلك أو يقع فيما هو أكبر منه. [3]

القسم الثالث: عتاب تحذير: المقصود منه تحذير عباده من عاقبة أمر وقع فيه خطأ في اجتهاد يترتب عليه لو لم يحذروا منه ضرر في التشريع والأحكام، والغرض منه هو: التخويف من عاقبة فعل يتوقع ضرره في أسلوب يحمل شيئا من الشدة يختلف باختلاف مواقف العتاب دون أن يذكر في النص شيء من عقوبة أو وعيد. [4]

وفي بيان العلاقة بين أقسام العتاب يقول عبد الرحيم الزاوي:" ويشترك عتاب التحذير مع عتاب التنبيه في أن كلا منهما فيه تخويف من عاقبة الفعل، لو تكرر مثل هذا، وينفرد عتاب التحذير عن عتاب التنبيه، في أن أسلوبه لا يخلو من شدة تقربه من الإنذار". [5]

وعن سبب الاختلاف يقول محمد سلام:" سبب ذلك تقارب المعنى بين النهي والعتاب". [6]

إن أسباب نزول الآية هو الذي يحدد معنى العتاب لأننا لا نستطيع إدراك معنى الآية إلا بمعرفة السياق الذي جاءت فيه والموقف الذي جاءت لأجله".[7]

ويقول أحمد مختار عمر(ت:1424):" السياق العاطفي هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، أي هو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني". [1]

---

1 – نظرة في آيات العتاب، ص:329.

2 – آيات عتاب المصطفى–ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:114.

3 –م ن، ص:114.

4 – عتاب الله عز وجل للأنبياء–عليهم السلام– في القران الكريم، ص:21.

5 – رسالة ماجستير، للباحث: عبد الرحيم الزاوي، بعنوان: آيات العتاب في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، ت:2017م، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، الجزائر. ص:9

6 – نظرة في آيات العتاب، ص:329

7 –عبد رب النبي الأحمد نكري، دستور العلماء، دار الكتب العلمية، ط:1، ت: 2000 م، بيروت،2 /217.

والباحث اختار قول من يرى أن العتاب ثلاثة أقسام؛ لما في ذلك من التوسع في الموضوع.

1 -أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط:1، ت:1985م، القاهرة. ص:70. بتصرف

المبحث الثاني: توصيف عتاب التوجيه:

إنه أخف أنواع العتاب، وهو شحذ لعزيمة الرسول-ﷺ- ودفع لمسيرته في سبيل الدعوة، وهو توجيه الرسول-ﷺ-في مطلع الرسالة والدعوة إلى ما يراد منه تبليغ ما أنزله الله عليه من آيات رسالته، وتبليغ ذلك إلى الأمة، مهما لاقى في سبيل ذلك من إعنات، وعقبات، ووقوفه بعزيمة صارمة، وقوة إرادة ماضية، أمام طغيان الشرك، وعناد المشركين، فلا يبالي بما يلقاه منهم من تكذيب، ورد لرسالته. [1]

وفي ترك الرسول-ﷺ- للأفضل والأولى ليس خطأ، يقول صلاح الخالدي:" وما عاتبه الله عليه في القرآن، لم يخطئ فيه وإنما ما فعله صواب وصحيح-ﷺ-، ولكن الله في استدراكه عليه أرشده إلى الأولى والأصح والأكمل، وإن ترك الرسول-ﷺ- للأفضل والأولى ليس خطأ، وإنما هو صواب في ذاته، ولكن الله يريد الأكمل والأفضل".[2]

وينقسم هذا القسم عند القائلين به قسمين:

القسم الأول: عتاب التثبت وتقوية العزيمة [3]

ولمعرفة عتاب التثبت يقول أمين محمد سلام:" هو الذي يراد منه توجيه المعاتب ليصبر فيما يراد له فلا يضيق به ذرعا، للنهوض بأعباء الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة بأبلغ الطاقة البشرية، وألا يبالي بشيء يقف معوقا لرسالته ". [4]

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح:1-4]، وهذه تسلية للنبي -ﷺ-وتثبيت له على ما عليه من تبليغ الرسالة مع عدم إجابة قومه له، وتوجيه له نحو الصبر فيما يلاقيه حتى لا يضيق ذرعا لأجل ما يبدر من المدعوين، ومن تفكر في سياق الآية يجد أنها تظهر منة الله على نبيه -ﷺ-وتبين عظيم مكانته وفضله عند ربه - عز وجل - في الدنيا والآخرة، مما يؤكد أن ظاهر ما يطعن في عصمته غير مراد، وإنما هو في الحقيقة من جملة ما يمدح به -ﷺ-، والمتأمل في الآية أيضا يجدها قد وردت بين منتين من منن الله على رسوله -ﷺ-. الأولى: شرح الصدر شرحا حسيا ومعنويا؛ ليسع مناجاة الحق، ودعوة الخلق جميعا، وليكون موضع التجليات، ومهبط الرحمات. والثانية: رفع ذكره -ﷺ-رفعا بلغت قمته في الشهادة التي لا يكون الشخص مسلما إلا إذا نطق بها، فضلا

---

1 - آيات عتاب المصطفى-ﷺ-في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:114.

2 - عتاب الرسول في القرآن، ص:19.

3 - آيات العتاب في القرآن الكريم، ص: 12.

4 - نظرة في آيات العتاب، ص:331.

عن قرن اسمه –ﷺ–باسم الله –عز وجل– في الأذان والإقامة، والتشهد في الصلاة، وفي خطب الجمعة، والعيدين وفي خطبة النكاح.

ومن ثم فلا يحق لمشكك أن يقول: إن الوزر هنا في الآية بمعنى الذنب، بل الصواب أن الوزر في الآية معناه ثقل الوحي وأعباء الرسالة، ويؤكد هذا قوله –تعالى–: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[المزمل:5]، حيث كان الاهتمام بهما يقض مضجعه، حتى سهلهما الله تعالى عليه ويسرهما له.

والمعنى: أن الله تعالى أزال عنه كل ما كان يتحرج منه من عادات أهل الجاهلية، التي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من الزكاء والسمو، ولا يجد بدا من مسايرتهم عليه، فوضع ذلك حين أوحى إليه بالرسالة، وكذلك ما كان يجده في أول بعثته من ثقل الوحي فيسره الله عليه بقوله تعالى:﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[الأعلى:6–8]، وشرح الصدر من المصاحبات المعنوية في تثبيت قلب النبي–ﷺ–عند نزول الوحي.

وفي معاني شرح الصدر يقول القرطبي:" شرح الصدر: فتحه أي ألم نفتح صدرك للإسلام، وروى عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: ألم نلين لك قلبك، وفي رواية أخرى عن ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما – أنهم قالوا: يا رسول الله، أينشرح الصدر؟ قال:" نعم وينفسح"، قالوا: يا رسول الله، وهل لذلك علامة؟ قال:" نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاعتداد للموت قبل نزول الموت".[1]

وروي عن الحسن قال: ملئ حكما وعلما، عن مالك بن صعصعة الأنصاري: أن النبي –ﷺ–قال:" بَيْنا أنا عِنْدَ البَيْتِ بيْنَ النَّائِمِ والْيَقْظانِ، إذْ سَمِعْتُ قائِلًا يقولُ: أحَدُ الثَّلاثَةِ بيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ فانْطُلِقَ بي، فَأُتِيتُ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ فيها مِن ماءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إلى كَذا وكَذا، قالَ قَتادَةُ: فَقُلتُ لِلَّذِي مَعِي ما يَعْنِي قالَ: إلى أسْفَلِ بَطْنِهِ، فاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إيمانًا وحِكْمَةً ".[2]

وأما وضع الوزر عنه فحاصل بأمرين: بهدايته إلى الحق الذي أزال حيرته بالتفكر في حال قومه، وهو ما أشار إليه قوله –عز وجل–: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾ [الضحى:7]، وبكفايته مؤنة كلف عيشه، التي قد تشغله عما هو فيه من الأنس بالفكرة في صلاح نفسه، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[الضحى:8].

---

1 – الجامع لأحكام القرآن،80/20.

2 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات، 149/1، برقم:164.

آيات القسم الأول: مما يدخل في هذا القسم:

1- قوله تعالى-:﴿المص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:1-3].

يقول ابن منظور(ت:711هـ):" الحرج هو: الضيق الشديد الذي لا يوجد معه في الصدر منفسح، وقال بن عباس-ﷺ- (ت:68هـ):" الحرج هو الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل إليه الراعية؛ وكذلك صدر الكافر لا يصل إليه الحكمة". [1]

وقد اختلف المفسرون في المراد من الحرج في الآية الكريمة، فذهب كثير منهم إلى أن المراد بالحرج معناه: هو الضيق الشديد، أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ.[2]

يقول الجصاص:" فلا يضيق صدرك بالإبلاغ ولا تخافن أن لا تقوم بحقه فإنما عليك الإنذار به". [3]

وقال الكيا هراسي (ت:504 هـ):" فظاهره النهي ومعناه: نفي الحرج عنه -ﷺ-أي: لا يضيقُ صَدْرُكَ ألاَّ يؤمنوا به فإنَّما عليك منه البلاغ وليس عليك سوى الإنْذَارِ به".[4]

ويبين القرطبي الحرج فيقول:" ومذهب قتادة(ت:54هـ) ومجاهد(ت:102هـ) أن الحرج هنا الشك وليس هذا شك الكفر، إنما هو شك الضيق، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر:97]، وقيل: الخِطَابُ للنبي-ﷺ-والمرادُ به أمته". [5]

وذهب غيرهم إلى أن الحرج معناه الشك، يقول الزمخشري:"...لأن الشك ضيق الصدر حرجه، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه". [6]

ويوضح ابن عادل(ت:730هـ) النهي في الصُّورةِ للحَرَج، بقوله:" والمرادُ الصَّادِرُ منه المبالغةً في النَّهْيِ عن ذلك كأنَّهُ قيل: لا تتعاطى أسباباً ينشأ عنها حرج، وهو من باب " لا أرَيَنَّكَ ههنا"، النهي متوجه على المتكلم والمراد به المخاطب كأنه قال: "لا تكن بحضرتي فأراك، ومثله في قوله تعالى:﴿ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ [طه:16]".[7]

إن الحرج والضيق بمعنى واحد وفي ذلك يقول أبو السعود (ت:951هـ):" خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه

---

1 – لسان العرب، 107/3، مادة: حرج.

2 – الجامع لأحكام القرآن، 144/7، ور: التفسير الكبير،16/14، والدر المنثور،3 /413.

3 – الجصاص، أحكام القرآن 28/3.

4 – الجامع لأحكام القرآن،131/7.

5 – م ن، 132/7.

6 – الكشاف،66/2.

7 – تفسير اللباب في علوم الكتاب،261/1.

وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته –ﷺ–، عن نسبة الشك إليه ولو في ضمن النهي فإنه من الأحوال القلبية التي يستحيل اعترؤها إياه، وما قد يقع من نسبته إليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهيج والإلهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بإيهام أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلا فكيف بمن لا يمكن ذلك منه".[1]

ويمكن التساؤل: هل يوجد في صدر رسول–ﷺ–الله حرج؟

يجيب الشعراوي: في رده عليهم فيقول:" أنه ساعة يأتي أمر من ربنا ويوضح فيه:﴿ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾، قد جاء لأمر من اثنين: إما أن يكون الأمر للحرج ألا يسكن صدر رسول الله–ﷺ–، وإما أن يكون الأمر للرسول–ﷺ–طمأنة له وتسكينا، أي لا تتضايق لأنه أنزل إليك من إله، فالنهي ليس لرسول الله –ﷺ–وإنما النهي للحرج أو الضيق أن يدخل لرسول الله –ﷺ–، وكأنه سبحانه يقول: يا حرج لا تنزل قلب محمد، لكن بعض العلماء قال: لقد جاء الحق بقوله سبحانه:﴿فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾؛ لأن الحق يعلم، أن محمداً قد يضيق صدره ببشريته، ويحزن؛ لأنهم يقولون عليه ساحر، وكذاب، ومجنون".[2]

ويرى بيئوغين الأندونيسي محل الشاهد في العتاب، مما يفهم التوجيه من الله تعالى على رسوله –ﷺ–بالالتزام ما أوحي إليه من آيات الكتاب، ولا يضيق صدرا ".[3]

ويرى الباحث أن كلمة حرج تضمنت معنيين الشك والضيق، وإن كان المقصود أحدهما دون الآخر، لعبر القرآن بغير كلمة حرج، وهذا من بلاغة القرآن في دقة الدلالة واستيعابها للمعنى في صورة جامعة مؤثرة.

قال الواحدي: الفرق بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض غير لازم، لأن رسول الله –ﷺ–كان أفسح الناس صدراً".[4]

2– قوله تعالى:﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود:12]، إن فَحْوَى هذا الخطاب، استفهام في معرض النهي، وهو استفهام يحمل الرجاء، يقول الفخر الرازي:" إن هذا نوع آخر من كلمات الكفار، والله تعالى بين أن قلب الرسول ضاق بسببه، ثم إنه تعالى قواه وأيده بالإكرام والتأييد، قال ابن عباس –رضي الله عنهما–:" قال المشركون: للنبي –ﷺ–: ائتنا بكتاب ليس فيه

1 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،209/3.

2 – تفسير الشعراوي،4042/7. بتصرف.

3 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:60.

4 – التفسير الكبير،376/8.

شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك، وقال الحسن اطلبوا منه لا يقول: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ ﴾ [طه:15]، وقال بعضهم: المراد نسبتهم إلى الجهل والتقليد والإصرار على الباطل".[1]

ويتسأل بعضهم في قوله:{ فَلَعَلَّكَ} كلمة دالة على التردد فما سر اختيارها؟

يجيب الفخر الرازي فيقول:" المراد منه الزجر، والعرب تقول للرجل إذا أرادوا إبعاده عن أمر لعلك تقدر أن تفعل كذا مع أنه لا شك فيه، ويقول لولده لو أمره لعلك تقصر فيما أمرتك به، ويريد توكيد الأمر فمعناه: لا تترك، وأما قوله: وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ، أي: فالضائق بمعنى الضيق".[2]

ويقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية:" أي: فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه، والله حافظ وشهيد ".[3]

3- قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[الحجر:87-89]. وفي تفسير قوله تعالى: {لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ} يقول الألوسي:" لا تطمع بنظرك طموح راغب، ولا تدم نظرك إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ، من زخارف الدنيا وزينتها، أزواجا مّنْهُمْ أصنافاً من الكفرة اليهود والنصارى والمشركين، وقيل: رجالاً مع نسائهم، والنهي قيل له -ﷺ- وهو لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة، وقيل: هو لأمته وان كان الخطاب له -ﷺ-، عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- أنه قال في الآية:" نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه، نعم كان -ﷺ-بعد نزول الآية شديد الاحتياط فيما تضمنته".[4]

والشاهد: يفهم من هذه الآية أن الله -تعالى- بين لنبيه -ﷺ-النعمة التي أنعم عليه وهي نعمة الوحي حيث أعطاه سبعا من المثاني والقرآن العظيم، لذلك جاء النهي على سبيل التوجيه منه -سبحانه- بأن لا يمد عينه إلى متاع غير ما أنعم الله عليه سواء كان أزواج أو غيرها، ولا يحزن عليهم لعدم الإيمان به، فكل ذلك زهرة الحياة الدنيا وفتنة من الله -تعالى- ومتاع زائل لا محالة. [5]

4-قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 94-95]، يقول السعدي:" ثم أمر الله رسوله-ﷺ-أن لا يبالي بهم ولا بغيرهم وأن يصدع بما أمر الله ويعلن بذلك لكل أحد ولا يعوقنه عن أمره عائق، ولا تصده أقوال المتهوكين، ﴿

---

1 - م ن،375/8.

2 -م ن، 375/8.

3 - الجامع لأحكام القرآن،12/9.

4 - روح المعاني، 110/8.

5 - عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:62.

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تبال بهم واترك مشاتمتهم ومسابتهم مقبلا على شأنك، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله –ﷺ–وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة".[1]

ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك يا رسول الله، فإنهم أيضا يؤذون الله ويجعلون معه ﴿إِلهًا آخَرَ﴾ وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ غب أفعالهم إذا وردوا القيامة، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم".[2]

والشاهد: مما يفهم التوجيه من الله تعالى على رسوله –ﷺ–إلى الثبات على ما أمر والإعراض عن المشركين. [3]

5–قوله تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:126–128].[4]

يقول ابن كثير في تفسيره:" قال محمد بن إسحاق (ت:151هـ)، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يَسَار (ت:103هـ) قال: نزلت سورة "النحل" كلها بمكة، إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد، حيث قتل حمزة –ﷺ–، ومثل به، فقال رسول الله –ﷺ–:" لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلا منهم" فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله: الآية".[5]

والشاهد: منها: توجيه وتثبيت من الله تعالى للرسول –ﷺ–على الصبر والاصطبار وأمر بالتزام الوحي الكريم واللجوء إلى الله –تعالى– مع تفويض الأمور إليه.[6]

6–قوله تعالى:﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل:70]، يقول مقاتل في تفسيره:" هذه الآية يعنى على كفار مكة إن تولوا عنك، ولم يجيبوك،{ وَلاَ تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

---

1 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 435/1.

2 – م ن، 435/1.

3 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:62.

4 – سبق تفسير الآية في بحث صبره–ﷺ–، ور: ص:84–85، من هذا البحث.

5 – تفسير ابن كثير،614/4.

6 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:61.

يَمْكُرُونَ} لا يضيق صدرك بما يقولن هذا دأبنا ودأبك أيام الموسم، وهم الخراصون وهم المستهزئون".[1]

وفي بيان محل الشاهد في العتاب يقول بيئوغين:" والآية مثل سابقتها في أن ما يفهم منها: توجيه من الله تعالى لرسوله –ﷺ–بأن لا يضيق صدرا مما يقوله المشركون وما يطلبون منه من إنزال الكنوز أو غيرها، وأمره بالالتزام ما أوحي إليه من القرآن توجيه وتثبيت من الله تعالى للرسول –ﷺ–على الصبر والاصطبار وأمر بالتزام الوحي الكريم واللجوء إلى الله –تعالى– مع تفويض الأمور إليه، لأن الهداية بيده –سبحانه–".[2]

7–قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ [المزمل:10]، يقول ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا رسوله –ﷺ–بالصبر، على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلا، وهو الذي لا عتاب معه".[3]

يقول الطبري:" أي: اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك، وعلى أذاهم، واهجرهم في الله هجرا جميلا. والهجر الجميل: هو الهجر في ذات الله، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:68]، وقيل: إن ذلك نُسخ".[4]

وقد ذكر الإمام البغوي أن هذه الآية نسخت بآية القتال.[5]

ويُحْمَل هذا النسخ إن وقع على عدم المواجهة المسلحة بالجهاد، فقد كانت الدعوة المحمدية في العهد المكي، ولكن تظل الآية تدل على عظم التوجيه الرباني بالصبر والهجر الجميل الذي فيه الحرص على الدعوة والهداية للناس.

يوضح بيئوغين الشاهد في الآية بقوله:" ومما يفهم التوجيه من الله تعالى على رسوله –ﷺ–إلى الصبر على ما يقوله الكفار، ويأمره بهجرهم هجرا جميلا".[6]

8–قوله تعالى:﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:7]، يقول الزحيلي:" أي: يا أيها النبي الذي قد تدثر بثيابه، أي تغطى بها رعبا من رؤية الملك عند نزول الوحي أول مرة، انهض، فخوّف أهل مكة،

---

1 – تفسير مقاتل بن سليمان، 6/3.

2 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:60–61.

3 – تفسير ابن كثير، 148/7.

4 – جامع البيان في تأويل القرآن، 8271/10.

5 – معالم التنزيل، 255/8.

6 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:62.

وحذرهم العذاب إن لم يسلموا، وعظم الله وصفه بالكبرياء، في عبادتك وكلامك وجميع أحوالك، فإنه أكبر من أن يكون له شريك، وطهّر ثيابك واحفظها عن النجاسات".[1]

فكانت الآيات التي تعبر عن ضيق صدر النبي –ﷺ–في مطلع الرسالة ومباديها، هي المقصودة بالحديث عن توضيح هذه الحالة، وما جاء فيها من عتاب، وقد أمره الله بإبلاغ ما أنزل إليه، وأنه–عز وجل– يعصمه من الناس، ويمنعهم من قتله واستئصاله فقال:﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]، وأمره بجهاد الكافرين بالقرآن جهاداً كبيراً، والتشديد عليهم به حتى يؤمنوا بالله وحده، قال تعالى:﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان:52].[2]

ومحل الشاهد: قوله تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، فقد وجه الله اهتمام نبيه إلى نشر دعوته، معتصما بالصبر في مواجهة أعدائه، وتحذيره من أن يلجأ إلى غير هذا المسلك، وكل هذا يأتي على سبيل التسلية للرسول –ﷺ–. [3]

القسم الثاني: عتاب التلطف والاشفاق:

إنه داخل في نوع عتاب التوجيه مع شيء من الترقي في درجة العتاب، وهو الذي يراد منه –ﷺ–أنه ليس مكلفا بما هو فوق طاقته فلا يضر بنفسه، ولا يحملها مالا تطيق. [4]

يقول المطرفي في تبيان نوع العتاب: "وهو من عتاب التوجيه؛ لأنه أريد به إقصاره عن بعض ما يبذله فوق طاقته من الجهد في سبيل تبليغ رسالته، لقوم لا يلوح فيهم رجاء". [5]

ويقول عبد الرحيم الزاوي: "وأما كونه عتاب توجيه؛ فلأنه لم يعقب بتنبيه على شيء يجب تركه، وإن لم يترك وقع ما يخاف منه. كما لم يعقب بتحذير، وإنما أريد به نقله من حالة بذله غاية الجهد الى التوسط فيما يبذله من ذلك وقوفا مع ما أمر به". [6]

ومن الآيات الدالة على هذا المنحى:

---

1 – التفسير المنير، 236/15.

2 – آيات عتاب المصطفى –ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:236.

3 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص:66.

4 – م ن، ص: 63.

5 – م ن، ص:161.

6 – عبد الرحيم الزاوي، آيات العتاب في القران، ص:14

1- قوله تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ [الكهف:5-8].

ويوضح مفهوم البخع قول الزمخشري: "لأن بخع النفس معناه: "قتلها وإهلاكها غماً أو إضعافها"[1]، فهو لشدة حرصه على إيمانهم، وإشفاقه عليهم، وصل إلى حال من يقتل نفسه وجداً عليهم، أو يضعفها بما يبذل من جهد فوق طاقته طلباً أن يتحقق له ما يريد من هدايتهم". [2]

وفي توجيه الخطاب إليه-ﷺ- بـ " لعل " يقول المطرفي:" لما فيها من الإشفاق على المخاطب، والتلطف به للعود به إلى ما ينبغي له من الوقوف عنده في التبليغ، وجاء الخبر بعدها " باخع نفسك " لبيان ما وصل إليه رسول الله -ﷺ-من جهد في تبليغ قومه، وحرصه على هدايتهم، ودخولهم في حظيرة الإيمان ". [3]

إن ما نزل من الآيات في عتاب الدفع وتقوية العزيمة لرسول الله -ﷺ-وقوة في دفع رسول الله -ﷺ-في تبليغ دعوته، وعدم المبالاة بما يلقى في سبيلها من تكذيب، وإيذاء وبلاء، كان يتخطاه رسول الله -ﷺ-بقوة عزيمته، وصارم إرادته.[4]

إن هذا العتاب اللطيف يقوي من عزيمة المصطفى -ﷺ-في المضيء بالدعوة، ويسلس قلبه عن الأحزان التي يثيرها إعراضاً جموعاً من قومه عن السماع بهديه، والاقتناع بدعوته.

ويبرز ابن إسحاق **الشاهد** في هذه الآية بقوله:" يعاتب الله النبي-ﷺ-على حزنه عليهم، حين فاته ما كان يرجو منهم، ومعناه: فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا، وهذه معاتبة من الله عزّ ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيما أي لا تفعل، ولذلك أتبع بقوله: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً أي: لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا". [5]

2- قوله تعالى:﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:3]، يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره للآية:" (لَعَلَّ) حَقِيقَتُهَا إِنْشَاءُ الرَّجَاءِ وَالتَّوَقُّعِ، وَتُسْتَعْمَلُ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّحْذِيرِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَجَازِ الْمُرْسل لِأَنَّهُمَا لَا زمَان لِتَوَقُّعِ الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ، وَهِيَ هُنَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي تَحْذِيرِ الرَّسُولِ-ﷺ-

---

1 - لسان العرب، 331/1، مادة: بخع.

2 -الكشاف،372/3.

3 - آيات عتاب المصطفى-ﷺ-في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:159.

4 - عتاب الله عز وجل للأنبياء -عليهم السلام-، ص:69.

5- جامع البيان، 597/17.

مِنَ الاِغْتِمَامِ وَالْحُزْنِ عَلَى عَدَمِ إِيمَانِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِهِ. وَذَلِكَ فِي مَعْنَى التَّسْلِيَةِ لِقِلَّةِ الِاكْتِرَاثِ بِهِمْ، وَالْبَاخِعُ: قَاتِلٌ نَفْسَهَ، كَذَا فَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّدِّيُّ وَابْنُ جُبَيْرٍ. وَفَسَّرَهُ الْبُخَارِيُّ بِمُهْلِكٍ. وَتَفْسِيرُهُ يَرْجِعُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ". [1]

والشاهد: في الآية هو: عتاب الكف والتوفيق؛ حيث بين الله –تعالى– ما يشعر به النبي –ﷺ–من عدم إيمان بعض الناس وعنادهم عن قبوله، وبين له أن القدرة في إيمانهم وعدمه بيد الله، وما عليه إلا البلاغ فقط.

3– قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56]، في هذه الآية يقول الطبري:" إن الله –تعالى– يقول لنبيه محمد –ﷺ–: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله، والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه".[2]

ويقول الشنقيطي:" أن الهدى المنفي عنه –ﷺ–، هو هداية التوفيق؛ لأن التوفيق بيد الله وحده، ولأن الله تعالى أثبت له –ﷺ–هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52]".[3]

عن أبي هريرة قال: لما حضرتْ وفاة أبي طالب، أتاه رسول الله –ﷺ–فقال: "يا عَمَّاهُ، قُلْ لا إِلَهَ إلا الله [أَشْهَد لَكَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ] " إلا أنه قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: ما حمله عليه إلا جزع الموت، لأقررت عينك، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله –ﷺ–: "أَمَا وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ"، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[التوبة: 113]، وأنزل الله في أبي طالب، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56].[4]

وفي هذا بيان أن الله تعالى عاتب نبيه–ﷺ– وأمره بالكف عما جرى من قدر الله تعالى على عباده. وقد دلت على هذا المعنى آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ

---

1 – التحرير والتنوير،15 / 254.

2 –جامع البيان، 6410/8.

3 – أضواء البيان، 154/6.

4 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، 55/1، برقم:41.

عَظِيمٌ﴾ [المائدة:41]، وقوله:﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [النحل:37].

ويتبين محل الشاهد أن نوع هذا العتاب من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته-ﷺ-، إذ دعاه إلى الإيمان بالله.[1]

4-قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[فاطر:8].

من العتاب التوجيهي لإقصار وكف بعض جهد رسول الله -ﷺ-في التبليغ إبقاء على نفسه وطاقته، يقول البغوي:" معناه أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة، أي تتحسر عليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر، ومعنى الآية: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا وإن الله عليم بما يصنعون".[2].

ويقول سيد طنطاوي:" وقوله تعالى:{ حَسَرَاتٍ } والحسرات جمع حسرة، وهى أشد ما يعترى الإنسان من ندم على أمر قد مضى وانتهى، إذا كان الأمر كما أخبرناك - أيها الرسول الكريم - فامض في طريقك وبلغ رسالة ربك، ولا تهلك نفسك هما وغما وحزنا من أجل هؤلاء الذين أعرضوا عن الحق ، واعتنقوا الباطل، وظنوا أنهم بذلك يحسنون صنعا، ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بما يزيد في تسلية الرسول -ﷺ-فقال تعالى:﴿ إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾".[3]

إن ما كان يبذله النبي-ﷺ-من جهد، وما يحس به من ألم نحو إعراض قومه من دعوته ليس ينقص من واجبه حتى يلام عليه، بل اللوم من الله جاء حرصا على حماية نفسه من الألم، ودفع الحزن عنه، وهو يراهم في غيهم يعمهون.

---

1 - عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن ص:52.

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن، 689/3.

3 - التفسير الوسيط للقرآن الكريم،3498/1.

المبحث الثالث: توصيف عتاب التنبيه

إن هذا النوع من العتاب مرحلة متقدمة من نوع عتاب التحذير وهو امتداد له مع اختلاف في الدرجة، حيث عتاب التنبيه تصرح منه الآيات القرآنية عن فعل أو قول صدر عن الرسول فيه ترك الأولى.

وفي تعريف عتاب التنبيه يقول أمين محمد سلام:" وهو العتاب الذي يراد من المعاتب ألا يكرر ذلك الحال، ولو لم ينبه لتكرر منه ذلك الامر وقد يؤدي به حال التكرار وعدم التنبيه عليه إلى ما هو فوقه. [1]

وأما وجه كون هذا العتاب من قبيل عتاب التنبيه؛ فلأنه إرشاد لسيدنا رسول الله –ﷺ– لم يقترن بشيء من شدة الخطاب وهو توجيه لأمته.

ومن الآيات التي تدخل تحت هذا الأسلوب: [2]

1– قوله تعالى:﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة:43] وفي محل الشاهد يقول أبو شوفة:" فقد استأذن، المنافقون رسول الله –ﷺ–في غزوة تبوك فقبل معذرتهم وأذن لهم، فعاتبه الله على ذلك، وطلب منه أن يتثبت من أمرهم ليعلم الصادق من الكاذب، فنزلت الآية". [3]

ووجه الدلالة أن العتاب كان على المسارعة بالإذن لهم لا على نفس الإذن هو ما ذهب إليه المحققون من المفسرين.[4]

ويستبعد ابن الجوزي(ت:597 هـ):" العتاب أصلا من الآية ورآه من باب التلطف في التعبير فيقول:" ومن العلماء من لم ير في هذه الآية عتاب ، وإنما هي –عندهم–من باب التلطف في الكلام، والدعاء للمخاطب الجاري على الأسلوب العربي في مخاطبة الكرام، ومراسلة الأحباء والأصدقاء على نحو قولهم: عفا الله عنك هلا أعطيتني كذا، وأصلحك الله، ووفقك الله كان الأمر كذا وكذا، فابن الأنباري يقول:" ولم يخاطب رسول الله –ﷺ–بذلك لجرم أجرمه، ولكن الله وقره ورفع من شأنه، بقوله:﴿عفا الله عنك﴾، كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً:" عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك هلا زرتني؟ ".[5]

---

1 – نظرة في آيات العتاب، ص:332.

2 – آيات العتاب في القرآن الكريم، ص:16.

3 – المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ص:220.

4 – آيات عتاب المصطفى –ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:173.

5 – زاد المسير في علم التفسير، 445/3.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ يقول الفخر الرازي:" دل هذا، على أن فيهم من تخلف بإذنه، واحتج بعضهم بهذه الآية على صدور الذنب عن الرسول من وجهين: الأول: أنه تعالى قال:﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ والعفو يستدعي سابقة الذنب، والجواب: لا نسلم أن قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ يوجب الذنب، ولم لا يجوز أن يقال: إن ذلك يدل على مبالغة الله في تعظيمه وتوقيره، كما يقول الرجل لغيره إذا كان معظماً عنده ، عفا الله عنك، ما صنعت في أمري، ورضي الله عنك، ما جوابك عن كلامي؟ وعافاك الله ما عرفت حقي، فلا يكون غرضة من هذا الكلام، إلا مزيد التبجيل والتعظيم".[1]

ويضيف قائلا:" لا يجوز أن يقال: المراد بقوله: { لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ } الإنكار لأنا نقول: إما أن يكون صدر عن الرسول ذنب في هذه الواقعة أو لم يصدر عنه ذنب، فإن قلنا : إنه ما صدر عنه ذنب ، امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله : { لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ } إنكار عليه، وإن قلنا: إنه كان قد صدر عنه ذنب، فقوله:{ عَفَا الله عَنكَ } يدل على حصول العفو عنه، وبعد حصول العفو عنه يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه، فثبت أنه على جميع التقادير يمتنع أن يقال: الرسول مذنباً، وهذا جواب شاف قاطع، وعند هذا، يحمل قوله: { لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ } على ترك الأولى والأكمل، لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا".[2]

ويرى البيضاوي بأن الرسول-ﷺ-أخطأ في إذنه فيقول:" ﴿عفا الله عنك﴾ كناية عن خطئه في الإذن فإن العفو من روادفه، ﴿لم أذنت لهم﴾ بيان لما كني عنه بالعفو عنه، والمعنى لأي شيء أذنت لهم في القعود حين استأذنوك، واعتلوا بأكاذيب، وهلا توقفت ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ في الاعتذار ﴿وتعلم الكاذبين﴾".[3]

في حين يبين ابن جزي(ت:741هـ) تقديم العفو على العتاب بقوله:" وقدم العفو على العتاب أكراماً له -ﷺ-وقيل: إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام كما يقول: أصلحك الله {حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الذين صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الكاذبين} كانوا قد قالوا: استأذنوه في القعود، فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم، فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع".[4]

إن ما فعله رسول الله -ﷺ-بالإذن لهم بالقعود كان صواباً، ولذ يقول الشعراوي في تفسيره:" وهنا يقدم الحق سبحانه العفو عن رسول الله -ﷺ-الذي أذن لهم بالقعود عن القتال، ثم يأتي القرآن من بعد ذلك ليؤكد أن ما فعله رسول الله -ﷺ-بالإذن لهم بالقعود كان صواباً، لقوله

---

1 - التفسير الكبير،39/8.

2 - م ن،40/8.

3 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل،148/1.

4 - محمد بن أحمد ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الكتاب العربي، ت: 1983م، بيروت.601/1.

تعالى:﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ﴾[التوبة:47]، إذن: فلو أنهم خرجوا لكانوا سبباً في الهزيمة، لا من أسباب النصر، وصوَّبَ الحق عمل الرسول، -ﷺ-وهو له العصمة، وهنا نحن أمام عفو من الله، على الرغم من عدم وجود ذنب يُعفى عنه، وهنا أيضاً إذن من الرسول لهم بالقعود".[1]

وفي احتياج النبي-ﷺ-إلى اللطف واللين يقول بيئوغين:" فجو الآية وسبب نزولها يشيران إلى أن النبي -ﷺ-في موقف الحرج يحتاج إلى اللطف واللين، لأنه استأذن للمنافقين، ولم يتبين له من منهم الصادق ومن منهم الكاذب، ولهذا لما عاتبه ربه لم يستعمل العنف في العتاب؛ بل لاطفه وخفف عليه وأرشده إلى ما ينبغي أن يفعل".[2]

يقول سيد طنطاوي:" والعفو: يطلق على التجاوز عن الذنب أو التقصير، كما يطلق على ترك المؤاخذة على عدم فعل الأولى والأفضل، وهو المراد هنا، والمعنى: عفا الله عنك يا محمد، وتجاوز عن مؤاخذتك فيما فعلته مع هؤلاء المنافقين من سماحك لهم بالتخلف عن الجهاد معك في غزوة تبوك، حين اعتذروا إليك بالأعذار الكاذبة، وكان الأولى بك أن تتريث وتتأنى في السماح لهم بالتخلف، حتى يتبين لك الذين صدقوا في اعتذارهم من الذين كذبوا فيه، فقد كانوا – إلا قليلا منهم – كاذبين في معاذيرهم، وكانوا مصرين على القعود عن الجهاد حتى ولو لم تأذن لهم به، وقدم سبحانه العفو على العتاب فقال:﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، للإشارة إلى المكانة السامية التي له -ﷺ-عند ربه".[3]

ولقد أحسن حين قال في هذه الآية:" إن من لطف الله -تعالى -بنبيه، أن بدأه بالعفو قبل العتب، ولو قال له ابتداء (لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) لتفطر قلبه-ﷺ-، فمثل هذا الأدب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر-ﷺ-".[4]

2- قوله تعالى:﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:80]، في هذه الآية نهى الله نبيه-ﷺ- عن الاستغفار للكافرين، يقول الطبري:" يقول تعالى لنبيه محمد -ﷺ-: ادع الله لهؤلاء المنافقين بالمغفرة، أو لا تدع لهم بها، وهذا كلام خرج مخرج الأمر، وتأويله الخبر، ومعناه: إن استغفرت لهم يا محمد، أو لم تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، وإن تسأل لهم أن يُسْتر عليهم ذنوبهم بالعفو منه، وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله عليهم، ولن يعفو لهم عنها، ولكنه

---

1 -تفسير الشعراوي،3532/1.

2 – عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، ص: 55.

3 – التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 1962/1.

4 – م ن، 1963/1.

يفضحهم بها على رءوس الأشهاد يوم القيامة ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، وجحدوا توحيد الله ورسالة رسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين".[1]

عن عمر بن الخطاب –ﷺ– أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي سلول، دُعي له رسول الله –ﷺ–ليصلي عليه، فلما قام رسول الله –ﷺ–وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا؟ فتبسم رسول الله –ﷺ–وقال:" أخر عني يا عمر"، فلما أكثرت عليه، قال:" إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له، لزدت عليها"، فنزل قوله تعالى:﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ...﴾ [المنافقون:6] [2]

ويبين ابن حجر رحمة رسول الله–ﷺ–، فيقول:" كان عَبدُ اللهِ بنُ أبَيٍّ ابنُ سَلولَ رَأسَ المنافقِينَ في المدينةِ، وكان يُبطِنُ عَداوةَ النَّبِيِّ –ﷺ–والمسلِمينَ، ولكِنْ لم يَمنَعْ ذلك النَّبيَّ –ﷺ–، أنْ يُكافِئَه على بَعضِ الأُمورِ؛ من رَحْمَتِه". [3]

والشاهد: أن ووجه الدلالة في الآية نهي الله –سبحانه وتعالى– عن الاستغفار للمشركين.

وما كان عليه النَّبيُّ –ﷺ–مِن الصَّفحِ والعَفْوِ عمَّن يُظهِرُ الإسلامَ ولو كان باطنُه على خِلافِ ذلك؛ لمَصْلحةِ الاستئلافِ وعدَمِ التَّنفيرِ عنه، وذلك قبْلَ نُزولِ النَّهيِ الصَّريحِ عن الصَّلاةِ على المنافقِين وغيرِ ذلك ممَّا أُمِر فيه بمُجاهرتِهم.

ولعدم قبول المغفرة من الله للمنافقين مهما كان من كثرت الاستغفار لهم، يقول الشوكاني(ت: 1250هـ):" وفيه بيان لعدم المغفرة من الله سبحانه للمنافقين وإن أكثر النبي –ﷺ–من الاستغفار لهم وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولا كما في سائر مفاهيم الأعداد بل المراد بهذا المبالغة في عدم القبول فقد كانت العرب تجرى ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير والمعنى أنه لن يغفر الله لهم وإن استغفرت لهم استغفارا بالغا في الكثرة غاية المبالغ".[4]

فنسبة فهم التخيير من الآية الكريمة للنبي –ﷺ–وأن العدد فيها للتحديد لا للتكثير مستبعدة جداً بل هي إلى المحال أقرب لأن رسول الله –ﷺ–هو أفصح من نطق بالضاد، وهو أعرف الناس بالبيان القرآني وأساليبه لأنه القيم على فهمه وإفهامه كما أريد من معانيه وحقائقه ولا يمكن أن يفهم جميع البلغاء من أهل العناية بالبيان القرآني التسرية في الآية وينسب إلى رسول الله –

---

1 – جامع البيان في تأويل القرآن، 4066/5.

2– صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، 1715/4، برقم:4393،

3 –. فتح الباري، 210/8.

4 – فتح القدير، 387/2.

ﷺ–ما يخالف ذلك من فهم التخيير، وتحديد العدد ويقول: " إنما خيرني الله، وسأزيد على السبعين.[1]

3– قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة:84].

يقول ابن حجر:" وهذا من عتاب التنبيه، وهو موجه إلى المسلمين كافة، وإن كان السبب يدل على المسبب وهو: لما توفي زعيم المنافقين عبد الله بن أبي كفّنه النبي –ﷺ–في قميصه وأراد أن يستغفر له. فجذبه عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وقال: أتستغفر له وتصلي عليه وقد نهاك ربك. فقال –ﷺ–:" إنما خيرني ربي، وسأزيده على السبعين"، ثم صلى عليه فأنزلت الآية".[2]

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره:" فَلَمْ يُصَلِّ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ–عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى قُبِضَ –ﷺ–وَإِنَّمَا صَلَّى عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ–ﷺ– لِيُكَفَّنَ فِيهِ، إِكْرَامًا لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَتَأْلِيفًا لِلْخَزْرَجِ".[3]

يقول أبو شوفة:" محل الشاهد ووجه الدلالة في الآية بأن الله نهي عن الصلاة على المشركين".[4]

والباحث يستنبط من هذه الآيات تحقيق صفة الرحمة التي تميز بها رسول الله –ﷺ–مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

4–قال تعالى:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:113]، في تفسير هذه الآية يقول أبو السعود:" ما صح لهم في حكم الله –عز وجل– وحكمتِه وما استقام أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قرابةٍ لهم، وقيل في سبب النزول غير ذلك، أنه –ﷺ– لما افتتَح مكةَ خرج إلى الأبواء فزار قبرَ أمِّه، وقد تَبَيَّنَ للنبي –ﷺ–والمؤمنين بأَنَّ المشركين هم أصحاب الجحيم، لأنهم ماتوا على الكفر، أو نزل الوحيُ بأنهم يموتون على ذلك".[5]

وفي وجوب إظهار البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه، يقول الفخر الرازي:" اعلم أن الله أوجب إظهار البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه في هذه الآية، وأنه تجب

---

1 – آيات عتاب المصطفى –ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:188.

2– فتح الباري، 210/8.

3 – التحرير والتنوير،285/10.

4 – المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ص: 220– 221.

5 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 218/3.

البراءة عن أمواتهم، وإن كانوا في غاية القرب من الإنسان كالأب والأم، كما أوجبت البراءة عن أحيائهم، والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب".[1]

ويقول الشعراوي:" وكلمة { مَا كَانَ } تختلف عن كلمة « ما ينبغي » فساعة تسمع « ما ينبغي لك أن تفعل ذلك » فهذا يعني أن لك قدرة على أن تفعل، لكن لا يصح أن تفعل، ولكن حين يقال:« ما كان لك أن تفعل» أي: أنك غير مؤهل لفعل هذا مطلقاً، أي: ما كان للنبي ولا المؤمنين أن يستغفروا للذين ماتوا على الشرك والكفر، ولو كانوا أولي قربى، فهذا أمر لا يصح".[2]

5-قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾[الكهف:23-24]، يقول الطبري في تفسير هذه الآية:" وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه -ﷺ-عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله، وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث، إحداهنّ المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهنّ غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه".[3]

ويضيف قائلا:" ثم أنزل الله عليه الجواب عنهنّ، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلَّمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عداته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأته من الله بها تنزيل، فقال:" وَلا تَقُولَنَّ" يا محمد لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ، كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف، والمسائل التي سألوك عنها، سأخبركم عنها غدا" إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه، إذ كان في الكلام دلالة عليه ، وكان بعض أهل العربية يقول: جائز أن يكون معنى قوله:" إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " استثناء من القول، لا من الفعل كأن معناه عنده: لا تقولنّ قولا إلا أن يشاء الله ذلك القول، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل".[4]

وعن عبد الله قال: "بينما أنا أمشي مع النبي -ﷺ-في حرث وهو متكئ على عسيب، إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقالوا ما رابكم إليه؟ لا يستقبلكم بشيء

1- التفسير الكبير،164/8.

2 - تفسير الشعراوي،9 / 5526.

3 - جامع البيان، 5330/7.

4 - م ن، 5331/7.

تكرهونه، فقالوا، سلوه فقام إليه بعضهم فسأله عن الروح، قال، فأسكت النبي –ﷺ–فلم يرد عليه شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، قال فقمت مكاني، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء:85]".[1]

ويقول علي بن أحمد الواحدي(ت:468هـ):" هذا تأديبٌ من الله سبحانه لنبيه –ﷺ–، وأمرٌ له بالاستثناء بمشيئة الله سبحانه فيما يعزم، يقول: إذا قلت لشيءٍ: إني فاعله غدًا، فقُلْ: إن شاء الله "، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ"، أي: إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله سبحانه، فاذكره وقُلْهُ إذا تذكَّرت ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾؛ أَيْ: يعطيني ربّي من الآيات والدلالات على النُّبوَّة ما يكون أقربَ في الرُّشْد وأدلَّ من صحَّة قصَّة أصحاب الكهف، ثمَّ فعل الله به ذلك؛ حيث أتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم".[2]

يقول ابن عطية: "عاتب الله تعالى فيها نبيه –ﷺ–على قوله للكفار غداً أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه ، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرجة، وأمر في هذه الآية أن يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غداً كذا وكذا إلا وأن يعلق ذلك بمشيئة الله عز وجل، واللام في قوله: { لِشَيْءٍ} بمنزلة في أو كأنه قال لأجل شيء، وقوله:" إلا أن يشاء الله" في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، ويحسنه الإيجاز، تقديره: إلا أن تقول إلا أن يشاء الله، أو إلا أن تقول إن شاء الله، فالمعنى إلا أن تذكر مشيئة الله، فليس" إلا أن يشاء الله" من القول الذي نهي عنه وقالت فرقة: قوله:" إلا أن يشاء الله" استثناء من قوله:" ولا تقولن" وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه، وهو من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى".[3]

ويقول الشعراوي:" وتتجلى في هذه الآية رحمة الله بالمحبوب محمد –ﷺ–فلم يُرِدْ سبحانه وتعالى أن يصدم رسوله بمسألة المخالفة هذه، بل أعطاه ما أراد، وأجابه إلى ما طَلب من مسألة أهل الكهف، ثم في النهاية ذكَّره بهذه المخالفة في أسلوب وَعْظ رقيق:" وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذلك غَداً إِلاَّ أَن يَشَآءَ الله".[4]

يقول بيئوغين:" محل الشاهد سأخبركم غدا عما سألتم عنه، ولم يقل إن شاء الله، فلبث عنه الوحي مدة، قيل خمس عشرة ليلة، وقيل غير ذلك. فأحزنه تأخر الوحي عنه".[5]

---

1 – صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي –ﷺ–عن الروح، 2152/4. برقم:2794. زاد المسير،184/5، البداية والنهاية، 103/2.

2 – علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، ط:1، ت:1995م، دمشق.469/1.

3 – المحرر الوجيز،300/4.

4 – تفسير الشعراوي،5384/1.

5 – عتاب الله –عز وجل– للأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– في القرآن الكريم، ص:56.

6–قوله تعالى:﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[المنافقون:6]، يقول الزمخشري:" إن رسول الله –ﷺ–حين لقي بني المصطلق على المريسيع، وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبيّ، واقتتلا، فصرخ جهجاه يا للمهاجرين: وسنان: يا للأنصار؛ فأعان جهجاه جعَّال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا، فقال عبد الله لجعال: وأنت هناك؟ وقال: ما صحبنا محمداً إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، عنى بالأعز: نفسه، وبالأذل، رسول الله –ﷺ–".[1]

والآية تمثل قاعدة عقدية وشرعية في الحكم على المنافقين بحرمانهم من استغفار رسول الله –ﷺ–لهم، وإن وقع منه–ﷺ–، فلا يقع عند الله، لأنهم لا إيمان لهم، ووقوعه من رسول الله–ﷺ–وإن كان دليل رحمته، فهو منهي عن معاودته بعد صدور الحكم بمنعه من الله تعالى.

ويقول السعدي:" قِيلَ للمنافقين تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ، عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، وتقبل أعمالكم، امتنعوا من ذلك أشد الامتناع، ولَوَّوْا رُءُوسَهُمْ امتناعًا من طلب الدعاء من الرسول، ويَصُدُّونَ عن الحق بغضًا له، وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عن اتباعه بغيًا وعنادًا، فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول–ﷺ–، وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله، حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم، فإنه سواء استغفر لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، وذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول–ﷺ–، ولو استغفر لهم سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، لأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ".[2]

وفي معنى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ قال القاشاني: لرسوخ الهيئات الظلمانية فيهم، وزوال قبول استعدادهم للهداية، لفسقهم وخروجهم عن دين الفطرة القويم.[3]

والباحث يرى إن هذه الآية تعليل لانتفاء المغفرة من الله–تبارك وتعالى– لهم، أي: لن يغفر الله–تبارك وتعالى– لهم، لأن سنته– سبحانه – قد اقتضت أن لا يهدى إلى طاعته، وأن لا يشمل بمغفرته، من فسق عن أمره، وآثر الباطل على الحق، والكفر على الإيمان، لسوء استعداده، واتباعه لخطوات الشيطان.

---

1 – الكشاف،66/7.

2 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،864/1.

3 –محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1998م، بيروت. 236/9.

المبحث الرابع: توصيف عتاب التحذير

مفهوم عتاب التحذير:

إنه أسلوب يصل إلى درجة تعليق الوعيد الشديد على فعل منتظر الوقوع.

والمقصود منه تحذير رسول الله –ﷺ–من عاقبة أمر وقع فيه خطأ في اجتهاد يترتب عليه لو لم يحذر منه ضرر في التشريع والأحكام، وسير الأمة على مقتضى رسالة رسول الله –ﷺ– ودعوته التي جاء بها من عند الله تعالى. [1]

ومن خلال البحث في القرآن الكريم تبين أن الآيات التي تدخل تحت هذا الضابط هي: [2]

1– قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء:105–106].

عن قتادة بن النعمان قال:" ابتاع عمي–رفاعة بن رافع– جملا من الدقيق الأبيض، فجعله في غرفة فيها سلاح له، فعدي عليه من تحت الليل وأخذ الطعام والسلاح، قال: فتحسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا نارا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله –ﷺ–فذكرت ذلك له، قال قتادة: فأتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله، إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي – رفاعة بن زيد– فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله –ﷺ–: "سأنظر في ذلك".[3]

فلما سمع ذلك بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له: أسير بن عروة، فكلموه في ذلك، واجتمع إليه ناس من أهل الدار، فأتوا رسول الله –ﷺ–فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ؟ قال قتادة: فأتيت رسول الله فكلمته فقال: "عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثبت، قال قتادة: فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله –ﷺ–في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال لي: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله –ﷺ–، فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزلت الآية. [4]

---

1 – آيات عتاب المصطفى –ﷺ–في ضوء العصمة والاجتهاد، ص:114–115.

2 – آيات العتاب في القرآن الكريم، ص:19، ور: نظرة في آيات العتاب، ص:333.

3– الترمذي، سنن الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة النساء، برقم:3036. قال الترمذي: حديث حسن.

4 – عتاب الله عز وجل للأنبياء –عليهم السلام– في القران الكريم، ص:73.

وفي هذا بيان أن النبي –ﷺ–لم يحكم في هذه القضية قبل نزول الآيات بشيء وإنما توقف، وأن الذي حصل منه –ﷺ–هو حسن الظن ببني أبيرق، لإسلامهم، وعدم قيام دليل قوي، ولا بينة على سرقتهم، والغالب على المسلمين في ذلك العهد الصدق والأمانة، ثم إنه –ﷺ–بشر لا يحكم إلا بالظاهر، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قالت:" أَنَّ رَسُولَ اللهِ –ﷺ–سَمِعَ جَلَبَةَ خَصْمٍ بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ:" إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ، فَأَقْضِي لَهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ يَذَرْهَا".[1]

معناه الإعلام بحالة النبي –ﷺ–البشرية، وأن البشر لا يعلمون من الغيب وبواطن الأمور شيئا إلا أن يطلعهم الله تعالى على شيء من ذلك وأنه يجوز عليه في أمور الأحكام ما يجوز عليهم وأنه إنما يحكم بين الناس وبالظاهر والله يتولى السرائر فيحكم بالبينة وباليمين ونحو ذلك من أحكام الظاهر مع إمكان كونه في الباطن خلاف ذلك ولكنه إنما كلف بحكم الظاهر[2].

ومحل الشاهد: في الآية أما أمر الرسول –ﷺ–بالاستغفار كما يقال على سبيل العتاب فلا يعني ذلك وقوع الذنب من الرسول –ﷺ–، والغرض من النهي ألا يحسن الظن بقوم لمجرد أنهم مسلمون، وألا يساعد من يظن أنه صاحب الحق، بل يسوي بين الخصمين في كل شيء حتى تظهر براءة أحدهما وخيانة الآخر، وأمر الله تعالى نبيه –ﷺ–بالاستغفار من ذلك؛ لأنه أحسن الظن بقوم لأنهم مسلمون، ومال قلبه –بعد شهادة الشهود لصالحهم– إلى براءتهم وجاء على سبيل العتاب التحذيري[3].

2–قوله –تعالى–: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 33–35].

قال الشوكاني:" قوله: وإن كان كبر عليك إعراضهم كان النبي –ﷺ–يكبر عليه إعراض قومه ويتعاظمه، ويحزن له فبين له الله –سبحانه– أن هذا الذي وقع منهم من توليهم عن الإجابة

1– صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، 180/3، برقم: 2680. عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام في القران الكريم، ص:74.

2– صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، 3/ 1337، برقم: 1713.

3– محمد الحديدي، عصمة الأنبياء–عليهم السلام– مطبعة الأمانة، ت: 1979م، مصر، ص: 480–482. ور: عتاب الله عز وجل للأنبياء –عليهم السلام– في القران الكريم، ص:75.

له، والإعراض عما دعا إليه هو كائن لا محالة، لما سبق في علم الله عز وجل، وليس في استطاعته وقدرته إصلاحهم وإجابتهم قبل أن يأذن الله بذلك، ثم علق ذلك بما هو محال، فقال: فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض فتأتيهم بآية منه أو سلما في السماء فتأتيهم بآية منها فافعل، ولكنك لا تستطيع ذلك، فدع الحزن ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:8]، و﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية:22]".[1]

ويضيف قائلا:" وقيل: إن الخطاب وإن كان لرسول الله –ﷺ–فالمراد به أمته، لأنها كانت تضيق صدورهم بتمرد الكفرة وتصميمهم على كفرهم، ولا يشعرون أن لله –سبحانه– في ذلك حكمة لا تبلغها العقول ولا تدركها الأفهام، فإن الله –سبحانه– لو جاء لرسوله –ﷺ–بآية تضطرهم إلى الإيمان لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى، ولهذا قال: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى جمع إلجاء وقسر، ولكنه لم يشأ ذلك".[2]

ولله الحكمة البالغة فلا تكونن من الجاهلين فإن شدة الحرص والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة قبل أن يأذن الله بذلك هو صنيع أهل الجهل ولست منهم، فدع الأمور مفوضة إلى عالم الغيب والشهادة فهو أعلم بما فيه المصلحة، ولا تحزن لعدم حصول ما يطلبونه من الآيات التي لو بدا لهم بعضها لكان إيمانهم بها اضطرارا إنما يستجيب لك إلى ما تدعو إليه الذين يسمعون سماع تفهم بما تقتضيه العقول وتوجبه الأفهام، وهؤلاء ليسوا كذلك، بل هم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ولا يعقلون لما جعلنا على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر"[3].

3–قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 67–68]، ولذا لما نزلت الآية بكى الرسول–ﷺ–كما حكى ذلك ابن القيم حيث قال:" وأما بكاء النبي –ﷺ–، فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا، ولم يرد ذلك رسول الله –ﷺ–، ولا أبوبكر، وإن أراده بعض الصحابة، فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم العسكر يوم حنين بقول أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة، وبإعجاب كثرتهم لمن أعجبته منهم، فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر والله أعلم"[4].

ويضيف قائلا:" وقد تكلم الناس، في أي الرأيين كان أصوب، فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث، ورجحت طائفة قول أبي بكر، لاستقرار الأمر عليه، وموافقته الكتاب الذي سبق من

1– فتح القدير، 2/ 128.

2 –م ن،128/2.

3–م ن، 2/ 128.

4– زاد المعاد،101/3.

الله بإحلال ذلك لهم، ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيه النبي –ﷺ–له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء، ولموافقة رسول الله –ﷺ–لأبي بكر أولا، ولموافقة الله له آخرا حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصديق، فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرا، وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.[1]

يقول محمد كولن:" هذا عتاب فيه العنف والخشونة وخاصة جواب لولا في قوله –تعالى–: ﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فجو الآية مع سبب نزولها كتوضيح وبيان لما آل إليه حال النبي –ﷺ–والصحابة، وهم في موقف بعد أن وضعت الحرب أوزارها".[2]

ويضيف قائلا:" فأخذ النبي –ﷺ–يستشير أصحابه في شأن الأسرى، فاستشار أولا أبا بكر –رضي الله عنه–، فكان جوابه:" يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام فيكونوا لنا عضدا، ثم توجه رسول الله –ﷺ–إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، فقال: "ما ترى يا ابن الخطاب؟ فأجابه عمر –رضي الله عنه–:" والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان –قريب لعمر– فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان –أخيه– فيضرب عنقه؛ حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، واستقر الرأي مع رأى أبي بكر –رضي الله عنه– فنزلت الآية[3].

يقول أبو شوفة:" وكأن الآية تحْمل تنبيهاً للرسول –ﷺ–، مفاده أنه لا يجوز أن يكون لنبي أسرى، حتى يقوي وضعه دون الحاجة إلى معونة من أحد، أي ما كان له إطلاق الأسرى حتى مقابل الفدية؛ لأن هذا سيسرع من تمكين المؤمنين في الأرض ويقويهم ويعجل وصولهم إلى توازن مع أعدائهم، ويجعل منهم قوة، والرسول –ﷺ–وأصحابه يهدفون إلى الوصول إلى هذه الغاية، وهي غاية كل مؤمن".[4]

ويضيف قائلا:" لهذا عاتب الله نبيه عتابًا فيه نوع من العنف والخشونة، وكأن المعنى الآية: أنكم اجتهدتم وأخذتم الحسن وغاب عنكم الأحسن الذي يريده الله –عز وجل– منكم ولولا أنه كتب في القدر ألا أعاقبكم فيما أخذتم لجاءكم عذاب عظيم، ولكن هذا الكتاب وهذا الحكم

---

1 –م ن،101/3.

2 – محمد كولن، العصمة النبوية، ترجمة: أورخان علي، دار النيل، ط:3، ت:2005م، القاهرة، ص: 77، بتصرف.

3– صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، برقم:4687. ور: العصمة النبوية، ص: 83، بتصرف.

4 – المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، ص:220.

موجود منذ الأزل؛ لذا فلن يأتيكم مثل هذا العذاب، ومشروعية الأسر بعد العتاب ثابتة في قول تعالى:﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:4]. [1]

يقول الطبري:" وفيها دلالة على أن المعاتب عليه عدم الإثخان في القتل والإسراع الى الغنيمة لا أخذ الفداء؛ لأن سعدا أبان عن رأيه قبل الاستشارة في أخذ الفداء، وقد جاء في الروايات الأخرى أن العذاب لو نزل ما نجا منه غير سعد وعمر رضى الله عنهما".[2]

إذ أن أخذ الفداء من الأسرى لا عتاب عليه يقول الفخر الرازي:" فالآية لا تمنع الأسر وأخذ الفداء نهائيا، ولكنها تقرر أنهما لا يكونان إلا بعد الإثخان في الأرض بظهور المسلمين على أعدائهم، وهذا يدل على أن أخذ الغنائم وأكلها كان حلالا طيبا لا شبهة فيه، ولا عتاب عليه، وإنما كان العتاب على الإسراع في إنهاء الوقعة قبل الإثخان في العدو وكسر شوكته وإضعاف قوته".[3]

4-قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾[الإسراء:73-75]،

قال ابن عباس في رواية عطاء:" نزلت هذه الآية في وفد ثقيف أتوا رسول الله -ﷺ-، فسألوه شططاً، وقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله -ﷺ-، ولم يجبهم فكرروا ذلك الالتماس، وقالوا إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا ، فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله -ﷺ- عنهم وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر وقال: أما ترون رسول الله -ﷺ- قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه؟ فأنزل الله هذه الآية".[4]

وعن سعيد بن جبير أنه -ﷺ- كان يستلم الحجر فتمنعه قريش ويقولون لا ندعك حتى تستلم آلهتنا فوقع في نفسه أن يفعل ذلك مع كراهية، فنزلت هذه الآية. [5]

وذهب ابن الأنباري إلى أن معناه لقد كاد أن يخبروا عنك أنك ركنت، ونحو هذا ذهب في ذلك إلى نفي الهم بالنبي -ﷺ-، فحمل اللفظ ما لا يحتمل، وقوله:{ شيئاً قليلاً } يبطل ذلك، وهذا

---

1 -م ن، ص: 220

2 - تفسير الطبري 448/10.

3 - التفسير الكبير، 202/15

4 - التفسير الكبير،100/10.

5 - التفسير الكبير،100/10.

الهم من النبي –ﷺ–إنما كانت خطرة مما لا يمكن دفعه، ولذلك قيل:" كدت" تعطي أنه لم يقع ركون، ثم قيل:" شيئاً قليلاً"، إذ كانت المقاربة التي تتضمنها{ كدت} قليلة خطرة لم تتأكد في النفس، وهذا الهمّ هو كهمّ يوسف –عليه السلام–".[1]

يقول الزمخشري:" روي أنّ ثقيفاً قالت للنبي –ﷺ–: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب: لا نعشر؛ ولا نحشر، ولا نجبي في صلاتنا، وكل ربا لنا فهو لنا، وكل ربا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول، وأن تمنع من قصد وادينا وجّ فعضد شجره، فإذا سألتك العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني به، أنهم جاءوا بكاتبهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى ثقيف لا يعشرون ولا يحشرون، فقالوا ولا يجبون، فسكت رسول الله، ثم قالوا للكاتب: اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله –ﷺ– فقام عمر بن الخطاب وسل سيفه، وقال: أسعرتم قلب نبينا يا معشر قريش، أسعر الله قلوبكم ناراً، فقالوا لسنا نكلمك إنما نكلم محمداً، فنزلت هذه الآية".[2]

في تفسير هذه الآية يقول أبو السعود:"{ وَلَوْلاَ أَن ثبتناك } على ما أنت عليه من الحق بعِصمتنا لك { لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً } من الركون الذي هو أدنى ميلٍ أي لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميلَ إليهم شيئاً يسيراً من الميل اليسيرِ لقوة خَدعِهم وشدة احتيالِهم ، لكن أدركتْك العصمةُ فمنعَتْك من أن تقرَبَ من أدنى مراتبِ الركونِ إليهم فضلاً عن نفس الركونِ ، وهذا صريحٌ في أنه –ﷺ–ما همّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليلٌ على أن العصمةَ بتوفيق الله تعالى وعنايتِه".[3]

ويقول ابن عجيبة:" لولا أن عصمناك، لقاربت أن تميل إليهم؛ لقوة خدعهم، وشدة احتيالهم. لكن عصمتنا منعتك من المقاربة. وهو صريح في أنه –ﷺ–**ما هَمَّ بإجابتهم**، مع قوة الداعي إليها، ولا قارب ذلك. وهو دليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه".[4]

وأضاف قائلا:" وفيه رد على ابن عطية، حيث قال: قيل: إنه هَمَّ بموافقتهم، لكن كان ذلك خطرة، والصواب: عدم ذلك؛ لأن التثبيت والعصمة مانعٌ من ذلك.[5]

ويرى الباحث بأن ابن عجيبة متناقضا مع نفسه، حيث قال: أن ابن عطية يقول:" إنه هَمَّ بموافقتهم" وهذا ليس كلام ابن عطية، والدليل على ذلك قول ابن عجيبة نفسه عندما قال: يقول ابن عطية:" قيل" إذا ابن عطية ناقلا لقول قيل، وما الذي قاله ابن عطية هو:" ورسول الله –ﷺ– لم يركن، لكنه كاد بحسب همه بموافقتهم طمعاً منه في إسلامهم.

---

1 – المحرر الوجيز،264/4.

2 – الكشاف،469/3.

3 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 217/4.

4 – أحمد بن محمد ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، دار الكتب العلمية، ط :2، ت:2003م، بيروت.159/4.

5 – م ن،353/11.

ويقول المراغي:" إنك كنت على أهبة الركون إليهم، لا لضعف منك، بل لشدة مبالغتهم في التحيل والخداع، ولكن عنايتنا بك منعتك أن تقرب من الركون، فضلا عن أن تركن إليهم، وفى هذا تصريح بأنه –ﷺ–**لم يهمّ بإجابتهم**، ولم يقرب من ذلك".[1]

مما يدلُّ على أن طبيعته –ﷺ–طبيعة سليمة بفطرتها، يقول **الشعراوي**:" والمتأمل في هذه الآية يجدها تحتاط لرسول الله–ﷺ– عدة احتياطات، فلم تقُلْ: لولا تثبتنا لك لَركنتَ إليهم، لا، بل لَقاربتَ أنْ تركنَ فمنعتْ مجرد المقاربة، أما الركون فهو أمر بعيد وممنوع نهائياً وغير مُتصوّر من رسول الله–ﷺ–، مما يدلُّ على أن طبيعته –ﷺ–حتى دون الوحي من الله طبيعة سليمة بفطرتها، فلو تصوَّرنا عدم التثبيت له–ﷺ– من الله ماذا كان يحدث منه؟ يحدث مجرد أنْ يركنَ إليهم شيئاً قليلاً، يقول تعالى: إِذًا لأذقناك ضِعْف الحياة وضِعْف الممات، وبهذا التهديد يرفع الحق سبحانه سخيمة الكُرْه من صدور القوم لمحمد–ﷺ–، وينقلها له سبحانه وتعالى".[2]

والسؤال: لماذا يُضَاعَف العذاب في حَقِّ محمد –ﷺ–؟

يجيب الشعراوي عن ذلك بقوله:" قالوا: لأنه أُسْوة كبيرة وقُدْوة يقتدي الناس بها، ويستحيل في حقِّه هذا الفعل، ولا يتصور منه –ﷺ–، لكن على اعتبار أن ذلك حدث منه فسوف يُضاعَف له العذاب".[3]

وروى أن قريشاً قالوا له: اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة، حتى نؤمن بك. فنزلت هذه الآية، وقال الحسن: الكفار أخذوا رسول الله –ﷺ– ليلة بمكة قبل الهجرة فقالوا: كف يا محمد عن ذم آلهتنا وشتمها فلو كان ذلك حقاً كان فلان وفلان بهذا الأمر أحق منك فوقع في قلب رسول الله –ﷺ– أن يكف عن شتم آلهتهم.

قال ابن عباس:" يريد حيث سكت عن جوابهم"، وقال قتادة لما نزلت هذه الآية: قال النبي –ﷺ–: " اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين"، ثم توعده في ذلك أشد التوعد فقال تعالى: ﴿ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾[الإسراء:75]".[4]

وحاصل الكلام أنك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون إليه همتك لاستحققت بذلك تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب أن أقسام نعم الله تعالى في حق الأنبياء عليهم السلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها أكثر.

---

1 – أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مكتبة مصطفى الباجي وأولاده، ط:1، ت:1946م، بمصر.79/15.

2 – تفسير الشعراوي،5277/1.

3 – م ن،5278/1.

4 – التفسير الكبير، 101/10.

وتعد هذه الآية من أقوى الآيات وعيدا في حال النبي–ﷺ– ومن لطف الله أنها متعلقة بهم خاطر مر على قلب النبي–ﷺ–، لم يتحول إلى نشاط العزيمة وحركة الإرادة. ومعلوم أن ما يهم به الإنسان لا يدخل في عمل قلبه، ولا عمل سلوكه.[1]

5–قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب: 37–38]، من أظهر آيات العتاب، وأشدها ورودا فيما يتعلق بشخص سيدنا رسول الله –ﷺ– يقول **الشعراوي**:" معنى {وَإِذْ تَقُولُ} واذكر الذي أنعم الله عليه بالإيمان –والمراد زيد وأنعمتَ عليه بالعتق أولاً، وأنعمت عليه بقانون البشرية بأنْ جعلْتَه ابناً لك وأنعمتَ عليه بأن زوَّجته، وهو عبد، من قرشية، هي ابنة عمتك، ثم أنعمتَ عليه حين قُلْت له: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، لكن، لماذا قُلْتَ له هذه الكلمة يا محمد؟ أخوفاً من كلام الناس أنْ يقولوا: تزوَّج من امرأة مُتبنَّاه؟ كيف وهذا مقصود من الله تعالى، إنه يريد أن يُنهي عادة التبني، وأنْ يُنهيها على يدك أنت، فأنت تخفيه خوفاً من كلام الناس، وقد أبداه الله حين أخبرك بهذه المسألة، وأن نهايتها ستكون على يديك بأنْ تتزوج امرأة مُتبنَّاك، وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ، فدعْكَ من الناس".[2]

ويضيف قائلا:" وقوله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَا زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الوطر: إن وطر الرجل من زوجته أن تكون سكناً، فإن لم يكُنْ، فمودة تجمعهما، فإنْ لم يَكُنْ فرحمة متبادلة، وقد افتقد زيد في زوجته كل هذه المراحل، فلم يجد معها، لا السكن، ولا المودة، ولا الرحمة، فلماذا – إذن – يستمر في الارتباط بها؟ لذلك كان يذهب إلى رسول الله، فيشتكي له ما يلاقي من زينب، فكان رسول الله –ﷺ–يقول له: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ".[3]

ويرى الباحث: أن خشيته –ﷺ–لم تكن خشية خوف من شيء يضره، إنما خشية استحياء ليدفع رسول الله –ﷺ–الشبهة عن نفسه.

وإنما كان العتاب على إخفاء الإعلام بزواجها منه، وتلبثه –ﷺ–بعد أن عرض عليه زيد طلاقها اجتهادا منه –ﷺ–استجابة لطبيعته المجبولة على الرأفة والرحمة –ﷺ–، وأخذاً بمبدأ

---

1 – تفسير اللباب،353/10.

2 – تفسير الشعراوي، 7489/1.

3 –م ن، 7490/1.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة والإرشاد إذ لم يعين الله له وقت تزويجه منها، وليتعرف –ﷺ–ما عند زيد بالنسبة إليها من رغبة فيها وميل إليها.[1]

ويكون ما أخفاه رسول الله –ﷺ–في نفسه وعوتب عليه هو استشعاره –ﷺ–من تمكنه من إبطال عادة عدم صحة تزوج المتبني بمطلقة دعيه بمجيء زيد شاكياً زوجه زينب، ويعرض طلاقها دون أن يكون له –ﷺ–دخل قلبي سوى إرادة تحقيق ما أراده الله تعالى من زواجه بزوجة دعيه – التي قضى وطره منها – لرفع الحرج عن المؤمنين في التزوج بمطلقات الأدعياء. فالعتاب كان على التأخير بقوله لزيد أمسك عليك زوجك.[2]

وفي رفع الحرج عن رسول الله –ﷺ– يقول **الشعراوي:**" كيف تلومون رسول الله–ﷺ– على تنفيذ أمر فرضه الله له؟ ما دام أن الله هو الذي فرض هذا، فلتُصعِّدوا الأمر إليه، فليس لرسوله ذنب فيه. إذن: المسألة ليست من فعل محمد–ﷺ–، ولكن من فعل الله، وقوله تعالى:﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ أي: إخوانه من الرسل السابقين، أو فيما كان قبل الإسلام من التعدُّد، فلم يكُنْ رسول الله بدَعاً في هذه المسألة ".[3]

6–قوله –تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم:1]، يقول البغوي في تفسير هذه الآية:" عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كان رسول الله –ﷺ– يحب الحلواء، ويحب العسل، وكان–ﷺ– إذا صلى العصر جاز على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله –ﷺ–منها شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له فذكرت ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلتَ مغافير؟ فإنه سيقول: لا فقولي له: ما هذه الريح وكان رسول الله –ﷺ–يشتد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحلُه العرفط، وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة، تقول سودة: والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أباديه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب، فرقًا منك فلما دنا رسول الله –ﷺ–قلت: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا قلت: فما بال هذه الريح! قال:" سقتني حفصة شربة عسل"، قالت: جرست نحله العرفط، فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل

---

1 – تفسير القرآن العظيم، 466/5.

2 – جامع البيان في تأويل القرآن، 6667/8

3 – تفسير الشعراوي، 7491/1.

على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه قال: لا حاجة لي به تقول سودة: سبحان الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها اسكتي". [1]

وفي رواية أخرى عن عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- تَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ -ﷺ- فَلْتَقُلْ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ فَنَزَلَتْ:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } ". [2]

ويقول البغوي في تفسيره:" كان رسول الله -ﷺ-يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله -ﷺ-في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله -ﷺ-إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت البابا مغلقاً، فجلست عند الباب فخرج رسول الله -ﷺ- ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقاً؟ ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال رسول الله -ﷺ-:" أليست هي جاريتي أحلها الله لي؟ اسكتي فهي حرام علي ألتمس بذاك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهن"، فلما خرج رسول الله -ﷺ-قرعت حفصة الجدار التي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله -ﷺ-قد حرم عليه أمته مارية، وإن الله قد أراحنا منها، وأخبرت عائشة بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي -ﷺ-، فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله -ﷺ- حتى حلف أن لا يقربها، فأنزل الله -عز وجل-: الآية. [3]

ومما يدل على أن عائشة وحفصة، رضي الله عنهما، هما المتظاهرتان، ما ورد عن ابن عباس قال:" لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي -ﷺ-اللتين قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدَل عمر وعدلت معه بالإداوة. فتبرز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي -ﷺ-، اللتان قال الله تعالى: { إِنْ تَتُوبَا

---

1 – معالم التنزيل،163/8. صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، 1101/2-1102، برقم:20- 1474.

2 – م ن، 1100/2، برقم:20-1474.

3 – معالم التنزيل، 163/8. صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها،871/2، برقم:2336، ور: أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:2001م، بيروت. كتاب عشرة النساء، باب الغيرة، برقم: 3958.

إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } ؟ فقال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس والله ما سألته عنه ولم يكتمه قال: هي حفصة وعائشة".[1]

محل الشاهد: قوله –تعالى–: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ والمعنى: أن النبي –ﷺ–قدوة لأمته في جميع ما يقع منه قولاً أو فعلاً أو تقريرًا، ما لم يدل دليل على اختصاصه به –ﷺ–، والأمة مأمورة بمتابعته، وذلك في قوله –تعالى–: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:7]. ، فلذا لما حرم على نفسه ما هو حلال حذره الله –تعالى– بقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾، إذ لو لم يحذر –ﷺ–من التحريم على نفسه مما أحله الله له لكان ذلك سنة متبعة قد أتانا بها، ومتابعته قائمة على عاتق الأمة مادامت الرسالة وخلود الشريعة وأحكامها، فلا ينبغي لرسول ولا نبي أن يمنع نفسه مما أحله الله له تطلبًا وابتغاء لمرضاة أزواجه، لأن الله رفع شأنه فوق جميع خلقه، وجعله قدوة حسنة لأمته، وتحريمه هذا مما يشق على أمته في مستقبل حياتها[2].

ويقول بيئوغين:" وبناء على هذا فقد عاتبه الله –تعالى–على تحريم نفسه سريته مارية القبطية أم ولده إبراهيم وكان العتاب لأجل تقديمه –ﷺ–رضا أزواجه على ما يختص براحته النفسية، لابتغاء مرضاتهن، لذا بين الله –تعالى–الباعث من العتاب بقوله تبتغي مرضات ازواجك فكأن المعنى: يا أيها النبي لم تمنع نفسك وتحرمها مما أحل الله لك من، راحتك النفسية وسرورك القلبي تبتغي بذلك مرضاتَ أزواجك؟، وليس مجرد تحريمه –ﷺ–نفسه من المباح محلا للعتاب لأنه –ﷺ–كثيرا ما منع نفسه من بعض المباحات –التي ينعم بها الناس زهدا في الدنيا وبعدا عنها، ولم يحظر عليه ذلك، ولم يعاتبه الله –تعالى–على شيء من ذلك كله".[3]

فلو كان القرآن قد حرف أو بدل – وحاشاه – لما بقيت فيه هذه الآيات البينات الناصعات، التي تؤكد صدق نبوته –ﷺ–.

7– ومن العتاب الشديد في وصف موقف الرسول–ﷺ – مع عبد الله ابن أم مكثوم(ت:15هـ) قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾ [عبس:1–12]، عن عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ:

1 – صحيح البخاري، كتاب التفسير باب: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله، 1866/4، برقم:4629.

2– آيات عتاب المصطفى –ﷺ–، ص: 297– 299.

3 – عتاب الله عز وجل للأنبياء–عليهم السلام– في القران الكريم، ص:81.

"أُنْزِلَتْ عَبَسَ وَتَوَلَّى فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى[1]، فَقَالَتْ: أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-فَجَعَلَ يَقُولُ: أَرْشِدْنِي، قَالَتْ: وَعِنْدَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ:" أَتَرَى مَا أَقُولُ بَأْسًا"، فَيَقُولُ: "لَا" فَفِي هَذَا أُنْزِلَ"[2]

وقَالَ مسلم بن صبيح:" دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وَعِنْدَهَا رَجُلٌ مَكْفُوفٌ، وَهِيَ تُقَطِّعُ لَهُ الْأُتْرُجَّ، وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالْعَسَلِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَتْ:" هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الَّذِي عَاتَبَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِيهِ نَبِيَّهُ -ﷺ-، قَالَتْ:" أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ-ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَعِنْدَهُ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-عَلَيْهِمَا، فَنَزَلَتْ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ابن أم مكثوم".[3]

وفي سبب عتاب الرسول يقول الزرقاني:" وجد الرسول -ﷺ-نفسه بين قوم غلاظ مشركين يدعوهم إلى الإسلام ورجل وديع مسلم يستزيده من العلم فآثر الإقبال على أولئك الصناديد وعبس في وجه ابن أم مكتوم هذا واعرض عنه لا احتقارا له وغضا من شأنه ولكن حرصا على هداية هؤلاء خوفا، من أن تفوت هذه الفرصة السانحة لدعوتهم فأنزل الله على رسوله-ﷺ- تلك الآيات السالفة، يعاتبه فيها ذلك العتاب القاسي الخشن ويفهمه أن حرصه على الهداية ما كان ينبغي أن يصل به إلى حد الإقبال الشديد على هؤلاء الصناديد وهم عنه معرضون، ولا إلى حد الإعراض العابس في وجه هذا الضعيف الأعمى وهو عليه مقبل".[4]

ويضيف قائلا:" وكأني بك تحسن حرارة هذا العتاب وذلك لتقرير مبدأ من المبادئ العالية هو الإعراض عن المعرضين مهما عظم شانهم، والإقبال على المقبلين مهما رق حالهم، ولعلك تلمح معي من وراء هذا العتاب رحمة الرسول-ﷺ- بأعدائه، وإخلاصه لدعوته وتفانيه في وظيفته وحرصه على هداية الناس أجمعين".[5]

ويقول البوطي:" إن الله تعالى عاتب رسوله-ﷺ- وأنكر عليه اجتهاده هذا، وإن كانت

---

1 – عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم الأعمى مختلف في اسمه، قَالَ قَتَادَةُ: كان أول من قدم المدينة بعد مصعب بن عمير، واستخلفه النبي -ﷺ-على المدينة، ر: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر ط:1، ت: 1998م، الرياض.487/11.

2- الترمذي، سنن الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة عبس، 5/ 432، برقم:3331. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد ارسله جماعة عن هشام بن عروة، وصححه الحاكم برقم:3896.

3- الدر المنثور، 415/8. الطبراني، المعجم الأوسط، 155/9، برقم: 9404. ور: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1990م، بيروت. كتاب: معرفة الصحابة،3/ 735، برقم: 6671.

4 – مناهل العرفان في علوم القرآن، 362/2.

5 – م ن،363/2.

غايته مشروعة ونبيلة، ذلك لأن الوسيلة قد انطوت على كسر خاطر مسلم، أو ما يدل على الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه من أجل اجتذاب قلوب المشركين فهي ليست بمشروعة ولا مقبولة".[1]

ويبين محمد مسعد ياقوت علة المعاتبة بقوله:" نرى علة المعاتبة، لكونه انشغل بدعوة الوجهاء عن قضاء حاجة هذا الكفيف، وكان الأولى أن تُقضى حاجته، وتقدم على حاجات من سواه من الناس".[2]

يوضح توماس كارليل(ت:1299هـ) من خلال قصة ابن أم مكتوم إخلاص الرسول-ﷺ- في تبليغه للوحي، بقوله:" هذه حادثة تعكس الدرجة العالية التي وصل إليها إخلاصه -ﷺ-في تسجيل الوحي القرآني إليه حتى ولو بدا أن القرآن يؤنبه بسبب بعض حماسته الطبيعية والبشرية، لكسب رؤساء قريش تعاليم الإسلام، وفي أثناء حديثه مع أحد هؤلاء الرؤساء والذي كان يتظاهر بالإصغاء إليه حاول رجل أعمى يُدعى عبد الله بن أم مكتوم أن يتدخل في المناقشة محاولاً بذلك جذب الانتباه إليه، ولم يكن غرض بن أم مكتوم لفت الأنظار، ولكنه كان يريد أن يسأل عن شيء مهم من أمور الدعوة، ولقد عاتب الله النبي-ﷺ-لانصرافه عنه، وصرف وجهه إلى صنديد الكفر رغبة منه في دخوله في الإسلام، فاعتبر القرآن ذلك أنه لا حاجة له في تمني دخولهم الإسلام، ولكن المسلمين الذين جاءوا إليك أولى بهذا الاهتمام".[3]

ويضيف قائلا:" وما يدريك يا محمد أن هذا الكافر سوف يزكي ويدخل في الإسلام إنه في علم الغيب والأمر موكل إلى الله، صمت الرسول المبارك -ﷺ-بينما الأفكار تدور في عقله بلوم الأعمى عن عدم صبره الذي قد يتسبب في عدم إقناع هذا الرئيس، وقد تؤدي إلى عدم دخوله الإسلام أعتقد أن هؤلاء الرجال قليلي الأهمية مثل هذا الأعمى لا يحق لهم السؤال في مثل هذه الأحوال".[4]

قال الرازي:" أي لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم، إلى أن تعرض عمن أسلم، للاشتغال بدعوتهم وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى أي يسرع في طلب الخير وَهُوَ يَخْشى أي يخاف الله ويتقيه فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى أي تعرض وتتشاغل بغيره".[5]

عن كيفية وقوع المعاتبة يسأل الفخر الرازي بقوله:" الظاهر أنه عليه -ﷺ-كان مأذوناً في أن يعامل أصحابه على حسب ما يراه مصلحة، وأنه -ﷺ-كثيراً ما كان يؤدب أصحابه

---

1 – البوطي، فقه السيرة،110/1.

2 – محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة الرسالة والإنسان، ط:1، ت:2007م، القاهرة. 249/1.

3 – توماس كارليل، الأبطال، عربه: محمد السباعي، المكتبة التجارية الكبرى، ط:3، ت:1930م، مصر. ص:71.

4 – م ن،71/1.

5 – التفسير الكبير،357/16.

ويزجرهم عن أشياء، وكيف لا يكون كذلك وهو -ﷺ-إنما بعث ليؤدبهم وليعلمهم محاسن الآداب، وإذا كان كذلك كان ذلك التعبيس داخلاً في إذن الله تعالى إياه في تأديب أصحابه، وإذا كان ذلك مأذوناً فيه، فكيف وقعت المعاتبة عليه-ﷺ-؟

ثم يجيب عن ذلك بقوله:" أنه كان مأذوناً في تأديب أصحابه-ﷺ- لكن ههنا لما أوهم تقديم الأغنياء على الفقراء، وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين، فلهذا السبب جاءت هذه المعاتبة".[1]

ويقول القاسمي:" وفي الالتفات إلى الخطاب إنكار للمواجهة بالعتب أوّلا، إذ في الغيبة إجلال له -ﷺ-، لإيهام أن من مصدر منه ذلك غيره، لأنه لا يصدر عنه مثله. كما أن في الخطاب إيناس بعد الإيحاش، وإقبالا بعد إعراض". [2]

1 - التفسير الكبير 353/16.

2 - محاسن التأويل،405/9.

الفصل الرابع: توصيف الأحوال الدعوية للنبي-ﷺ-

المبحث الأول: توصيف مراحل دعوته-ﷺ-:

إن الإسلام رسالة إلهية تحمل تعاليم شاملة، جاءت لصلاح الإنسان فردا وجماعة، وليست فلسفية، ولا أفكارا اجتماعية تخص بيئة من البيئات، أو شعبا من الشعوب.

وإن الدعوة للإسلام هي الاستمرار في نشر تلك التعاليم وتصحيح مواقف الأفهام والأقوام منها حين يميلون عن الصواب في تصورها.

يقول علي محفوظ(ت:1361هـ):" إن الدعوة إلى الله، هي: حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة. وهي: حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والأجل".[1]

ويضيف قائلا:" وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها، ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة، فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب، سواء أكان الأمر حقا أم باطلا".[2]

ويبين عبد الكريم زيدان(ت:1434هـ) أصول الدعوة وأركانها بقوله:" المقصود بالدعوة إلى الله: الدعوة إلى دينه وهو الإسلام، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا الأصل الأول في الدعوة، وقد بلغ الرسول-ﷺ-هذا الإسلام أحسن تبليغ وأكمله، فهو الداعي الأول إلى الإسلام، فالداعي إذن هو الأصل الثاني للدعوة، والذين دعاهم وبلغهم رسالته، هم العرب وغيرهم، فالمدعو إلى الإسلام هو الأصل الثالث للدعوة، وقد قام الرسول-ﷺ-بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب، والمناهج التي أوحى بها الله وهي الأصل الرابع للدعوة ".[3]

ويراد بالدعوة إلى الله تعالى معنيين:

1-الدعوة بمعنى نشر الإسلام وتبليغه للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة.[4]

2- دعاء المكلفين من الجن والإنس إلى عبادة الله تعالى وتقواه، فهي دعوة إلى أمرين: أحدهما: عبادة الله تعالى بدعائه، والثناء عليه وتعظيمه وحده، والآخر: تقواه بترك الشرك والبدع، والأهواء المخالفة لشرعه، والبراءة منها بالقول والفعل. [5]

---

1 - علي محفوظ، هداية المرشدين، دار الاعتصام، ط:9، ت:1997م، الرياض. ص:14.

2 -م ن، ص:15.

3 - عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط:9، ت:2002م، بيروت. ص:5.

4 - حسن عيسى عبد الظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، دار الثقافة، ط:1، ت:1985م، الدوحة. ص:26.

5 - عبد الله بن صالح القصير، تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة، المكتبة الالكترونية، ط:2، ت:2009م، دمشق. ص:9.

وهناك مفردات ومصطلحات دعوية متعددة ذات علاقة وثيقة، ولكن هناك التداخل الوطيد بينها وبين مصطلح الدعوة، وحتى يتبين الفرق أو تظهر العلاقة بينهما، يبين عبد الله المجلي بعض المصطلحات وهي كالآتي:

1-الإصلاح: بين مصطلح الدعوة ومصطلح الإصلاح؛ علاقةٌ وثيقةٌ من حيث المفهوم التي تتمثل في العموم والخصوص؛ إذ الدعوة عامةٌ في كل وقت وحين، أما الإصلاح ففيه خصوصٌ مرتبطٌ بوجود فساد؛ لكنه بكل حال يقع ضمن دائرة الدعوة، وفي محيطها من حيث المفهوم والعمل.[1]

2-التجديد: إحياء ما اندرس من أمور الدين في زمن مخصوصٍ من شخص مخصوص، وهو أخصّ من الإصلاح في المفهوم الدعوي لأن التجديد من شخص معينٌ له شروطه وصفاته في وقت معين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-" إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا".[2]

3-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو يتضمن معنى الإلزام للمأمور والمنهي بدلالة كلمة (أمر) وكلمة (نهي) وهي مرتبة أخص من معاني البيان والتوضيح والحث والحظ والرغبة والرجاء التي هي من معاني الدعوة، وقد عرفه الجرجاني بأنه:" حمل الناس بالقول أو الفعل على عمل الخير والبر، وترك الشر والإثم"، وهو بكل حال داخلٌ في المعنى العام للدعوة. [3]

مراحل الدعوة الإسلامية: [4]

القسم الأول: مرحلة إعداد القيادة:

إن المنهج الذي قدمته الدعوة الإسلامية في العهد المكي للعمل مع الجماعة قدمته وطبقته، وهو المنهج الوحيد الذي أنتج إنتاجا دائما خالدا، وهذا المبدأ قد أسسه الرسول-ﷺ- في دعوته التي بدأت من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:1-7]، واستمرت إلى قوله تعالى:﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:214]، وهذا دور الانطلاق واختيار الرعيل الأول، وإعداد القيادة التي تتحمل مع النبي-ﷺ-نشر الدعوة.

---

1 – عبد الله المجلي، تعريفات ومفاهيم، مجلة الدراسات الدعوية، العدد الأول، محرم 1429هـ-2009م، السعودية. ص:256.

2 – السنن الكبرى لأبي داود، كتاب: الملاحم، 178/4، برقم: 4293. صححه السخاوي في المقاصد الحسنة، ص:149. والألباني في السلسلة الصحيحة برقم:599.

3 – عبد الله المجلي، تعريفات ومفاهيم، مجلة الدراسات الدعوية، العدد الأول،ت:2009م، الرياض. ص:260.

4 -البوطي، فقه السيرة، ص:67.

يقول الألوسي في تفسير الآية:" نودي –ﷺ–باسم مشتق من صفته التي كان عليها تأنيساً له–ﷺ–وملاطفة، وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية على معنى المتحلي بها والمتزين بآثارها وقيل الظاهر أن يراد بالمدثر وكذا بالمزمل الكناية عن المستريح الفارغ لأنه في أول البعثة فكأنه قيل له –ﷺ–: قد مضى زمن الراحة وجاءتك المتاعب من التكاليف وهداية الناس".[1]

وفي قوله تعالى: **قُمْ فَأَنْذِرْ** يقول الطاهر ابن عاشور:" وَالْقِيَامُ الْمَأْمُورُ بِهِ لَيْسَ مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِيقَتِهِ لِأَنَّ النَّبِيءَ –ﷺ–لَمْ يَكُنْ حِينَ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِهَذَا نَائِمًا وَلَا مُضْطَجِعًا وَلَا هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَنْهَضَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْأَمْرِ بِالْمُبَادَرَةِ وَالْإِقْبَالِ وَالتَّهَمُّمِ بِالْإِنْذَارِ مَجَازًا أَوْ كِنَايَةً، وَشَاعَ هَذَا الِاسْتِعْمَالُ فِي فِعْلِ الْقِيَامِ حَتَّى صَارَ مَعْنَى الشُّرُوعِ فِي الْعَمَلِ مِنْ مَعَانِي مَادَّةِ الْقِيَامِ مُسَاوِيًا لِلْحَقِيقَةِ وَجَاءَ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ، وَعَدَّ ابْنُ مَالِكٍ فِي «التَّسْهِيلِ» فِعْلَ قَامَ مِنْ أَفْعَالِ الشُّرُوعِ، فَاسْتِعْمَالُ فِعْلِ الْقِيَامِ فِي مَعْنَى الشُّرُوعِ قَدْ يَكُونُ كِنَايَةً عَنْ لَازِمِ الْقِيَامِ مِنَ الْعَزْمِ وَالتَّهَمُّمِ كَمَا فِي الْآيَةِ".[2]

ويرى رؤوف شلبي مواصفات العمل النبوي وتزكيته متمثلة في قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} أي: استمر على ما أعددناك به من الكمال النفسي، الفذ الذي هيأناك به للرسالة، واستمر على ما أودعناك من السلوك السامي، الذي درجت عليه من الصغر وشرحنا لك به صدرك، ووجدناك عائلا فأغنيناك، وأساس تبليغ دعوتك هو الصبر على أذى البشر إرضاء لوجه الله.[3]

بدأ النّبي –ﷺ–يدعو إلى عباده الله وحده، ونبذ الأصنام، سرّا حذرا من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيتها، فلم يكن –ﷺ–يظهر الدّعوة في المجالس العمومية لقريش، ولم يكن يدعو إلا من كانت تشدّه إليه قرابة أو معرفة سابقة، وأول من عَرَف بأمر النبوءة والرسالة، زوجه خديجة بنت خويلد– رضي الله عنها –(ت: 3 ق.هـ) فآمنت وصدقت وآزرت ونصرت، ثم بقيَّة أهل البيت النبوي، ومولاه ومتبناه زيد بن حارثة(ت:8هـ)، وابن عمه علي بن أبي طالب(ت:40هـ) الذي كان غلامًا شابًا في حِجره ورعايته، وأبوبكر بن أبي قحافة(ت:13هـ) ﷺ– – فبادر إلى الإسلام من غير تردد حيث كان صديقاً لرسول الله –ﷺ–،

---

1 – روح المعاني،396/21.

2 – التحرير والتنوير،294/29.

3 – رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، دار القلم، ط:3، ت:2006م، دمشق. ص:43.

وأن رسول الله –ﷺ–قال:" مَا عَرَضْتُ الإِسْلامَ عَلَى أَحَدٍ إلا كَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ أَوْ تَرَدُّدٌ، غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَلَعْثَمْ".[1]

فكان أبو بكر –ﷺ– يدعو إلى الإسلام كل من يتوسم فيه خيرا ويعرف عنه صلاحا من أمره، لقد كرس جهده الكريم لنشر الدعوة الإسلامية، وقاد أصدقاءه إلى رسول الله –ﷺ– ليعلمهم الإسلام، ويتلو عليهم القرآن، ويمنحهم من فيوضات النبوة قبسا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فأسلموا بين يدي رسول الله –ﷺ–، وكان منهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، –رضى الله عنهم–فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة.[2]

يقول ممدوح الهياتمي:" ويتضح من هذا جليا، أن الدعوة نفسها كانت معروفة للناس، ولكن الذي وصف بالسرية في هذه المرحلة هو العمل لها، والترتيب لإذاعتها ونشرها، وهو الذي نسميه مرحلة إعداد القيادة، فضلا عن الاستخفاء بالعبادة".[3]

لقد استعذبت أرواح هؤلاء الأوائل رسالة الإسلام، فمنحوها النفس والنفيس، وآثروها على كل الوجود، وسموا بأنفسهم فوق المجتمع الجاهلي بمادياته ومعنوياته.

القسم الثاني: دعوة الأقربين:

ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول –ﷺ–دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقربين؛ إذ إن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته، وتأييده، وحمايته، كما أن القيام بالدعوة في مكة لابد أن يكون له أثر خاص؛ لما لهذا البلد من مركز ديني خطير، فجلبها إلى حظيرة الإسلام لابد أن يكون له وقع كبير .

وهذه المرحلة بدأت من قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214]. واستمرت إلى قوله تعالى:﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾، ولكي يبث الطمأنينة عند قومه ابتدئ بالْأَقْرَبِينَ منهم وفي ذلك يقول الشعراوي:" وهكذا نقل الأمر من رسول الله–ﷺ–إلى

---

1 – البيهقي، دلائل النبوة،116/2، المبارك بن محمد ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول–ﷺ–، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط:1، ت:1972م، بيروت. 585/8، برقم:6405. قال الذهبي: ضعيف، ر: تاريخ الإسلام، 692/6. وقال ابن حجر :مقبول عند المتابعة، ر: تقريب التهذيب، برقم:2391.

2 –علي الصلابي، سيرة أبي بكر الصديق، دار ابن الجوزي، ط:1، ت:2007م، القاهرة. ص:29. ور: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ط:3، ت: 1991م، بيروت. 317/1، البيهقي، دلائل النبوة، 418/1.

3 – رسالة ماجستير، بعنوان: الدعوة في عهدها المكي، للباحث: ممدوح الهياتمي، من جامعة الامام محمد بن سعود، ت:1983م، السعودية. ص:49.

أهله وعشيرته الأقربين، ذلك ليطمئن الآخرون من قومه، فهو يأمرهم بأمر ليس بنجْوة عنه، فأول ما ألزم به ألزم نفسه ثم عشيرته، وهذا أدْعى للطاعة وللقبول، والاقتداء، وتأمل ﴿ وَأَنذِرْ﴾ الإنذار: التحذير من الشرِّ قبل أوانه، فلم يقُلْ: بشِّر عشيرتك، كأنه يقول له: إياك أنْ يأخذك به لين ورَأْفة، أو عطف لقرابتهم لك، بل بهم فابدأ، وقد امتثل رسول الله –ﷺ–لهذا التوجيه، فكان –ﷺ–يقول لقرابته:" يا عباس يا عم رسول الله، يا صفية عمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد، اعملوا فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، ولا يأتيني الناس بأعمالهم، وتأتوني بأنسابكم".[1]

عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قال رسول الله –ﷺ– : "يا صَفِيَّةُ بِنْتَ عِبْدِ المُطَّلِبِ، يا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئا، سَلُوني مِنْ مالي ما شِئْتُمْ".[2]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله –ﷺ– حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الله، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا، يا صَفِيَّةُ عمة رسول الله لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يا فَاطِمَةُ بِنْتَ محمد سَلِينِي ما شِئْتِ من مالي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا".[3]

يقول ابن عاشور:" وَكَانَتْ صَفِيَّةُ وَفَاطِمَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ إِنْذَارُهُمَا إِعْمَالًا لِفِعْلِ الْأَمْرِ فِي مَعَانِيهِ كُلِّهَا مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَإِلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ فَجَمَعَ النَّبِيءُ –ﷺ–بَيْنَ الْإِنْذَارِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْإِنْذَارِ مِنَ الْمَعَاصِي".[4]

قال ابن حجر:" والسر في الأمر بإنذار الأقربين: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحابيهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نصّ له على إنذارهم".[5]

يقول البوطي:" لما أربى الذين دخلوا في الإسلام على الثلاثين– ما بين رجل وامرأة– اختار لهم رسول الله –ﷺ–دار أحدهم، وهو الأرقم بن أبي الأرقم، ليلتقي بهم فيها لحاجات الإرشاد والتعليم، وكانت حصيلة الدعوة في هذه الفترة ما يقارب أربعين رجلا وامرأة دخلوا في الإسلام، عامتهم من الفقراء والأرقاء وممن لا شأن له بين قريش".[6]

---

1 – تفسير الشعراوي، 6686/1.

2 – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، 192/1، برقم:205، روح المعاني، 135/19.

3 – صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، 1012/3، برقم: 2602.

4 – التحرير والتنوير،201/19.

5 – فتح الباري،503/8.

6 – البوطي فقه السيرة ص:68.

وعُرِفت تلك المرحلة من الدعوة بالمرحلة الأرقميّة؛ نِسبةً إلى دار الأرقم؛ إذ كان الرسول -ﷺ-يُعلّم الصحابة أمور الدين. وذلك قبل الهجرة إلى المدينة المُنوَّرة؛ حيث كان رسول الله-ﷺ-يجتمع بهم في شِعاب مكّة المُكرَّمة، ولمّا عَلِمت قريش بأمرهم، تصدّت لهم؛ فتوجّه بهم رسول الله-ﷺ-إلى دار الأرقم الواقعة على جبل الصفا.[1]

يقول المباركفوري(ت:1427هـ):" مرت ثلاث سنين والدعوة لم تزل سرية فردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها، ثم نزل الوحي يكلف رسول الله-ﷺ- بمعالنته قومه ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم، بقوله تعالى:﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾". [2]

استمرت هذه المرحلة إلى قوله تعالى:﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[الأنعام:92]، وفي تفسير هذه الآية يقول الفخر الرازي:" أم القرى هي مكة وسميت بهذا الاسم إجلالاً لها، لأن فيها البيت ومقام إبراهيم، ومن حولها من أهل البدو والحضر وأهل المدر، فإن قيل فظاهر اللفظ يقتضي أن الله تعالى إنما أوحى إليه لينذر أهل مكة وأهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضي أن يكون رسولاً إليهم فقط، وأن لا يكون رسولاً إلى كل العالمين؟ والجواب: أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه، فهذه الآية تدل على كونه رسولاً إلى هؤلاء خاصة وقوله:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:28]، يدل على كونه رسولاً إلى كل العالمين".[3]

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى:7]، ويعلل ابن عاشور سبب نزوله بالعربية فيقول:" لِأَنَّ كَوْنَهُ عَرَبِيًّا يَلِيقُ بِحَالِ الْمُنْذَرِينَ بِهِ وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ حَوْلَهَا، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخَاطَبُونَ بِالدِّينِ ابْتِدَاءً لِمَا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ مِن اخْتِيَارِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَتَلَقَّى الْإِسْلَامَ وَيَنْشُرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَلَوْ رُوعِيَ فِيهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ الْمُخَاطَبِينَ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ لَاقْتَضَى أَنْ يَنْزِلَ بِلُغَاتٍ لَا تُحْصَى، فَلَا جَرَمَ اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ أَفْضَلَ اللُّغَاتِ وَاخْتَارَ إِنْزَالَهُ عَلَى أَفْضَلِ الْبَشَرِ".[4]

وهذا من تمام حكمة الله أن يرسل كل رسول بلسان قومه، قال تعالى:﴿ وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: 4]، ولا يأتي رسول لقومه إلا بما فيه الصدق، والتصديق لما سبقه من الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ

---

1 – صلاح الدين نامق الراوي، الدعوة السرية وفقهها، مجلة كلية الشريعة، جامعة الانبار/كلية التربية القائم، المجلد الأول، العدد: 2، 1986م، العراق. ص: 174–176. بتصرّف.

2 – الرحيق المختوم، ص:72.

3 – التفسير الكبير،414/13.

4 – التحرير والتنوير،36/25.

يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[آل عمران:3]، وقال تعالى:﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الأنعام:92]

وفي بيان كيفية الصدع بالدعوة يقول أبو السعود:" فاصدع بِمَا تُؤْمَرُ جِهاراً بالحجة، وفرق بين الحق والباطل، وَأَعْرِضْ عَنِ المشركين، ولا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبالِ بهم ولا تتصدَّ للانتقام منهم".[1]

الرسول-ﷺ -في الطائف:

وفي سبيل تبليغ الرسالة طاف الرسول -ﷺ-بعيدا يدعو الناس في ديارهم.

يقول المباركفوري:" خرج رسول الله -ﷺ-من مكّة مُتوجّهاً إلى الطائف؛ ليدعو أهلها إلى الإسلام، وتوحيد الله، ورافقه في تلك الرحلة زيد بن حارثة-ﷺ- ، لقد استقبلوه بما لم يتخيَّله، وقوبلت دعوته برفض شديد، فأصابه من الهم والغم ما لا يعلمه إلا الله ".[2]

وفي لحظة الكرب تبدو طبيعة الداعية أن أمره كله لله فيتوجه إليه -ﷺ-بدعائه الخاشع بكلماته الرخيمة التي ترطب الفؤاد، وتحل فيه السكينة، وتذهب عن القلب همومه، قائلا:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحُلُّ بِي سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ".[3]

ثم ينطلق رسول الله -ﷺ-إلى مكة وهو لا يدري كيف سيدخلها، وقد فعل قومها معه ما فعلوه، ويصوّر لنا رسولُ الله -ﷺ-حاله ونفسيَّته، عن عروة بن الزبير -ﷺ-، أن عائشة -رضي الله عنها- حدثته أنها قالت للنبي -ﷺ-: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال:" لقيت من قومكِ ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل، فلم يجبني إلى ما أردت، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ

---

1 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 94/4.

2 – الرحيق المختوم، ص: 119 بتصرّف.

3 – السيوطي، جامع الأحاديث، تحقيق: عباس أحمد صقر، المكتبة الوقفية، ط:2، 1994م، بيروت. 155/6، برقم:4917. الحديث حسنه حسين سليم أسد ، وقال الهيثمي رحمه الله :" رواه الطبراني ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات. مجموع الزوائد " 35/6. ور: ابن هشام، السيرة النبوية، 420/1، الرحيق المختوم، ص:120.

أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فقال رسول الله –ﷺ–:" بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ".[1]

ولكن الرسول –ﷺ–يحنو عليهم ويرأف بهم، ومع ذلك فهلاك الناس على الشرك لا يَسُرُّ رسول الله –ﷺ–وهو أشدُّ حرصًا عليهم من أنفسهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128].

إنها أشد المواقف صعوبةً على نفسه –ﷺ–مطلقًا، ومع ذلك يتمالك الرسول –ﷺ– أعصابه سريعًا، ويأخذ قراره دون تردُّد! فيقول في عفو كريم–ﷺ–:" بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".[2]

صرف الجن:

وفي طريق عودته–ﷺ– من الطائف إلى مكة، بعث الله إليه نفرًا من الجن ذكرهم الله في موضعين من القرآن في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:29–31]، وقوله تعالى:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الْجِنّ:1–2].

يقول السعدي:" كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا –ﷺ–إلى الخلق إنسهم وجنهم وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة، فالإنس يمكنه –ﷺ–دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته وأرسل إليه نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا، أي: وصى بعضهم بعضا بذلك، فَلَمَّا قُضِي، وقد وعوه وأثر ذلك فيهم، وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، نصحا منهم لهم وإقامة لحجة الله عليهم، وقيضهم الله معونة لرسوله –ﷺ–في نشر دعوته في الجن".[3]

ويقول أبو حيان (ت: 745هـ):" فيها توبيخ لقريش وكفار العرب، حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز، فكفروا به، وهم من أهل اللسان الذي أنزل به القرآن، ومن جنس الرسول–ﷺ–

---

1 – سبق تخريجه، في المبحث الرابع: توصيف أخلاقه –ﷺ–، في ص:88.

2 – صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، 1180/3، برقم:3059. والرحيق المختوم، ص:121. بتصرف.

3 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،783/1.

الذي أرسل إليهم، وهؤلاء جن، فليسوا من جنسه، وقد أثر فيهم سماع القرآن وآمنوا به وبمن أنزل عليه، وعلموا أنه من عند الله، بخلاف قريش وأمثالها، فهم مصرون على الكفر به ".[1]

يقول المباركفوري:" كان هذا الحادث نصرًا آخر أمده الله من كنوز غيبه المكنون بجنوده التي لا يعلمها إلا هو، ثم إن الآيات التي نزلت بصدد هذا الحادث كانت في طيها بشارات بنجاح دعوة النبي-ﷺ-، وأن أي قوة لا تستطيع أن تحول بينها وبين نجاحها، وأمام هذه النصرة، وهذه البشارات، أقشعت سحابة الكآبة والحزن واليأس التي كانت مطبقة عليه منذ أن خرج من الطائف مطرودًا مدحورًا، حتى صمم على العود إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد وبجد وحماس". [2]

أول وفد إلى رسول الله -ﷺ-:

وفي غمرة ما كان يلاقيه النبي-ﷺ-وأصحابه من العذاب والإيذاء وفد إلى رسول الله -ﷺ-أول وفد من خارج مكة لفهم شيء عن الإسلام. وكانوا بضعة وثلاثين رجلا من نصارى الحبشة جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب لدى عودته إلى مكة، فلما جلسوا إلى رسول الله -ﷺ- واطّلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلي عليهم من القرآن، آمنوا كلهم، فلما علم بذلك أبو جهل أقبل إليهم قائلا: ما رأينا ركبا أحمق منكم!، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا.[3]

فنزل في حقهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقالُوا لَنا أَعْمالُنا وَلَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ﴾ [القصص:52-55]، وفي تفسير هذه الآية يقول مقاتل: قال سعيد بن جبير(ت:95هـ): هم أصحاب السفينة من أهل الإنجيل، قدموا مع جعفر من الحبشة وآمنوا بمحمد -ﷺ-، لما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا : يا نبيَّ الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها ، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين".[4]

---

1 – محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ط:2، ت:1978م، بيروت.،60/10.

2 – الرحيق المختوم، ص:121

3 – البوطي، فقه السيرة، ص:98.

4 –تفسير مقاتل، 348/3.

إن النبي –ﷺ–لم ينقل دعوة الله ولم يبلغها للناس جزافا ولا اتكالا على عصمته وتأييد الله له، فذلك فهم العجزة وهمة القعيد المتواكل ولكنه –ﷺ–نقلها بالأسلوب الفطن الواعي الذي رسم للعمل الإصلاحي في مستقبل الإنسانية كلها قواعد العمل البناء الذي يحترم ظروف جميع الناس ويداوي بالتؤدة والمودة لا بالقسوة والثورة والجبروت، ويود استجابة من صميم القلب لتنساب جوارح الناس استسلاما في تنفيذ أوامر الله وتلك هي مستويات العمل الفاضل لبناء المجتمع الفاضل وذلك ما حققته الدعوة في هذا الدور الجليل.[1]

1 – الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، ص:45.

المبحث الثاني: توصيف منهج الرسول-ﷺ-في دعوته:

لكل دعوة جانبان، جانب المعاني والمضامين، وهو الذي يشمل قضايا الدعوة ومبادئها وأهدافها.. وجانب الأساليب والطرائق، وهو الذي تصاغ فيه هذه المعاني، ولكل من الجانبين خصائصه التي تميزه عن الآخر. فمن خصائص الدعوة الإسلامية مثلاً صدقها، وشمولها، وحيويتها ... ومن خصائص أساليبها، الوضوح والبيان، والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.[1]

وفي وصف الكلام الحسن يقول الحسن بن عبد الله العسكري (ت:395هـ):" والكلام الحسن الذي يصفه بعض علماء البيان بقولهم:" يحسن بسلامته وسهولته وفصاحته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه، وتشبه أعجازه به وادبه، وموافقة مآخيره لمباديه".[2]

هذه هي صفات الكلام الحسن. أما الكلام الأحسن فهو: كلام الله تعالى الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:23] ، يقول أبو السعود:" هو القرآنُ الكريمُ، رُوِي أنَّ أصحابَ رسولِ الله -ﷺ-ملُّوا ملَّةً فقالُوا له -ﷺ-: حدِّثْنا حَديثاً، وعن ابن مسعُودٍ وابن عبَّاسَ -رضي الله عنُهم- قالُوا :" لو حدَّثتنا"، فنزلتْ، والمَعنى: أنَّ فيه مندوحةً عن سائرِ الأحاديثِ، وفي إيقاعِ الاسمِ الجليلِ مبتدأً ، وبناءِ نزَّل عليهِ من تفخيمِ أحسنِ الحديثِ ورفعِ محلَّه والاستشهادِ على حُسنِه وتأكيدِ استنادِه إليه تعالى وأنَّه من عندَه، لا يمكنُ صدورُه عن غيرِه والتَّنبيهُ على أنَّه وحيٌ معجزٌ".[3]

ومن مقومات هذه الأساليب أنها قامت على الحق: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة:3]، يقول القرطبي:" هذه «أَمْ» المنقطعة التي تقدّر ببل وألف الاستفهام؛ أي بل أيقولون، وهي تدلّ على خروج من حديث إلى حديث؛ فإنه عز وجلّ أثبت أنه تنزيل من رب العالمين ، وأن ذلك مما لا ريب فيه، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افتراه﴾، أي: افتعله واختلقه، بَلْ هُوَ الحق مِن رَّبِّكَ، كذّبهم في دعوى الافتراء، وفي قوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْماً﴾ قال قتادة: يعني قريشاً، كانوا أمّة أميّة لم يأتهم نذير من قبل محمد -ﷺ-".[4]

---

1 – سيد نوفل، أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:49، بالمدينة المنورة. 21/22.

2 – الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، ط:1، ت:1998م، بيروت. ص:55.

3 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،6/6.

4 – الجامع لأحكام القرآن،72/14.

وقال تعالى:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:119].

يقول الألوسي في تفسيره:" أي متلبسا مؤيداً بالقرآن أو بالإسلام {بَشِيراً وَنَذِيراً} حالان، وقيل: من الحق والآية اعتراض لتسلية الرسول –ﷺ–؛ لأنه كان يهتم ويضيق صدره لإصرارهم على الكفر والمراد: إنا أرسلناك لأن تبشر من أطاع وتنذر من عصى لا لتجبر على الإيمان فما عليك إن أصروا أو كابروا؟ والتأكيد لإقامة غير المنكر مقام المنكر بما لاح عليه من أمارة الإنكار والقصر إفرادي".[1]

ومن مقومات هذه الأساليب أنها قامت على الصدق قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً ﴾[النساء:87]، يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله حَدِيثاً﴾ :" استفهام على سبيل الانكار، والمقصود منه بيان أنه يجب كونه تعالى صادقا وأن الكذب والخلف في قوله محال".[2]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[النساء:122]، يقول ابن عاشور:" وَجُمْلَةُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ تَذْيِيلٌ لِلْوَعْدِ وَتَحْقِيقٌ لَهُ: أَيْ هَذَا مِنْ وَعْدِ اللَّهِ، وَوُعُودُ اللَّهِ وُعُودُ صِدْقٍ، إِذْ لَا أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا. فَالْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ لِأَنَّ التَّذْيِيلَ مِنْ أَصْنَافِ الِاعْتِرَاضِ وَهُوَ اعْتِرَاضٌ فِي آخِرِ الْكَلَامِ، وَانْتَصَبَ قِيلًا عَلَى تَمْيِيزِ نِسْبَةٍ مِنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ، وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ".[3]

وأنها قامت على الوضوح والإبانة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾ [النساء:174]، يقول الزمخشري:" البرهان والنور المبين: القرآن، أو أراد بالبرهان دين الحق، أو رسول الله –ﷺ–، وبالنور المبين: ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز، وَيَهْدِيهِمْ إلى عبادته".[4]

وقامت على اليسر والتيسير: قال تعالى:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:17] قال مجاهد:" ولقد سهَّلنا القرآن، بيَّناه وفصلناه للذكر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر ويتعظ، وهوّناه، وعن ابن زيد قال: يسَّرنا: بيَّنا، فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر، وعن قتادة قال: فهل من طالب خير يُعان عليه ".[5]

فمن الآيات الدالة على وسم منهج الدعوة للرسول –ﷺ–ما يأتي:

1– أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

---

1 – روح المعاني،487/1.

2 – التفسير الكبير ،5 / 320.

3 – التحرير والتنوير،207/5.

4 – الكشاف ،495/1.

5 – جامع البيان،584/22.

قال تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125]، وعلى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قامت الدعوة.

يقول أبو السعود:" ادْعُ فحذف المفعولُ للتعميم إشعاراً بأن عموم الدعوةِ غنيٌّ عن البيان، إلى سَبِيلِ رَبِّكَ، أي: إلى الإسلام الذي عبّر عنه تارةً بالصراط المستقيم، وأخرى بملة إبراهيمَ -عليه السلام- (الحنفية)، بالمقالة المحكمةِ الصحيحة، والدليلُ الموضحُ للحق المزيحُ للشبهة، والموعظة الحسنة، أي: الخطابياتِ المقنعةِ، والعِبر النافعةِ، على وجه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم، وتقصِد ما ينفعهم، وناظِرْ معانديهم بالتي هي أَحْسَنُ، أي: بالرفق واللينِ واختيار الوجهِ الأيسرِ، واستعمالِ المقدّمات المشهورةِ تسكيناً لشغَبهم وإطفاءً لِلَهبهم ".[1]

وفي قوله تعالى:﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:151] يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-:" الحكمة هي: القرآن، ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وقصصه وأمثاله". [2]

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:164]. قالا الحسن وقتادة:" يعني السنة، وقيل: الفهم والدين".[3]

لكن ابن القيم يعطي معنى أدق تقعيدًا وأكثر وضوحًا لمعنى الحكمة حينما ترد في كتاب الله، فيقول:" والحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة، ومقترنة بالكتاب؛ فالمفردة فسِّرت بالنبوة، وفسِّرت بعلم القرآن، وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة، كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة، وقيل: هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر ".[4]

ويقول الشعراوي:" الحق تبارك وتعالى لا يُوجّه هذا الأمر بالدعوة إلى رسوله -ﷺ-إلا وهو يعلم أنه سيُنفِّذ ما أُمِر به، وسيقوم بأمر الدعوة، ويتحمل مسئوليتها".[5]

يرى الباحث في سيرة نبينا -ﷺ-التطبيق الحي والشاهد الأمثل لحسن رعاية الحكمة، وقوة تأثيرها وعمق صداها.

وتتحقق الحكمة في علاج النفوس خاصة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال:" لي رسول الله -ﷺ-:" يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل فإن لجسدك عليك حظا ولعينك عليك حظا وإن لزوجك عليك حظا، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام

---

1 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،165/4.

2 - تفسير ابن كثير، 322/1.

3 - م ن، 303/1.

4 - مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكرٍ بْنُ أَيُّوبَ، المعروف: بابن قيم الجوزية، التفسير القيم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الهلال، ط:1، ت:1990م، بيروت. ص: 226- 227.

5 - تفسير الشعراوي،5072/1.

فذلك صوم الدهر"، قلت: يا رسول الله إن بي قوة، قال:" فصم صوم داود–عليه السلام–صوم يوما وأفطر يوما"، فكان يقول يا ليتني أخذت بالرخصة".[1]

وعن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –ﷺ–طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ –ﷺ–لَيْلَةً فَقَالَ:" أَلَا تُصَلِّيَانِ؟، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ:" وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا ".[2]

عن حفصة أم المؤمنين– رضي الله عنها – أن رسول الله –ﷺ–قال:" نعم الرجل عبد الله – أي ابن عمر – لو كان يصلي من الليل"، قال سالم فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا.[3]

2– الاقتصار على التبشير والإنذار:

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي توضح لنا اقتصار الرسول–ﷺ–على التبشير بالجنة والرضوان، والإنذار من النار والغضب، قال تعالى:﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:188]، يقول **القاسمي**(ت:1332هـ) في تفسيره لهذه الآية:" إِنْ أَنَاْ إِلاَّ عبد أرسلت نذيراً وبشيراً، وما من شأني أني أعلم الغيب".[4]

ويقول ابن عاشور:" وَزِيَادَةٌ مِنَ التَّعْلِيمِ لِلْأُمَّةِ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِيقَةِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَتَمْيِيزُ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهَا عَمَّا لَيْسَ مِنْهَا، وجملة إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ مِنْ تَمَامِ الْقَوْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَهِيَ مستأنفة استينافا بَيَانِيًّا، نَاشِئًا عَنِ التَّبَرُّؤِ مِنْ أَنْ يَمْلِكَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا لِأَنَّ السَّامِعِينَ يَتَوَهَّمُونَ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ أخص صِفَات النَّبِي فَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَتَعَجَّبُوا مِنْ نَفْيِهِ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الرِّسَالَةَ مُنْحَصِرَةٌ فِي النِّذَارَةِ عَلَى الْمَفَاسِدِ وَعَوَاقِبِهَا، وَالْبِشَارَةِ بِعَوَاقِبِ الِانْتِهَاءِ عَنْهَا وَاكْتِسَابِ الْخَيْرَاتِ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ وَصْفَ النَّذِيرِ عَلَى وَصْفِ الْبَشِيرِ، هُنَا: لِأَنَّ الْمَقَامَ خِطَابُ الْمُكَذِّبِينَ الْمُشْرِكِينَ، فَالنِّذَارَةُ أَعْلَقُ بِهِمْ مِنَ الْبِشَارَةِ".[5]

---

1 – صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهى عن صوم الدهر، 812/2، برقم:1159.

2 – صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب تحريض النبي –ﷺ–على صلاة الليل والنوافل، 50/2، برقم:1127.

3 – صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– باب من فضائل عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما –1927/4، برقم:2479.

4 – محاسن التأويل، 2919/7.

5 – التحرير والتنوير،206/9.

3-القول البليغ:

قال تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ [النساء:63]، إنه تعبير مصور، كأنما القول يودع مباشرة في الأنفس، ويستقر مباشرة في القلوب، وهو يرغبهم في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله-ﷺ-".[1]

يقول الشعراوي في تفسير قوله تعالى: { وَقُل لَّهُمْ في أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً:" أي أفضح لهم ما يسترون؛ كي يعرفوا أن الله مطلعك على ما في أنفسهم فيستحوا من فعلهم ولا يفعلوه ، قل لهم ذلك بدون أن تفضحهم أمام الناس؛ لأن عدم فضحهم أمام الناس يجعل فيهم شيئا من الحياء، وأيضاً لأن العظة تكون ذات أثر طيب إذا كان الواعظ في خلوة مع الموعوظ فيناجيه ولا يفضحه، ففضح الموعوظ أمام الناس ربما أثار فيه غريزة العناد ، لكن عندما تعظه في السرّ يعرف أنك لا تزال به رحيماً ، ولا تزال تعامله بالرفق والحسنى".[2]

والسؤال هل ينفع القول البليغ مع كل فرد؟، لماذا لم يقل الرسول-ﷺ-، للشاب، الذي يستأذن في الزنا، اتق الله؟ ولماذا لم يقل الرسول-ﷺ-، للأعرابي الذي ظن السوء بزوجته لما ولدت ولدًا يختلف لونه عن لون أبيه؟ لماذا لم يقل له اتق الله؟ فإنها أعراض محرمة، بل سلك مع هؤلاء المسلك العقلي، إنها الحكمة التي تقتضي التفريق بين الأشخاص، ففلان تناسبه المجادلة العقلية، وآخر القوة هي الأسلوب الأمثل، وثالث لا ينفع معه إلا أسلوب الترغيب والترهيب، وهذا هو مسلك الحكمة في الدعوة إلى الله، الموصل إلى أسمى وأنجح الغايات والمقاصد.

4-تخوَّله -ﷺ-الناس بالموعظة:

فإن كان الوقت وقت موعظة، تخوَّل -ﷺ-الناس بها، يقول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[الأعلى:9] يقول سيد قطب:" أي: فذكر حيثما وجدت فرصة للتذكير، ومنفذًا للقلوب، ووسيلة للبلاغ".[3]

عن جابر بن عبدالله-رضى الله عنهما- كُنَّا مع النبيّ -ﷺ -في غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ الأنْصَارِيُّ: يا لَلأَنْصَارِ، وَقالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ -ﷺ -:" ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ: دَعُوهَا، فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ فَسَمِعَهَا عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ فَقالَ: قدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِنْ

1- في ظلال القرآن،169/2.

2 - تفسير الشعراوي،1624/1.

3 - في ظلال القرآن، 6/ 3898

رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ. قالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ: دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ".[1]

يقول خليل أحمد السهار نفوري (ت:1346هـ):" وذلك درءًا منه -ﷺ-، للفتنة والضرر".[2]

ومن عجيب أمر الخلق، حرصه على هدايتهم، وإعراضهم عن ذلك، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:103]. وقال: ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [النحل:37].[3]

إنّ الدعوة بالموعظة الحسنة نوعٌ من أنواع التأثير الخطابي الذي يتمتّع بالأساليب المبنيّة على الخصائص التي تُحرّك العواطف وتمتص انفعالات المدعوّ، وتكمُن أهميّة ذلك في التوجيه نحو الطريق الصحيح والعمل الخيّر.[4]

5-المجادلة الحسنة:

فكما أن رسول الله -ﷺ-مأمور بالمجادلة الحسنة مع مخالفيه من الكفار، مأمور بحسن محاورة المؤمنين والمؤمنات أيضا، ومن المواقف التي سطرها القران مجادلة المرأة للرسول-ﷺ- قال تعالى:﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:1] يقول الزحيلي:" وقوله: {قَدْ} معناه: التوقع، لأن رسول الله -ﷺ- والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها، وينزل في ذلك ما يفرج عنها، وقوله: {سَمِعَ اللَّهُ} مجاز عن القبول والإجابة، لعلاقة السببية، أي قد قبل الله شكوى المرأة التي تراجعك الكلام أيها النبي في شأن زوجها الذي ظاهر منها، قائلا لها: "أنت على كظهر أمي" أي في الحرمة، وتشتكي إلى الله ما أغمها وأحزنها، والله يسمع ما تتراجعان به من الكلام، إن الله يسمع كل مسموع، ويبصر كل مبصر على أتم وجه وأكمله، ".[5]

---

1 – صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما ينهي عنه من دعوى الجاهلية، 1296/3، برقم:3330.

2 – خليل أحمد السهار نفوري، بذل المجهود ذل المجهود في حل سنن أبي داود، مركز أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ط:1، ت:2006م، الهند. 17/ 445.

3 – أضواء البيان:2 /375.

4 – عبد الرحمن الميداني، الحضارة الإسلامية، دار القلم، ط:1، ت:1998م، دمشق. ص: 353. بتصرّف.

5 – التفسير المنير،12/28.

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة بنت ثعلبة، تشكو إلى رسول الله –ﷺ–، وأنا في كسر البيت، يخفى علي بعض كلامها، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي ... ﴾ الآية.[1]

وكان–ﷺ– يدعو بالطريق المُوصِل إلى الله إيماناً به وتَقبُّلاً لمنهجه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108]، يقول الشعراوي:" وأعْلِنْ يا محمد أن هذه الدعوة التي جِئْتَ بها هي للإيمان بالله الواحد؛ وسبحانه لا ينتفع بالمنهج الذي نزل عليك لِيُطبِّقه العباد، بل فيه صلاح حياتهم، أي: أدعو بالطريق المُوصِل إلى الله إيماناً به وتَقبُّلاً لمنهجه، وطلباً لما عنده من جزاء الآخرة؛ وأنا على بصيرة مما أدعو إليه، والبصر كما نعلم للمُحسَّات، والبصيرة للمعنويات، والبصر الحسيُّ لا يُؤدِّي نفس عمل البصيرة؛ لأن البصيرة هي يقينٌ مصحوب بنور يُقنِع النفس البشرية، وإنْ لم تَكُنْ الأمور الظاهرة مُلجئة إلى الإقناع".[2]

إن الترغيب والترهيب يعتمد هذا الأسلوب على تشويق المدعوّ للثبات على الحقّ وقبوله بسهولةٍ ويُسرٍ؛ لنيل رحمة الله –تعالى– ورضاه، وهذا ما يُسمّى بالترغيب، وأمّا الترهيب هو تحذير المدعوّ من غضب الله –تعالى– وعقابه في الدّنيا والآخرة، ويكون هذا الأسلوب تابعاً للترغيب وليس قبله.[3]

---

1 – صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: { وكان الله سميعا بصيرا } [النساء: 134] 2689/6، برقم:6951.

2 – تفسير الشعراوي،4504/1.

3 – عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، صفحة 437. بتصرّف.

المبحث الثالث: توصيف أحوال النبي-ﷺ-مع المشركين:

لقد جهر النبي-ﷺ- بالدعوة، واستعلن بها هو وأصحابه، فلم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه، حتى عاب الهتهم، وسفّه أحلامهم، وبين لهم ما هم فيه من الضلالة والجهل والخرافات، فجاهروه وصحبه بالعداوة، وعزموا على مخالفته، عصبية وجهلا، ولمّا لم يمكنهم أن يقرعوا الحجة بالحجة، وأفحموا، لجأوا إلى السباب والشتم، والإيذاء، والتعذيب؛ ومن ثم بدأ دور المحنة والبلاء، وكان دورا طويلا شاقا أوذي فيه النبي -ﷺ-على الرغم من حدب عمه أبي طالب عليه، ومنعه له، وأوذي المسلمون غاية الإيذاء، ولا سيما الأعبد والضعفاء. [1]

يقول أمين الطاهر:" فما كان من قريش إلّا أن تصدّت لتلك الدعوة، وبدأت تُعارضها بكلّ ما تملكه من الأساليب؛ إذ لجأت إلى التهديد، والتخويف، والتذليل، وغيرها، ومع ذلك ثبت رسول الله -ﷺ-على دعوته". [2]

استعمل المشركون أشد الأساليب خسة ودناءة في الصد عن الدعوة، ومواجهة المسلمين، وذلك بمحاولة تشويه صاحب الدعوة النبي الكريم -ﷺ-، بأسلوب الأذى المعنوي من خلال: السخرية، والاستهزاء، والتشهير، والغمز واللمز، والاتهام بالسحر، والجنون، والشعر والكهانة، وأن النبي -ﷺ- يأتيه شيطان، والسب والشتم...وغير ذلك، حتى يصدوا الناس عنه، إذ إنه لا يجلس إليه أحد فيعرض عليه الإسلام ويقرأ القرآن على مسامعه إلا أخذ بلب جليسه وأسر قلبه فأراد المعاندون بإثارة هذه الشبهة أن يصدوا الناس عن الجلوس إليه وسماعه خاصة في المواسم التي يجتمع فيها الناس من أنحاء الجزيرة العربية.

اتهامه بأقبح الصفات:

لقد رموا النبي -ﷺ- بالجنون وفي ذلك قال تعالى:﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[الحجر:6] وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:51].

يقول الفخر الرازي:" أنهم كانوا يحكمون عليه بالجنون، لأنه كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا أنها جنون، ذكروه على سبيل الاستهزاء كما قال الله على لسان فرعون:﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الذي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[الشعراء:27].أنهم كانوا يستبعدون كونه رسولاً

---

1 – السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ص:291.

2 – أمين الظاهر، مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة، مجلة البيان، العدد:125، ت: مايو 1998م، الرياض. ص:14-16. بتصرّف.

حقاً من عند الله تعالى، فالرجل إذا سمع كلاماً مستبعداً من غيره فربما قال له هذا جنون وأنت مجنون لبعد ما يذكره من طريقة العقل".[1]

يقول أبو السعود:" قيلَ أنتَ بريءٌ من الجنونِ ملتبساً بنعمةِ الله التي هيَ النبوةُ والرياسةُ العامةُ والتعرضُ لوصفِ الربوبيةِ المنبئةِ عن التبليغِ إلى معارجِ الكمالِ مع الإضافةِ إلى ضميرِه –ﷺ–والإيذانِ بأنَّه تعالَى يُتمُّ نعمتَهُ عليهِ ويبلغُه من العلوِّ إلى غايةٍ لا غايةَ وراءَهَا والمرادُ تنزيهُهُ عمَّا كانُوا ينسبونَهُ –ﷺ–إليهِ من الجنونِ، حَسَداً وعداوةً ومكابرةً مع جزمِهِم بأنَّه عليهِ –ﷺ–في غايةِ الغاياتِ القاصيةِ ونهايةِ النهاياتِ النائيةِ من حَصانةِ العقلِ ورَزَانَةِ الرأيِ".[2]

وأحيانا يرمونه–ﷺ–بالسحر والكهانة وفي هذا قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:2]، وقال تعالى:﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان:8]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:4]، وقال تعالى:﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات:52]،

ولقد رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:184]، وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:29] وقوله تعالى:﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:22]،.

يقول ابن عطية:" هذا أمر لرسول الله –ﷺ–بالدعاء إلى الله ومتابعة نشر الرسالة، ثم قال مؤنساً له: فما أنت بإنعام الله عليك أو لطفه بك، بكاهن ولا مجنون، وكانت العرب قد عهدت ملابسة الجن والإنس بهذين الوجهين، فنسبت محمداً –ﷺ–إلى ذلك، فنفى الله تعالى عنه ذلك بقوله:﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:42]. ".[3]

ويقول الزحيلي:" كما كذبك قومك من العرب، ووصفوك بالسحر أو الجنون، كذلك فعلت الأمم المتقدمة التي كذبت رسلها، فهذا شأن الأمم في القديم، ولست أنت وحدك الذي كذّب. وهذا تسلية للرسول –ﷺ–عن إعراض قومه، وحمله على الصبر وتحمل الأذى". [4]

ويقول الشعراوي:" قالوا: ساحر، وعلى فرض أنه –ﷺ–ساحر، فلماذا لم يسحركم كما سَحَر المؤمنين به؟ إنه لَجَج الباطل وتخبّطه واضطرابه في المجابهة". [5]

---

1 – التفسير الكبير،282/9.

2 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 358/6.

3 – المحرر الوجيز، 217/6.

4 – التفسير المنير ،47/14..

5 – تفسير الشعراوي،639/1.

وكان بعض الكفار يقول: إن الذي يأتي محمدا شيطان لا ملك، عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ جُنْدَبًا يَقُولُ:" اشْتَكَى النبي –ﷺ–فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلاَّ قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: :﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى﴾ [الضُّحَى:1–3]". [1]

يقول جندب بن عبد الله:" أَبْطَأَ جِبْرِيلُ علَى رَسولِ اللهِ –ﷺ–، فَقالَ المُشْرِكُونَ: قدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ، فأنْزَلَ اللَّهُ الآية [2]

اشتكى النبي–ﷺ– فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتت امرأة فقالت، يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل (والضحى)، قيل: أن المرأة هي العوراء بنت حرب زوج أبي لهب، وهي حمالة الحطب. [3]

وقد كذب الله تعالى ظنهم وسفه منطقهم فقال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 212]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 27].

اتهامه بالكذب والافتراء:

فقد زعموا أنه أخذ الوحي من بشر وتعلمه من غلام أعجمي[4] كان يجلس إليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:103]، قال الشعراوي:" وفي هذه الآية اتهام آخر لرسول الله –ﷺ–وافتراء جديد عليه، لا يأنف القرآن من إذاعته، فمَنْ سمع الاتهام والافتراء يجب أن يسمع الجواب، فالقرآن يريد أنْ يفضحَ أمر هؤلاء، وأنْ يُظهِر إفلاس حُججهم وما هم فيه من تخبُّط".[5]

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:3]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الأحقاف:8].

---

1 – صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة الضحى، 462/16، برقم:4983.

2 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد، والسير باب ما لقى النبي–ﷺ– من أدى المشركين والمنافقين،1421/3، برقم:1797.

3 – علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، ط:2، ت:1992م، الدمام. ص:482. بتصرّف.

4 –قيل هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر كان نصرانيا فأسلم، وقال ابن إسحاق: هو جبر عبد بني الحضرمي، الجامع لأحكام القرآن،146/10.

5 – تفسير الشعراوي،5040/1.

يقول الفخر الرازي:" إن طوائف الكفار كانوا فرقاً كثيرين، فمنهم من ينكر نبوته لأنه كان ينكر رسالة البشر ويقول يجب أن يكون رسول الله من جنس الملائكة، ومنهم من يقول: إن محمداً يخبرنا بالحشر والنشر بعد الموت، وذلك محال، وكانوا يستدلون بامتناع الحشر والنشر على الطعن في رسالته، ومنهم من كان يشافهه بالسفاهة وذكر ما لا ينبغي من القول، وقيل: كانوا ينسبونه إلى الكذب والافتعال، وقوله تعالى:" لاَ يُكَذِّبُونَكَ" أي: لا يصادفونك كاذباً لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة".[1]

ويقول الزمخشري:" والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله، لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فهم لا يكذبونك في الحقيقة، لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق، وإنما يكذبون الله بجحود آياته، وعن ابن عباس –رضى الله عنهما– قال: كان رسول الله –ﷺ– يسمى الأمين، فعرفوا أنه لا يكذب في شيء، ولكنهم كانوا يجحدون، وكان أبو جهل يقول: ما نكذبك لأنك عندنا صادق، وإنما نكذب ما جئتنا به".[2]

وقال الطبري:" التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيري، قال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله عز وجل ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾". [الأنعام:33]، [3]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[الفرقان:4] وفي تفسير هذه الآية يقول أبو السعود:" ورُوي عن الكَلْبيّ ومُقاتلٍ أنَّ القائلَ هُو النَّضرُ بنُ الحارث، والجمعُ لمشايعةِ الباقين له في ذلك: ما هذا إلا كذبٌ اختلقَه محمد وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءاخَرُونَ، بأنْ يُلقوا إليه أخبار الأممِ الدَّارجةِ وهو يعبِّر عنها بعبارتِه، فَقَدْ جاءُوا ظُلْماً هائلاً عظيماً لا يُقادر قَدرُه حيث جعلُوا الحقَّ البحتَ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا من خلفِه إفكاً مُفترى أي: كذباً كبيراً لا يُبلغ غايتُه حيث نسبوا إليه –ﷺ–ما هو بريءٌ منه".[4]

وصفه بأنه شَاعِرٌ:

---

1 – التفسير الكبير،268/6.

2 – الكشاف،18/2.

3 – جامع البيان،3168/4.

4 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 84/5.

والشِّعرُ نَوعٌ مِنَ الكَلامِ المُنمَّقِ المَوْزونِ المُقَفَّى، يُؤثِّرُ في النُّفوسِ، بصوره التخيلية وايقاعاته الطربية، وحُكْمُه بحسَبِ ما فيه منَ المَعاني؛ فقدْ يكونُ شرًّا وسُوءًا فيُنْهى عنه، وقد يكونُ حِكْمةً وأخْلاقًا، فيُباحُ أو يُؤمَرُ به.

وقالوا عن النبي –ﷺ–: إنه مصاب بنوع من الجنون، فهو يتخيل المعاني، ثم يسوغها في كلمات بديعة رائعة كما يصوغ الشعراء، فهو شاعر وكلامه شعر.

قال تعالى:﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ [الْأَنْبِيَاء:3]. يقول ابن عاشور في شرح هذه الآية:" لفظ "بَلْ" الْأُولَى مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِضْرَابُ انْتِقَالٍ مِنْ حِكَايَةِ قَوْلِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، إِلَى حِكَايَةِ قَوْلٍ آخَرَ مِنْ أَقْوَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ زَعْمُهُمْ أَنَّ مَا يُخْبِرُ عَنْهُ وَيَحْكِيهِ هُوَ أَحْلَامٌ يَرَاهَا فَيَحْكِيهَا، فَضَمِيرُ قَالُوا لِجَمَاعَةِ الْمُشْرِكِينَ لَا لِخُصُوصِ الْقَائِلِينَ الْأَوَّلِينَ، بَلْ الثَّانِيَةُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَحْكِيِّ عَنْهُمْ وَهِيَ إِضْرَابُ انْتِقَالٍ فِيمَا يَصِفُونَ بِهِ الْقُرْآنَ، وَالْمَعْنَى: بَلِ افْتَرَاهُ وَاخْتَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَحْلَامٍ، أَيْ هُوَ كَلَامٌ مَكْذُوبٌ". [الأنبياء:5]. (1)

وفي موضع أخر قرنوا الشعر بالجنون، قال تعالى:﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:36] يقول الألوسي:" يعنون بذلك قاتلهم الله تعالى النبي –ﷺ–، وقد جمعوا بين إنكار الوحدانية وإنكار الرسالة، ووصفهم الشاعر بالمجنون قيل هذا تخليط وهذيان لأن الشعر يقتضي عقلاً تاماً به تنظم المعاني الغريبة وتصاغ في قوالب الألفاظ البديعة، نعم كل من الوصفين هذيان في حقه –ﷺ–".(2)

ويقول سيد طنطاوي ويأتي الرد من الله تعالى بقوله :﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾[يس:69]، أي: وما عَلَّمْنا الرسول –ﷺ–الشعر وإنما الذي علمناه إياه هو القرآن الكريم، فالقرآن ليس شعراً، فقد اقتضت حكمتنا أن لا نجعل الشعر في طبعه –ﷺ–ولا في سليقته، لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدحض، وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء من معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه". (3)

ويضيف قائلا:" فإن قيل: قوله:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب (أليس ذلك شعرا؟)

قلت: ما هو إلا كلام من جنس كلامه –ﷺ–الذى كان يرمى به على السليقة، من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك، ولا التفات منه إذا جاء موزونا، كما

---

1 – التحرير والتنوير،15/17.

2 – روح المعاني 108/12.

3 – التفسير الوسيط، 3551/1.

يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم، أشياء موزونة، ولا يسميها أحد شعرا، ولا يخطر ببال السامع ولا المتكلم أنها شعر".[1]

وليس نفي الشعر عن الرسول-ﷺ- بأنه قبيح أو حرام، بل كان -ﷺ-يُثْني على بَيتٍ قاله الشَّاعرُ المُخَضرَمُ الصَّحابيُّ لَبيدُ بنُ رَبيعةَ -رضي الله عنه-، ويُخبِرُ أنَّه أصدَقُ كَلمةٍ قالها شاعرٌ، عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول الله -ﷺ-يقول:" إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

ألا كل ألَا كُلُّ شَيءٍ ما خَلَا اللهَ باطلٌ (ما زاد على ذلك).[2]

ويقول الباحث: لكون الشعر من الخيال فلا يليق بالأنبياء الذين يحملون حقائق دينية لا تخييل فيها.

السخرية والشتم:

وكانوا يستهزؤون منه -ﷺ-ومن أصحابه الكرام -رضوان الله عليهم- فقال تعالى في وصف ذلك:﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين:29-31].

إن النبي -ﷺ-مرّ يوما بجماعة من صناديد قريش فتناولوه بالهمز، واللمز، والاستهزاء فغاظه ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام:10].

وكانوا يشتمون النبي -ﷺ-، ويسبونه، ويذمونه، فعن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها-، قالت:" لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:1] ، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة، وفي يدها فهر وهي تقول: مُذمما أبينا، ودينه قَلينا، وأمره عصينا، ولم يكن النبي -ﷺ- يعير لذمهم اهتماما، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-قال: قال رسول الله -ﷺ-:" ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟! يشتمون مذمما، ويلعنون مذمما، وأنا محمد".[3]

وفي قوله الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:95]، يقول الطاهر ابن عاشور:" وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُمْ بِوَصْفِ الْمُسْتَهْزِئِينَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ كَفَاهُ اسْتِهْزَاءُهُمْ وَهُوَ أَقَلُّ أَنْوَاعِ الْأَذَى، فَكِفَايَتُهُ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ الِاسْتِهْزَاءِ مِنَ الْأَذَى مَفْهُومٌ بِطَرِيقِ الْأَحْرَى، وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ بِ (إِنَّ) لِتَحْقِيقِهِ اهْتِمَامًا بِشَأْنِهِ لَا لِلشَّكِّ فِي تَحَقُّقِهِ. وَالتَّعْرِيفُ فِي الْمُسْتَهْزِئِينَ لِلْجِنْسِ فَيُفِيدُ الْعُمُومَ، أَيْ كَفَيْنَاك كل مستهزء، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُمْ بِهَذَا الْوَصْفِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ قُصَارَى مَا يُؤْذُونَهُ بِهِ الِاسْتِهْزَاءُ، فَقَدْ

---

1 - م ن، 3551/1.

2 -صحيح مسلم، كتاب الشعر، 1768/4، برقم: 2256.

3 - صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ- برقم:3340.

صَرَفَهُمُ اللَّهُ عَنْ أَنْ يُؤْذُوا النَّبِيءَ -ﷺ-بِغَيْرِ الِاسْتِهْزَاءِ. وَذَلِكَ لُطْفٌ مِنَ اللَّهِ بِرَسُولِهِ -ﷺ-. وأَنَّ الْمُرَادَ كَفَيْنَاكَ الِانْتِقَامَ مِنْهُمْ وَإِرَاحَتُكَ مِنَ اسْتِهْزَائِهِمْ".[1]

الأذى الجسدي:

لما لم تنجح أساليب المشركين السابقة في صد النبي -ﷺ- وأصحابه عن الإسلام، لجؤا إلى أسلوب الاعتداء، والتصفية الجسدية لإرهاب المسلمين، وثنيهم عن دينهم، وقد نال النبي -ﷺ-من ذلك النصيب الأوفى، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ-ﷺ- وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَال مستشهدا بقوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر:28]؟". أي: تُريدونَ قَتْلَه؛ لأنَّه دَعا إلى تَوحيدِ اللهِ تعالَى، وتَرْكِ عِبادةِ الأصْنامِ، وهو مُؤيَّدٌ بالآياتِ البيِّناتِ الدَّالَّةِ على أنَّه مُرسَلٌ مِن عندِ اللهِ".[2]

والباحث يرى في الحَديثِ: مَنقَبةٌ ظاهِرةٌ لأبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ -ﷺ-، حيث استدل بما حكاه الله عن رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ، في الآية.

وهذا تأكيد لقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

عن عبد الله بن مسعود -ﷺ-قال:" أن النبي -ﷺ-كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، وهو: عقبة بن أبي معيط، فضاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي-ﷺ-لله، وضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغني شيئا، لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض، أي: يتمايل بعضهم على بعض مرحا وبطرا، ورسول الله -ﷺ-ساجد، لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وقال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط- وعد السابع فلم يحفظه- فو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذي عدّ رسول الله -ﷺ-صرعى في القليب، قليب بدر ".[3]

---

1 - التحرير والتنوير،89/14.

2 - جامع الأحكام،247/15، ور: صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المؤمن (غافر)، 1814/4 برقم:4537.

3 - صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أدى المشركين، 1418/3، برقم:1794. ور: محمد الغزالي، فقه السيرة، ص:124. وأكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، 147/1-156. بتصرّف

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:" قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ في التُّرَابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:" لَوْ دَنَا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا". فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَه سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 9- 19]". [1]

وكانوا إذا رأوا رسول الله -ﷺ-همزوه ولمزوه، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، قال سفيان الثوري: يهمز بلسانه ويلمز بعينه، وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه، ويُشير برأسه، ويومض بعينه، ويرمز بحاجبه، واختلف المفسّرون فيمن نزلت هذه الآية، قال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي-ﷺ-، ويطعن في وجهه، وقال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق ووهب بن عمرو الثقفي وكان يقع في الناس ويغتابهم مقبلين ومدبرين، وقال محمد بن إسحاق بن يسار: ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أُميّة بن خلف الجمحي، وقال مجاهد وغيره : ليست بخاصّة لأحد ، بل كل من كانت هذه صفته.[2]

وكان الأخنس بن شريق الثقفي ممن ينال من رسول الله -ﷺ-، وقد وصفه القرآن بتسع صفات تدل على ما كان عليه، وهي في قوله تعالى:﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:10-15].

وكان أبو جهل يجيء أحيانا إلى رسول الله -ﷺ-يسمع منه القرآن، ثم يذهب عنه فلا يؤمن ولا يطيع، ولا يتأدب ولا يخشى، ويؤذي رسول الله -ﷺ-بالقول، ويصد عن سبيل الله، ثم يذهب مختالا بما يفعل، فخورا بما ارتكب من الشر، كأنما فعل شيئا يذكر، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: 31-35]. [3]

---

1 – صحيح مسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب: قوله" إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، 2154/4 برقم:2797.

2 – أحمد بن محمد النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:2002م، بيروت. 286/10. ور: ابن هشام، السيرة النبوية ،356/1-357.

3 – في ظلال القرآن، 408/7. ور: الرحيق المختوم، ص:77.

الترغيب والمساومة:

وبعد فشل أساليب التهديد والوعيد والتنكيل، وتزايد الداخلين في دين الإسلام، لجأت صناديد قريش إلى أسلوب الترغيب والمساومة، فحاولوا أن يجعلوا الإسلام يلتقي مع الجاهلية في منتصف الطريق، وذلك بأن يتنازل المشركون عن بعض ما هم عليه، ويترك النبي –ﷺ– بعض ما هو عليه، وقد عبر القرآن الكريم عن نفسية قريش في ذلك فقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:9]، يقول البغوي:" قال: الضحاك لو تكفر فيكفرون. وقال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك، وقال الحسن: لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وقال زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون. وقال ابن قتيبة: أرادوا أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة".[1]

فقطع القرآن رجاء المشركين، ورفض رفضا قاطعا التنازل عن مبادئه.

قال القرطبي: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ–كَانَ يطوف بِالْكَعْبَةِ فَاعْتَرَضَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ. وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ سَنَةً وَتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ سَنَةً فَنَشْتَرِكُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا نَعْبُدُ كُنَّا قد أَخذنَا بحظنا مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:1–6] ، فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ–إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِيهِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَيَئِسُوا مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ".[2]

يقول ابن عاشور:" وَإِنَّمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا حِرْصَهُ عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا فطمعوا أَن يستنزلوه إِلَى الِاعْتِرَافِ بِإِلَهِيَّةِ أَصْنَامِهِمْ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَيَئِسُوا مِنْهُ وَآذَوْهُ وَآذَوْا أَصْحَابَهُ.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ الْغَرَضُ الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ تَأْيِيسُهُمْ مِنْ أَنْ يُوَافِقَهُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِالْقَوْلِ الْفَصْلِ الْمُؤَكَّدِ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ لَا يُخَالِطُ شَيْئًا مِنْ دين الشّرك".[3]

وقد أراد المشركون أن يساوموا النبي–ﷺ–من خلال عمه أبي طالب، فاقترحوا عليه أن يعطوه أجمل شباب مكة آنذاك وهو عمارة بن الوليد بن المغيرة بدلا عن محمد–ﷺ– فيأخذوه ويقتلوه.[4]

---

1 – معالم التنزيل،192/8.

2 – الجامع لأحكام، 177/20.

3 – التحرير والتنوير،580/30.

4 – سيرة ابن هشام،330/1.

ولما فشلوا في ذلك، أرادوا أن يساوموه بالمال والجاه والملك عليهم، جاء وفدهم إلى عمه أبي طالب، وسمع منهم ما قالوا، فقال لمحمد –ﷺ–:" يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا إليك ليعطوك، وليأخذوا منك، فقال رسول الله –ﷺ–: نعم: كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم "، فقال أبو جهل: نعم وأبيك عشر كلمات، قال: تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلها واحدا؟ إن أمرك لعجب، ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئًا مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، قال: ثم تفرقوا، فأنزل الله فيهم قوله: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص:4–8].[1]

ورأت قريش– وقد عزّ عليها أن يكف النبي عما يقول بالإيذاء والفتنة والسعي إلى عمه أبي طالب، بل والإيذان بالحرب والمنابذة– أن تلجأ إلى سياسة الملاينة، والإغراء بالمال، أو الجاه، أو الملك والسلطان ظنا منهم أنه ربما يغريه بريق هذه العروض.

فقد فوضوا عتبة بن ربيعة في حسم الأمر، والاتفاق مع محمد–ﷺ–على أي أمر يحب. وقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله –ﷺ–فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكانة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به الهتهم ودينهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.[2]

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله –ﷺ–يستمع منه، وما ناقشها رسول الله –ﷺ–ولا جادله فيها، ولكن قال له:" أقد فرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم، قال:" فاسمع مني" قال: أفعل، فتلا رسول الله –ﷺ–عليه من قوله تعالى:﴿حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ وألقى عتبة بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليها ليسمع منه، حتى انتهى رسول الله –ﷺ–إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ

---

1 – سيرة ابن هشام، 417/1، ور: الروض الأنف، 223/2.

2 –سيرة ابن هشام،206/1.

أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:1-13]، أمسك عتبة بفيه، وناشده الله والرحم أن يكف عنه!، فقال رسول الله-ﷺ-:" قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك".[1]

وقام عتبة، وقد تغيرت معالم وجدانه وتقاسيم وجهه، وقال فيه قومه لما رأوه من بعيد: "نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.[2]

التآمر على قتله -ﷺ-:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:30]، يقول محمد أبو شُهبة:" قد يقول قائل: ما بال الترتيب في الآية لم يجئ على حسب الواقع، ولم توسط القتل مع أنه كان في المشاورة آخرا؟ والجواب: أن هذا من عجيب أسلوب القرآن، وبديع طريقته، ذلك لأن الرأي الذي اختاروه هو القتل، فجاءت الآية على هذا البديع من توسيط القتل بين الحبس والإخراج، لتدل الآية على الرأي الوسط المختار". [3]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، واجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة، ليتشاوروا في أمر رسول الله -ﷺ-، فقال بعضهم: إذا أصبح، فأثبتوه بالوثاق، وقال بعضهم: بل أخرجوه، وقال بعضهم: بل اقتلوه، فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له، فأتى جبريل-عليه السلام-النبي -ﷺ-وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول الله -ﷺ- علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- أن ينام في مضجعه وقال له:" تسج ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه".[4]

وعلى هذا؛ فالنبي -ﷺ-علم أن عليا لن يقتل، وكان ذلك كله بتدبير الله تعالى لنبيه -ﷺ-، قد فشلت قريش في خطتها فشلًا ذريعًا؛ إذ خرج رسول الله -ﷺ-من البيت، واخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رءوسهم، وقد أخذ الله أبصارهم عنه، وكان -ﷺ- يتلو قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [يس:8-9]، فما رأوه، وخرج سالما -ﷺ-.[5]

---

1 - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، 307/1.

2 - إسماعيل بن عمر ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة، ط:2، ت:1976م، بيروت، 504/1.

3 - السيرة النبوية في ضوء القرآن، 473/1.

4 -سيرة ابن هشام،480/1. ور: الرحيق المختوم، ص:152.

5 - الرحيق المختوم، 155.

ويصف الحق الحالة التي كان رسول الله-ﷺ-عليها، بقوله تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40]، وفي تفسير هذه الآية يقول أبو السعود:" إن لم تنصُروه فسينصُره الله الذي قد نصره في وقت ضرورةٍ أشدَّ من هذه المرة، وقت أَخْرَجَهُ الذين كَفَرُواْ، أي: تسببوا لخروجه حيث أُذن له -ﷺ-في ذلك حين همّوا بإخراجه إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا، بالعون والعصمةِ والمرادُ بالمعية الولايةُ الدائمةُ التي لا تحوم حول صاحبِها شائبةُ شيءٍ من الحزن، ".[1]

1 – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ،168/3.

الفصل الخامس: توصيف رسول الله-ﷺ- في جهاده:

المبحث الأول: هديه-ﷺ- في الجهاد:

إن حرب النبي -ﷺ-، كانت حرب فاضلة فيها الرفق وفيها الفضيلة، وإن اشتجرت السيوف، وتلاقى الناس بالحتوف، فهي تعلم الناس كيف تكون الفضيلة، والسيوف تقطر دما، وكيف تكون المرحمة في الحرب، وهى في أصلها أمر مكروه في ذاته، فإذا دخلتها الرحمة، فإنها تكون كالنسيم العليل في الحر اللافح، وكالظل في الحرور.

الفضيلة في الحرب:

يقول محمد أبوزهرة:" إن الرحمة من الفضائل الإنسانية العالية، ورحمة الإسلام ليست انفعالا نفسيا وقتيا، ولا شفقة أو رأفة شخصية تكون على الفاضل والآثم، والبر والفاجر، بل إن رحمة الإسلام هي الرحمة بالعامة، فالحرب الإسلامية شرعتها الرحمة، وأظلتها الرحمة، وأنهتها الرحمة، فإن من الرحمة بالناس أن تقطع عناصر الفساد، وأن يرد الاعتداء بقطع عناصره لسلامة الناس، وأن يعيشوا آمنين فالباعث عليها. كما نص القرآن الكريم رد الاعتداء على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190] وقال تعالى:﴿وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:193]، وبين سبحانه أن يعامل المعتدون بمثل اعتدائهم، قال تعالى:﴿ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:194]". [1]

نجد من هذه النصوص أن ابتداء الاعتداء كان من المشركين، على الحرية الدينية وفتنة المؤمنين في عقائدهم ليحملوهم على تركها.

قد بدأت خطوات رسول الله-ﷺ- القتالية، المستلهمة من القرآن الكريم دليلها النظري، ملاءمة شديدة الذكاء بين قوة المسلمين المتنامية وبين قوة الحركة القتالية، فلم يحمل المجتمع الإسلامي أكثر من طاقته، لأن ذلك قد يؤدي إلى انتكاسات بالغة، فكانت الخطوة القتالية بمستوى القدرة، فكان القتال الأول صدا حازما للمعتدين على الإسلام. [2]

ويعلل مصطفى السباعي أسباب حرب الرسول-ﷺ-فيقول:" وتاريخ الرسول في حروبه أوضح دليل على المعنى النبيل الذي خاض من أجله رسول الله -ﷺ-حروبه ومعاركه، فما أعلن الرسول -ﷺ-الحرب إلا بعد أن اضطهد هو وجماعته في عقيدتهم، وأخرجوا من أوطانهم، فجاءت معركة بدر وما تلاها من معاركه في سبيل الحرية الدينية، وإقرار السلام والأمن في ربوع

---

1 - خاتم النبيين،2/513-514.

2 - عزيز السيد جاسم، محمد الحقيقة العظمى، دار الاندلس، ط:1، ت:1987م، بيروت. ص:218-219.

الجزيرة العربية، ذلك السلام الذي حاربه الوثنيون من العرب، فأحالوا بطاح مكة ورمالها إلى ميادين لتذبيح المؤمنين وتعذيبهم ومطاردتهم في أرزاقهم وأوطانهم وأموالهم".[1]

ويضيف قائلا:" ما كاد يستقر النبي–ﷺ–في المدينة حتى بدأت المعارك الحربية بينه وبين قريش ومن والاها من قبائل العرب، وقد اصطلح المؤرخون والمسلمون على أن يسموا كل معركة بين المسلمين والمشركين وحضرها النبي بنفسه –ﷺ–«غزوة» وكل مناوشة حصلت بين الفريقين ولم يحضرها الرسول– ﷺ–«سرية» وقد بلغ عدد غزوات الرسول ﷺ ستا وعشرين غزوة، وبلغ عدد سراياه ثماني وثلاثين سرية".[2]

وقد ثبت أن النبي– ﷺ–غزا تسع عشرة غزوة، قاتل في ثمان منهن.[3]

وذكر النووي وغيره أنه كان عدد سراياه– ﷺ–التي بعثها ستًّا وخمسين سرية، وسبعًا وعشرين غزوة، وقاتل في تسع غزواته وهي: بدر، وأحد، والخندق، وبنو قريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. [4]

يقول البوطي:" هي غزوات دفاعية فعلا، فكل منها ردّ على مؤامرة أو عدوان بدأ به المشركون، ولذلك فهي إنما تمثل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية في عصره– ﷺ–، وليست تعبيرا عن الحكم الذي استقر على أساسه الجهاد في الإسلام، إنها ليست إلا دورا من أدوار الدعوة".[5]

الأخذ بأسباب القوة:

كان يهيئ للحرب عدته؛ فيتحصن بالدرع، والخوذة، ويتقلد السيف، ويحمل الرمح والقوس، ويترس بالترس، وهذا بعد توكله على الله.[6] وذلك امتثالا لقوله تعالى:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:60]،

يعني: أن الآية الكريمة تشير إلى أن القوة هي في الرمي؛ لأنه أنكى، وأبعد عن خطر العدو، وكان الرمي وقت نزول الآية الكريمة بالسهام، ولكن الآية بإعجازها أطلقت القوة؛ لتكون قوة كل زمان ومكان، وكذلك الحديث الشريف جاء إعجازه العلمي بإطلاق الرمي، الذي يشتمل الرمي بأنواعه، وأن يفسر بكل رمي يتجدد وبأي سلاح يحدث.

---

1 – مصطفى السباعي، السيرة النبوية، ص:79.

2 – م ن، ص:79

3 – مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي – ﷺ – 1448/3، برقم:1814.

4 – المنهاج شرح صحيح مسلم ،234/6.

5 – البوطي، فقه السيرة، ص:167.

6 –زاد المعاد،99/3.

يقول البغوي في تفسيره:" أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاك".[1]

عن عقبة بن عامر –ﷺ– أنه سمع النبي–ﷺ–وهو على المنبر يقول:" ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي".[2]

يقول مهدي رزق الله أحمد:" وعندما أذن الله لنبيه والمؤمنين بالقتال، أخذوا في إعداد القوة لرد عدوان قريش، ومن على شاكلتها، فلما أرادت قريش أن تري المسلمين أن لها يدا في داخل المدينة، أراد المسلمون أن يروا قريشا أن المسلمين ليسوا بذلك الهوان الذي تتصور قريش، وأنهم قادرون على كسر شوكة قريش وحصارها سياسيا واقتصاديا ورد حقوقهم المسلوبة".[3]

ومما يدل على القوة البدنية عند رسول الله–ﷺ–في المسير إلى غزوة بدر قطع النبي –ﷺ–المسافات الطويلة مشياً على قدميه، ولما عرض عليه صاحباه أن يعفياه من نوبته في المشي وقالا له: نحن نمشي عنك، رفض –ﷺ–وقال لهما:" ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما"، بل ورقَّ لمنظرهم وهم يتعاقبون على البعير الواحد، ويتساقطون من التعب.[4]

وما الأصل في مشروعية الاضطباع والرمل: إلا أن المشركين قالوا قبل دخول النبي وأصحابه مكة في عمرة القضاء سنة سبع .: إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وَهَنَتْهُم الْحُمَّى، ولقوا منها شدّة، فجلسوا مما يلي الحِجْ، وأمر النبي–ﷺ–أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جَلَدَهم، وكان من أجل إظهار القوة، وإحباط فكرة المشركين.

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قدم رسول الله –ﷺ–وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهنهم حمى يثرب فأمرهم النبي–ﷺ–أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم".[5]

ومن اظهار القوة أمر النبي كتائب جيش المسلمين بـ"مرّ الظهران" متوجها إلى مكة، أن يمر على أبي سفيان الواحدة تلو الأخرى مما أثار الرعب في نفسه، فاقتنع بأن خسارة قريش ستكون محققة إن هي حاولت منع المسلمين من دخول مكة.

---

1 – معالم التنزيل، 371/3.

2 – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، 1522/3، برقم:1917.

3 – مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط:1، ت:1992م، الرياض. ص: 325.

4 – الحديث سبق تخريجه في مبحث توصيف أخلاقه، أنظر ص:73 من هذا البحث، طبقات ابن سعد،12/2. ور: محمد آل عابد، حديث القران عن غزوات الرسول–ﷺ–، ط:1، ت:1993م، بيروت. 31/1.

5 – صحيح البخاري كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل، 581/2، برقم:1525.

تشجيع المؤمنين على القتال:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال:65]

قال ابن عطية في تفسير هذه الآية:" قوله {حرض} معناه حثهم وحضهم، والحارض الذي هو القريب من الهلاك، وقالت فرقة من المفسرين: المعنى حرض على القتال حتى يبين لك فيمن تركه أنه حرض، و{القتال} مفترض على المؤمنين بغير هذه الآية، وإنما تضمنت هذه الآية أمر النبي-ﷺ -، بتحريضهم على أمر قد وجب عليهم من غير هذا الموضع".[1]

كان-ﷺ-يحمس أصحابه -رضوان الله عنهم- من منطلق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:24]. عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله-ﷺ-:" عليكم بالجهاد في سبيلِ اللهِ، فإنه بابٌ من أبوابِ الجنَّةِ، يُذهِبُ اللهُ به الهمَّ والغمَّ". [2]

عن أنس بن مالك قال:" فَانْطَلَقَ رَسولُ اللهِ -ﷺ-وَأَصْحَابُهُ حتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إلى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ -ﷺ-: لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنكُم إلى شيءٍ حتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ -ﷺ-: قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، قالَ: يقولُ عُمَيْرُ بنُ الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ: يا رَسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقالَ رَسولُ اللهِ -ﷺ-: ما يَحْمِلُكَ علَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قالَ: لا وَاللَّهِ يا رَسولَ اللهِ، إلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِن أَهْلِهَا، قالَ: فإنَّكَ مِن أَهْلِهَا، فأخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِن قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ منهنَّ، ثُمَّ قالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حتَّى آكُلَ تَمَرَاتي هذِه إنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قالَ: فَرَمَى بما كانَ معهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حتَّى قُتِلَ".[3]

وكان النبي-ﷺ-يحمس المسلمين، وينفخ فيهم من روحه وقوة إيمانه، ويحثهم على الصبر والثبات في هذه المواطن، وابتدع طريقة تثير الحمية، وتدعو إلى الاستبسال في القتال، عن أنس أن رسول الله -ﷺ-أخذ سيفا يوم أحد فقال:" من يأخذ منى هذا"، فبسطوا أيديهم كل

---

1 – المحرر الوجيز،207/3.

2 – الْمُسْتَدْرَك على الصحيحين، كتاب الجهاد،84/2، برقم:2404. صحيح ، ر: الألباني، السلسلة الصحيحة، برقم:1941.

3 – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، 1510/3، برقم:1901. ور: حديث القرآن عن غزوات الرسول،48/1.

إنسان منهم يقول أنا أنا، قال:" فمن يأخذه بحقه"، قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين".[1]

عن أنس–ﷺ–يقول:" خرج رسول الله –ﷺ–إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:" اللهم إن العيش عيش الآخرة. فاغفر للأنصار والمهاجرة، فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا".**[2]

عن عبد الله بن أبي أوفى –رضي الله عنهما– أن رسول الله –ﷺ–قال:" أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".[3]

وصايا الرسول–ﷺ– في الحرب:

إن المتأمل لحروب رسول الله–ﷺ–مع أعدائه سواء من المشركين، أو اليهود، أو النصارى، ليجِد حُسن خُلق رسول الله–ﷺ–مع كل هؤلاء الذين أذاقوه ويلات الظلم والحيف والبطش، إلاّ أنه كان يعاملهم بعكس معاملاتهم له.

فإذا تأمّلْنا وصية رسول الله–ﷺ–لأصحابه المجاهدين الذين خرجوا لرد العدوان نجد في جنباتها كمال الأخلاق ونُبل المقصد، كان منبها ومحذرا من عواقب التنازع والاختلاف، وما تفضى إليه من الفشل، وذهب الريح، وتسلط الأعداء، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:46]، كما حذرهم من البطر والكبر، وهو الزهو والرياء، وذلك لقوله تعالى:﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[الأنفال:47].[4]

وعن عبد الله بن عباس–رضى الله عنهما– كان رسولُ اللهِ –ﷺ– إذا بعَث سَريَّةً قال:" اغزُوا بِسمِ اللهِ وفي سبيلِ اللهِ فقاتِلوا مَن كفَر باللهِ لا تغُلُّوا ولا تغدِروا ولا تُمثِّلوا ولا تقتُلوا وليدًا ولا امرأةً ولا شيخًا فانِيًا، ولا مُنْعزِلاً بِصوْمعةٍ".[5]

---

1 – م ن، كتاب فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم– باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة –ﷺ– 1917/4، برقم":2470. ور: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ،191/2.

2 – صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب التحريض على القتال، 1043/3، برقم:2679

3 – م ن، كتاب الجهاد، باب الجنة تحت بارقة السيوف، 1037/3، برقم: 2663

4 – منهج النبي في الدعوة، ص:207.

5 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير: باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها،1357/3، برقم:1731. بتصرف.

وكذلك كانَ رسول الله –ﷺ–يفعل بنفسه؛ فَكَانَ يَنْهَى عَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمُقَاتِلَةِ، فَمَنْ رَآهُ أَنْبَتَ قَتَلَهُ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ اسْتَحْيَاهُ.[1]

كما كان–ﷺ–يوصي بالنساء وينهى عن قتلهن، عَنْ ابن عمر–رضي الله عنهما–:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–ﷺ–رَأَى فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ امْرَأَةً مَقْتُولَةً؛ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، وَنَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ".[2]

وَعَنْ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ:" كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ–ﷺ–فِي غَزْوَةٍ، فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ؛ فَبَعَثَ رَجُلاً فَقَالَ: انْظُرْ: عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ فَجَاءَ؛ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ؛ فَقَالَ –ﷺ–: مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ، قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خالد بن الوليد –ﷺ–؛ فَبَعَثَ رَجُلاً فَقَالَ:" قُلْ لِخَالِدٍ: لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا عَسِيفًا".[3]

يقول الصالحي الشامي(ت:942):" لم تكن حالات الحرب والقتال لتُخرِجَ النبي–ﷺ–عن أخلاقه السامية، وعن رحمته–ﷺ–التي يَتَحَلَّى بها حَالَ السَّلْم؛ لذا فقد كان يرحم الغِلمان وصغار السن الذين لا يملكون أمرهم، ويأتون للحرب ضد المسلمين، أو لمعاونة سادتهم، رغم أن تلك المساعدة هي من صميم أعمال الحرب، لكنه –ﷺ–كان يرحم طفولتهم؛ ففي أحداث غزوة بدر أن رسول الله –ﷺ–عاتبَ صحابته الكرام لأجل غلامين من سقاة قريش، وأنكرَ عليهم ضربهما؛ ثم خاطب–ﷺ–الغلامين بلينٍ ورفقٍ قائلاً لهما: أخبراني عن قريش؟"، بَلْ إنّه لم يتخذهما أسيرين مع أن الحرب على الأبواب، ومع أنهما قد يحملان بعض الأخبار إلى العدو، ولكنَّه رَحِمَ صِغَرَ سِنِّهِمَا وضَعْفِهِمَا".[4]

وتتجلى رحمته–ﷺ–مع الصبيان؛ رغم أنهما يُقَاتلان بالفعل، إلا أنهما غير بَالِغِينَ؛ وبالتّالي غير مكلَّفين، ومدفوعين بغيرهم؛ فلذلك رَحِمَهُمْا.

تقدير ظروف الجند والإذن بالانصراف عند الحاجة:

كان الصحابة –رضي الله عنهم– على قدر كبير من الأدب مع النبي–ﷺ–فكانوا يستأذنونه في الانصراف إذا عرضت لهم ضرورة، فيذهبون لقضاء حوائجهم، ثم يرجعون إلى ما كانوا فيه من العمل، رغبة في الخير واحتسابًا له، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا

---

1 – زاد المعاد، 90/3.

2 – البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، 1098/3، برقم:2852، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب،1364/3، برقم:1744.

3 – السنن الكبرى لأبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، 6/3، برقم: 2669. الحديث حسنه الألباني، في إرواء الغليل،35/5.

4 – الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1993م، بيروت.27/4.

بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 62]، يقول الصابوني:" ومعنى الآية الكريمة: إذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لقضاء بعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها، واستغفر لهم".[1]

يقول ابن العربي:" فكان النبي-ﷺ- بالخيار، إن شاء أذن له إذا رأى ذلك ضرورة للمستأذن، ولم ير فيه مضرة على الجماعة، فكان يأذن أو يمنع حسب ما تقتضيه المصلحة ويقتضيه مقام الحال".[2]

رعايته-ﷺ- لأسر المجاهدين وأبناء الشهداء:

ومن منطلق قوله تعالى:﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب:6] كان اهتمام الرسول-ﷺ-بأبناء الشهداء، عن جابر بن عبد الله:" جاءتِ امرأةُ سعدِ بنِ أبي الرَّبيعِ بابنتيْها من سعدٍ إلى رسولِ اللَّهِ -ﷺ- فقالت: يا رسولَ اللَّهِ هاتانِ ابنتا سعدِ بنِ الرَّبيعِ قُتِلَ أبوهما معَكَ يومَ أحدٍ شَهيدًا وإنَّ عمَّهما أخذَ مالَهما فلم يدَع لَهما مالاً ولاَ تُنْكحانِ إلاَّ ولَهما مالٌ، قالَ يقضي اللَّهُ في ذلِكَ فنزلت آيةُ الميراثِ، فبعثَ رسولُ اللَّهِ-ﷺ-إلى عمِّهما فقالَ أعطِ ابنتي سعدٍ الثُّلثينِ وأعطِ أمَّها الثُّمُنَ وما بقي فَهوَ لَكَ".[3]

وكان الرسول -ﷺ- يحرص على راحة جنوده النفسية، وذلك باطمئنانهم على عائلاتهم أثناء خروج الجنود للقتال، فكان يربي وينصح ويُعلِّم أمته أن ترعى أسر المجاهدين، عن زيد بن خالد قال: يقول رسول الله -ﷺ-:" مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَ، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا".[4]

بل كان يتفقد بنفسه شؤون أقارب الشهداء والمجاهدين، ليشعر المجاهد أنه إذا مات فهناك من يهتم بعائلته ويرعاه، ومن ذلك ما رواه أنس -رضي الله عنه-من أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-لَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ بَيْتًا بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ إلا عَلَى أَزْوَاجِهِ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ: "إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي".[5]

---

1 – الصابوني، صفوة التفاسير،2/ 351. ابن هشام، السيرة النبوية، 214/3.

2 – أبوبكر محمد المعروف بـ (ابن العربي)، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط:1، ت: 2008م، القاهرة.1410/3.

3 – الترمذي، سنن الجامع الصحيح، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات، 414/4، برقم:2092. صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه

4 – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جَهَّزَ غازيًا أو خلفه بخير 1045/3، برقم:2688.

5 – م ن، 1046/3، برقم:2689.

معاملته- ﷺ -للأسرى:

وقد لخص ابن قيم الجوزية الكلام في هديه-ﷺ-في الأسرى فقال:" وكان يمن على بعضهم، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة، ففادى أسارى بدر بمال، وقال لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له، وهبط عليه-ﷺ- في صلح الحديبية سبعون متسلحون يريدون غرته، فأسرهم، ثم من عليهم، وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة، ثم أطلقه فأسلم".[1]

وكان رسول الله-ﷺ-يقوم بشئونهم بنفسه، ويتعهدهم ويرفق بهم، فكانت رحمته أسبق من غضبه، وحلمه وعفوه ورفقه أسبق من انتقامه؛ ذكر ابن كثير أنّ رسول الله -ﷺ-أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، عن أبي عَزِيزِ بن عُمَيْرٍ أَخِي مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ قال كنت في الأُسَارَى يوم بَدْرٍ فقال رسول اللَّهِ -ﷺ-:" اسْتَوْصُوا بِالأَسَارَى خَيْرًا"، وَكُنْتُ في نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَكَانُوا إذا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ أكلوا التَّمْرَ واطعموني الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ رسول اللَّهِ -ﷺ-إِيَّاهُمْ".[2] وذلك امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾[الإنسان:8].

لقد عاتب الله رسوله-ﷺ-في الأسرى بقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:67].[3]

الكرامة الإنسانية في أعقاب المعركة:

قلنا إن حرب الإسلام هي حرب الفضيلة لا تباح فيها المثلة تكريما للإنسان، لذا فقد نهى الرسول-ﷺ-عن المُثْلَة؛ فعن عبد الله بن زيد -ﷺ-قال: "نهى النبي-ﷺ-عن النُّهْبَى، والمُثْلَة".[4]

كان رسول الله-ﷺ- إِذَا أَمَّرَ أمير على جيش أو سرية، أوصاه، عَنْ سليمان ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:" إِذَا أَمَّرَ أمير على جيش أو سرية، أوصاه خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خيرا، ثم قال:" اغزوا باسم الله. وفي سَبِيلِ اللَّهِ. قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ. اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا".[5]

---

1 – زاد المعاد 66/2.

2 – الطبراني، المعجم الكبير، (من يُكَنَّى أَبَا عَزِيزٍ)،393/22.

3 – سبق الحديث عن ذلك في فصل عتاب الرسول-ﷺ-من هذه الأطروحة.

4 – البخاري: كتاب المظالم، باب النهي من غير إذن صاحبه،875/2، برقم:2342. النُّهْبَى هي: أخذ أموال الناس بغير رضاهم اعتماد على القوة والقهر والظلم والاعتداء بدون وجه حق.

5 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام،1357/3، برقم:1731، ابن هشام: السيرة النبوية 486/4.

ولا يترك فيها أشلاء الإنسان تنهشها الذئاب والغربان، بل إنها تدفن تكريما للإنسان، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]، وإن النبي –ﷺ–كرم الإنسان حيا وميتا، والقتل في الميدان عند الاعتداء، لا يتنافى مع تكريم الإنسان، لأنه العدل، والعدل فيه تكريم الإنسانية دائما، ففيه تكريم الإنسان الفاضل بأخذ الحق له، وتقويم الفاسد بأخذ العدل منه.

ومن هذا المبدأ السامي لم يترك النبي –ﷺ–قتلى بدر من المشركين تنوش جثثهم سباع الحيوان، ولا تنقرها الغربان جيفا ملقاة في الأرض، بل قد جاء– ﷺ– إلى حيث القتلى من قريش في هذه المعركة المباركة فدفنهم في القليب، وهو بئر جافة، وعن عائشة– رضى الله عنها– قالت:" أمر رسول الله –ﷺ–بالقليب فطرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه، فملأها، فذهبوا ليخرجوه فتزايل لحمه. فأقره، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة. وهكذا، فعل ليوارى سوآتهم، وليحمى أجسامهم من سباع البهائم، وسباع الطير.[1]

وكل هذه المعاني داخلة في النهي عن الاعتداء في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190].

عدم الإكراه على الإسلام:

إن الإجبار لا فائدة من ورائه؛ إذ التدين إذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره عليه الإنسان إزداد كرهاً له ونفوراً منه. فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر.[2]

ومن عظمة أخلاقه–ﷺ–في الحروب أنه لم يفكّر –ولو لمرة واحدة– في حياته، على إكراه أحد على الإسلام، ممتثلا لقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:256].

يقول الشعراوي:" ومعنى هذه الآية أن الله لم يكره خلقه وهو خالقهم على دين، وكان من الممكن أن الله يقهر الإنسان المختار، كما قهر السماوات والأرض والحيوان والنبات والجماد، ولا أحد يستطيع أن يعصى أمره، فيقول سبحانه: ﴿ لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [الرعد:31]، لكن الحق يريد أن يعلم من يأتيه محباً مختاراً وليس مقهوراً ، أن المجيء قهراً يثبت له القدرة ، ولا يثبت له المحبوبية، لكن من يذهب له طواعية وهو قادر ألا يذهب فهذا دليل على الحب".[3]

---

1 – خاتم النبيين،566/2.

2 – التفسير الوسيط،473/1.

3 – تفسير الشعراوي،708/1.

ويقول وهبة الزحيلي:" أنّ كل إنسان مسؤول عمّا يختاره ويعتقده، حيث أنّه لا إكراه وإجبار في الدين فهو يقوم على أساس الحرية، والقناعة، والاختيار، كما أنّه حريّ بالإنسان ترك غيره فيما يختاره ويعتقده ويؤمن به، ومن الآيات القرآنية التي تُقرّ هذا المعنى قول الله تعالى:﴿ وَإِن كَذَّبوكَ فَقُل لي عَمَلي وَلَكُم عَمَلُكُم أَنتُم بَريئونَ مِمّا أَعمَلُ وَأَنا بَريءٌ مِمّا تَعمَلونَ﴾ [يونس:41]،

وليست السورة منسوخة بآية القتال، والمحققون على أنه لا نسخ؛ بل المراد التهديد، لا الرضا بدين الآخرين".[1]

وصيته بعدم الاستعانة بالمشركين:

وتطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود:113] يقول الألوسي في تفسير هذه الآية:" أي لا تميلوا إليهم أدنى ميل، والمراد بهم المشركون كما روي ذلك ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، وفسر الميل بميل القلب إليهم بالمحبة، وقد يفسر بما هو أعم من ذلك".[2]

يقول محمد عرجون:" وهذا أصل وضعه النبي –ﷺ–في عدم الركون إلى أعداء الإسلام في الاستنصار بهم".[3]

عن عائشة قالت:" إنَّ رسولَ اللَّهِ –ﷺ–خرجَ إلى بدرٍ حتَّى إذا كانَ بحرَّةِ الوبرَ لَحِقَهُ رجلٌ منَ المشرِكينَ يذكرُ منهُ جَرأةً ونجدةً، فقالَ النَّبيُّ –ﷺ–: تُؤمنُ باللَّهِ ورسولِهِ؟ قالَ: لا قالَ: ارجِعْ ، فلَن أستَعينَ بمشرِكٍ".[4]

وفي غزوة أحد عندما وصل رسول الله–ﷺ– إلى مكان يدعي الشيخين رأى كتيبة لها صوت وجلبة فقال: ما هذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال–ﷺ–: "لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك".[5]

وصيته بعدم الإفساد في الأرض:

---

1 – التفسير المنير، 844/15. بتصرّف.

2 – روح المعاني 392/8.

3 – محمد عرجون، محمد رسول الله، 561/3.

4 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، 1449/3، برقم:1817. ور: أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، 355/2.

5 – سنن أبي داود، 83/2، برقم:2732. صحيح الاسناد، ر: الزيلعي، نصب الراية،284/4. ور: صحيح السيرة النبوية، ص:278. الصلابي، السيرة النبوية، ص:472.

لم تكن حروب الرسول-ﷺ-حروب تخريب، بل كان النبي-ﷺ -والمسلمون يحرصون أشدّ الحرص على الحفاظ على العُمران في كل مكان، ممتثلا لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأرض بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[الأعراف:56]، يقول الشعراوي:" والفساد يأتي من الخروج عن منهج الله، فإنْ غيَّرت فيه فقد أفسدتَ، فالفساد كما يكون في المادة يكون في المنهج، وفي المعنويات فالحق سبحانه خلق كل شيء على هيئة الصلاح لإسعاد خلقه ".[1]

دعاؤه-ﷺ-واستغاثته:

من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله وكثرة ذكره؛ لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-قال:" لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ-ﷺ-الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:" اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وعدتني اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ في الأَرْضِ"، فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه- فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- :﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:9] فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ". [2]

وكان النبي -ﷺ-يدعو ربه ويستغيث به في معاركه، عن عبد الله ابن أبي أوفى-رضي الله عنه- قال: دعا رسول الله -ﷺ-على الأحزاب فقال:" اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب ومجري السحاب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم".[3]

الشورى:

أمر الله تعالى رسوله-ﷺ- بمشاورة أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، ومن الواضح أن الرسول -ﷺ-عوَّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لا نص فيه تعويدًا لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي، ولم يحدث أن لام الرسول -ﷺ-أحدًا؛ لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وهنا يظهر الوعي السياسي عند الصحابة -رضوان الله عليهم-، فرغم أن لهم حرية إبداء الرأي، فإنه ليس لهم

---

1 – تفسير الشعراوي،6915/1.

2 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإِمْدَادِ بِالْمَلاَئِكَةِ في غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، 1383/3، برقم:1763. ابن هشام، السيرة النبوية ،205/1، ور: زاد المعاد،87/2.

3 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، 1363/3، برقم: 1742.

فرضه على القائد، فحسبهم أن يبينوا رأيهم ويتركوا للقائد حرية اختيار ما يترجح لديه من الآراء، فلما رأوا أنهم ألحوا في الخروج وأن الرسول -ﷺ-عزم على الخروج بسبب إلحاحهم، عادوا فاعتذروا إليه، لكن الرسول الكريم-ﷺ- علمهم درسًا آخر هو من صفات القيادة الناجحة وهو عدم التردد بعد العزيمة والشروع في التنفيذ، فإن ذلك يزعزع الثقة بها ويغرس الفوضى بين الأتباع.[1]

يقول ابن عطية:" وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:38]".[2]

يقول البوطي:" وإذا استعرضنا حياته -ﷺ-، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالتدبير والسياسة الشرعية". [3]

ويقول ابن عطية:" أنه أُمر بالعفو عنهم فيما يخصه-ﷺ-، فإذا صاروا في هذه الدرجة أمر بالاستغفار فيما لله، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلاً للاستشارة في الأمور".[4]

فقد كان أكثر الناس مشورة في غزواته-ﷺ-، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ-".[5]

فحين خرج-ﷺ- يوم بدر لإدراك قافلة أبي سفيان، ثم آل الأمر لمواجهة جمع قريش، وقف النبي-ﷺ- يستشير الصحابة ويقول: أشيروا عليَّ أيها الناس، فتكلم أبو بكر وعمر والمقداد -رضي الله عنهم-، فدعا لهم النبي-ﷺ-، ثم قال: أشيروا علي أيها القوم، فقال سعد بن معاذ-ﷺ- : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل قَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنحْن مَعَك، فو الّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاَللَّهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ".[6]

---

1 – السيرة النبوية الصحيحة،380/2.

2 – المحرر الوجيز،35/2.

3 – البوطي، فقه السيرة، ص:159.

4 – المحرر الوجيز،35/2.

5 – مسند أحمد، 244/31، برقم: 18928. البغوي، شرح السنة، 118/10.قال شعيب الأرناؤوط: الحديث مرسل؛ لأن الزهري لم يسمع من أبي هريرة، ر: تخريج السنة،118/10.

6 – عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، 615/1، ور: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد:52، محمد عبد المقصود جاب الله، كتاب قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى، ص:156.

يقول البوطي:" كان –ﷺ–قبيل غزوة بدر استشار الناس فأشار المهاجرون، فلم يكتف ثم استشار الناس فأشار الخزرج والأوس، ثم اتخذ قراره الأخير حتى يمحو أي تردد عن أي نفس.[1]

وأشار الحباب بن المنذر–رضي الله عنه– عليه يوم بدر قال:" يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس، حتى نأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم نعوِّر ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله–ﷺ–: "قد أشرتَ بالرأي"، ونفَّذ ما أشار به الحباب. [2]

1 – البوطي، فقه السيرة، ص:156–157. ور: فقه السيرة الغزالي، ص:231.

2 – زاد المعاد: 3/ 175. ور: البيهقي، دلائل النبوة، 26/3. قال الألباني الحديث ضعيف؛ لأن الراوي رجال من بني سلمة، ر: الألباني: فقه السيرة، برقم:224. ور: ابن هشام، السيرة النبوية، 66/2.

المبحث الثاني: توصيف أحواله-ﷺ- في غزواته:

في سرية عبد الله بن جحش-رضي الله عنه- الأسدي في نخلة:

أرسل النبي-ﷺ-عبد الله بن جحش-رضي الله عنه- في ثمانية رَهْط من المهاجرين إلى نخلة جنوب مكة في آخر يوم من رجب سنة الثانية من الهجرة، للاستطلاع والتعرف على أخبار قريش، لكنهم تعرضوا لقافلة تجارية لقريش فظفروا بها، وقتلوا قائدها عمرو بن الحضرمي، وأسروا اثنين من رجالها وهم: عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وعادوا بهم إلى المدينة، بالعير والأسيرين، وأنكر رسول الله-ﷺ-ما فعلوه، وقال:" ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، وتوقف عن التصرف في العير والأسيرين، ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله، وكثر في ذلك القيل والقال، حتى نزل الوحي حاسماً هذه الأقاويل وأن ما عليه المشركون أكبر وأعظم مما ارتكبه المسلمون، قال تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:217]، يقول الزمخشري:" يعني وكبائر قريش من صدّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون، أَكْبَرُ عِندَ الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة".[1]

فقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها، يقول **المباركفوري:**" إن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة؟ لا جرم أن الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية تبتني على وقاحة ودعارة، وبعد ذلك أطلق رسول الله -ﷺ-سراح الأسيرين، أدى دية المقتول إلى أوليائه".[2]

---

1 - الكشاف ،191/1.

2 - الرحيق المختوم، ص:190-191.

غزوة بدر[1] الكبرى:

خرج رسول الله –ﷺ– ولم يكن في نيته قتال، وإنما كان قصده عير قريش، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:" لما سمع رسول الله –ﷺ– بأبي سفيان مقبلا من الشام، فقال لمن حضر من المسلمين:" هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها".[2]

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال:7–8]، يقول **ابن عطية:**" أن رسول الله –ﷺ–لما بلغه وقيل أوحي إليه أن أبا سفيان بن حرب قد أقبل من الشام بالعير التي فيها تجارة قريش وأموالها ، قال لأصحابه إن عير قريش قد عنت لكم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها، قال فانبعث من معه من خف ، وثقل قوم وكرهوا الخروج وأسرع رسول الله –ﷺ–لا يلوي على من تعذر ولا ينتظر من غاب ظهره".[3]

وإخباره –تعالى– عن نتيجة المعركة قبل بدئها وذلك بالنصر للمؤمنين على الكافرين في الآية الكريمة يعد من الإعجاز القرآني والتحدي للكافرين يقول محمد آل عابد:" وفي هذا سر من أسرار النبوة، وصلة النبي–ﷺ–بربه، ومشهد من مشاهد السيرة النبوية".[4]

موقف المشركين لما قدموا إلى بدر:

بين سبحانه وتعالى موقف المشركين لما قدموا إلى بدر، فقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:19].

يقول محمد رشيد الرضا:" قِيلَ: إِنَّ الْخِطَابَ لِلْكُفَارِ، ذَكَرَ خذلنهم وَإِضْعَافَ كَيْدِهِمْ، ثُمَّ الْتَفَتَ عَنْه إِلَى تَذْكِيرِهِمْ وَتَوْبِيخِهِمْ عَلَى اسْتِنْصَارِهِمْ إِيَّاهُ عَلَى رَسُولِهِ –ﷺ–".[5]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ –ﷺ– قال:" أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا الرَّحِمَ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ فَأَحْنِهِ الْغَدَاةَ فَكَانَ الْمُسْتَفْتِحَ".[6]

---

1 – بدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل الوادي ينسب إلى بدر بن يخلد. ور: معجم البلدان،357/1.

2 – الطبراني، المعجم الكبير، 47/19، برقم:91، الحديث صحيح ذكره الألباني في فقه السيرة، برقم 218. ور: ابن كثير، السيرة النبوية، 381/2.

3 – المحرر الوجيز،151/3.

4 – حديث القران عن غزوات الرسول –ﷺ–، ص:55.

5 – تفسير المنار،519/9.

6 – الإمام أحمد، المسند، 66/39، برقم:23661. صححه شعيب الأرناؤوط، برقم:23661.

يقول الشعراوي في تفسيره:" لقد ظن أبو جهل أن سيدنا محمدا -ﷺ-يقطع رحمهم، ويجعل الولد يترك أباه وأمه، وأيضاً كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين وخير القبيلتين» هكذا كان دعاء الكفار، وجاء الحكم من الله -سبحانه وتعالى- على الكافرين بأن يُسلبوا ويقتلوا ويصبحوا مثار السخرية من أنفسهم وممن يرونهم وقد استحقوا ذلك بسبب كفرهم وضلالهم وعنادهم ومحاربتهم للحق ".[1]

وخرج -ﷺ-من العريش وهو يقول:"﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرّ﴾ [القمر:45-46]، يقول الألوسي:" قد نزلت حيث لم يفرض جهاد ولا كان قتال ولذا قال عمر -ﷺ-:" يوم نزلت أي جمع يهزم أي من جموع الكفار؟ ولم يتعرض لقتال أحد منهم".[2]

عن سعد بن أبي وقاص-ﷺ-قال:" فعرفت تأويلها وهذا من معجزات النبيّ -ﷺ-؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر".[3]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ-، وهو في قُبَّةٍ يوم بدر: اللَّهُمَّ إنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ ووَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَومِ فأخَذَ أبو بَكْرٍ بيَدِهِ، فَقالَ: حَسْبُكَ يا رَسولَ اللَّهِ، فقَدْ ألْحَحْتَ علَى رَبِّكَ وهو في الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وهو يقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ، ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: 46]".[4]

رؤيا الرسول-ﷺ-:

ومن النعم التي أنعمها الله تعالى على رسوله -ﷺ- أن أراه العدو أقل مما هم عليه: ليقوى قلوب المؤمنين على حربهم، ويشجعهم على مواجهتهم، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُور﴾[الأنفال:43- 44]، قال ابن جرير:" إذ يُري الله نبيه-ﷺ- في منامه المشركين قليلاً، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلاً، وهم كثير عددهم، ويقلل المؤمنين في أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم".[5]

---

1 - الشعراوي،4625/8. علي الصلابي، غزوات الرسول دروس وعبر، مؤسسة اقرأ، ط:1، ت:2007م، القاهرة. ص:35.

2 - روح المعاني، 405/13. حديث القرآن عن غزوات الرسول-ﷺ-، ص:104.

3 - الجامع لأحكام القرآن،113/17.

4 - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: سيهزم الجمع ويولون الدبر،1845/4، برقم: 4594.

5 - جامع البيان، 3863/5.

المعجزة الربانية في بدر:

إن إصابة المشركينَ بالحصباء التي رماهم بها النبي –ﷺ–، تعد من المعجزات التي ذكرها القرآن في قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:17]، يقول ابن جرير في تفسيره:" فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون أنتم، ولكن الله قتلهم، وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به، الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم، وكذلك أضاف الرمي إلى نبيه–ﷺ–، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، الموصل المرمي به إلى الذين رُموا به من المشركين، والسبب الرمية لرسوله–ﷺ–".[1]

عن عمر بن الخطاب –ﷺ–أن رسول الله –ﷺ–قال:" اللَّهمَّ إنَّكَ إنْ تُهلِكْ هذهِ العِصابةَ مِن أهلِ الإسلامِ، فلا تُعْبَدُ في الأرضِ أبدًا، فقال له جبريل: خذ قبضة من تراب فارم بها في وجوههم، فما بقي من المشركين من أحد إلا وأصاب عينيه ومنخريه وفمه، فولوا مدبرين، فقال رسول الله –ﷺ–لأصحابه:" احملوا"، فلم تكن إلا الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر، وبادر كل رجل منهمً منكبا على وجهه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه".[2]

موقف الرسول –ﷺ– في الغنائم:

قد اختلفت الصحابة –رضى الله عنهم– يوم بدر في المغانم من المشركين يومئذٍ، لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون، ففرقة أحدقت برسول الله –ﷺ– تحرسه خوفا من أن يرجع أحد من المشركين إليه، وفرقة ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون، وفرقة جمعت المغانم من متفرقات الأماكن، فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالمغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–يَوْمَ بَدْرٍ:" مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ مِنَ النَّفْلِ كَذَا وَكَذَا"، قَالَ فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَتِ الْمَشْيَخَةُ كُنَّا رِدْءًا لَكُمْ لَوِ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا فَلاَ تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى فَأَبَى الْفِتْيَانُ وَقَالُوا جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– لَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ

---

1 – جامع البيان،202/6. حديث القرآن عن غزوات الرسول،50/1. بتصرف

2 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم،1383/3، برقم:1763. تفسير ابن جرير، 204/6، والبيهقي، دلائل النبوة، 78/3–79.

الأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾، يَقُولُ فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِى فَإِنِّى أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ".[1]

يقول ابن عاشور:" افْتِتَاحُ السُّورَة بـ "يَسْئَلُونَكَ" عَنِ الْأَنْفالِ مُؤْذِنٌ بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَعْلَمُوا مَاذَا يَكُونُ فِي شَأْنِ الْمُسَمَّى عِنْدَهُمُ الْأَنْفالِ وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَّهُمْ حَاوَرُوا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ –ﷺ–فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِصَرِيحِ السُّؤَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَاصِمُ أَوْ يُجَادِلُ غَيْرَهُ بِمَا يُؤْذِنُ حَالُهُ بِأَنَّهُ يَتَطَلَّبُ فَهْمًا فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَقَدْ تَكَرَّرَتِ الْحَوَادِثُ يَوْمَئِذٍ ".[2]

عن سعد بن أبي وقاص–رضي الله عنه– قال:" نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ: أَصَبْتُ سَيْفًا، فأتَى به النبيَّ –ﷺ–، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ، فَقالَ له النبيُّ –ﷺ–: ضَعْهُ مِن حَيْثُ أَخَذْتَهُ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ، أَوُ جْعَلُ كَمَن لا غَنَاءَ له؟ فَقالَ له النبيُّ –ﷺ–: ضَعْهُ مِن حَيْثُ أَخَذْتَهُ، قالَ: فَنَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال:1].[3]

وفي قوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنفال:41]، يقول عماد الدين خليل:" كان تشريع خمس الغنائم في أعقاب بدر ذا خطورة عظيمة، نظرا لأنه أول تشريع قرآني مالي رسمي غير الزكاة توطد به بيت المال في الإسلام، وتيسر تحقيق ما دعا إليه القرآن من مساعدة الطبقات المحتاجة والإنفاق في سبيل مصالح المسلمين العامة، بأسلوب رسمي غير قائم على التبرع".[4]

غزوة أحد:

لقد وصف القرآن الكريم غزوة أحد وصفًا دقيقًا، وكان التصوير القرآني للغزوة أقوى حيوية ووضوحًا من الروايات التي جاءت في الغزوة، كما أن أسلوب الآيات المطمئنة المبشرة واللائمة، والمسكنة والواعظة كان رائعًا وقويًا، فبين القرآن الكريم نفوس جيش النبي–ﷺ–

يقول سيد قطب:" إن غزوة أحد لم تكن معركة في الميدان وحده؛ إنما كانت معركة كذلك في الضمير، كانت معركة ميدانها أوسع الميادين، لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلا جانباً واحداً من ميدانها الهائل الذي دارت فيه، ميدان النفس البشرية، وتصوراتها ومشاعرها، وأطماعها وشهواتها، ودوافعها وكوابحها، على العموم، وكان القرآن هناك يعالج هذه النفس بألطف وأعمق،

---

1 – السنن الكبرى لأبي داود، كتاب الجهاد، باب في النَّفْلِ، 3 / 29، برقم:2737. صححه الحاكم برقم:2594. واخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار برقم:5208.

2 – التحرير والتنوير،248/9.

3 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب الأنفال،1367/3، برقم: 1748

4 – عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، دار النفائس، ط:2، ت:2005م، بيروت. ص:154.

وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم في النزال، وكان النصر أولاً، وكانت الهزيمة ثانياً وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة، انتصار المعرفة الواضحة والرؤية المستنيرة للحقائق التي جلاها القرآن؛ واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين، وتمحيص النفوس، وتمييز الصفوف".[1]

نزول المسلمين بالشعب في أحد والتعبئة للقتال:

ومضي الرسول –ﷺ –فيمن بَقِي معه وهم سبعمائة رجل، حتى وصل أحدًا، فجعله خلف ظهره واستقبل المدينة، وأقبل الرسول –ﷺ –يَصُفُّ أصحابه، وجعل لهم ميمنة وميسرة، وقال لهم: لا يقاتلنَّ أحد منكم حتى نأمره بقتال، عبّأ رسول الله–ﷺ– أصحابه –رضي الله عنهم– للقتال، وصفّ الصفوف، وبوّأ كل فريق مكانه، وفي هذا نزل قول الله تعالى:﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[ال عمران:121].[2]

معاملة النبي –ﷺ– للمنافقين الذين انخذلوا:

لقد انسحاب المنافق ابن سلول بثلث الجيش بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضًا على قرار القتال خارج المدينة قائلا: أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا، وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد أن يحدث بلبلة واضطرابًا في الجيش الإسلامي لتنهار معنوياته، ويتشجع العدو، وتعلو همته، وعمله هذا ينطوي على خيانة عظيمة، وبغض الإسلام والمسلمين، وعلى استهانة بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف، وقد حاول عبد الله بن حرام أن يمنعهم من ذلك الانخذال إلا أنهم رفضوا دعوته، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[آل عمران:166–167]. [3]

وفي عدم اهتمام رسول الله–ﷺ– بابن سلول، يقول محمد بن عيظة:" فعلى الرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول–ﷺ– ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعرهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس، وكان لهذا الأسلوب أثره في توبيخ وإهانة ابن سلول".[4]

---

1 – في ظلال القرآن،425/1.

2 –جامع الأحكام، 161/4. روح المعاني،192/3.

3 – البداية والنهاية،14/4.

4 –محمد بن عيظة، غزوة أحد دراسة دعوية، دار كنوز اشبيليا، ط:1، ت:1999م، الرياض. ص:220.

تَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيِّبِ:

وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب، حتى لا يختلط المخلص بالمغرض، والمؤمن بالمنافق، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179].[1]

في هذه الآية تسلية لرسول الله-ﷺ-، يقول الألوسي:" كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية وهي الفضيحة والخزي إثر بيان عقوبتهم الأخروية، وقدم بيان ذلك لأنه أمس بالإملاء لازدياد الآثام، وفي هذا الوعد والوعيد أيضاً ما لا يخفى من التسلية له-ﷺ-".[2]

ودعا النبي -ﷺ- أصحابه-رضي الله عنهم- إلى الالتفاف حوله وقد سجل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 153].[3]

شائعة قتل الرسول:

مارس الكفار ضد الرسول -ﷺ-أشكال متعددة من الحروب، فلم تقتصر الحرب فقط في السيف والرمح، بل اتسعت لتشمل الحروب النفسية والاشاعات والتي من شأنها أن تزعزع الاستقرار الذي كان بين الصحابة وذلك لبث الخوف في نفوس الصحابة، ومن أبرز الأمثلة على ذلك تلك الإشاعة التي أطلقها المشركون في غزوة أحد والتي تمثلت في قتل الرسول وذلك لما كان للرسول-ﷺ- من قيادة وهيبة وكبرياء ضد أعداءه فحاولوا خلط أوراق المعركة بنشر هذه الإشاعة وبث الارتباك والرعب في نفوس المسلمين.

قد شاع خبر مقتل النبي -ﷺ- في المشركين والمسلمين، وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله -ﷺ-، وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضي والاضطراب، إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة هجمات المشركين؛ لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلي المسلمين. [4]

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان، ألا إن محمدًا قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمدًا، وإنما

---

1 – م ن، ص84.

2 – روح المعاني 334/3.

3 –حديث القرآن عن غزوات الرسول،157/1.

4 – الرحيق المختوم، ص: 263.

كان قد ضرب رسول الله –ﷺ– فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله –ﷺ– قد قُتل، وجوزوا عليه ذلك، وهنالك عظمت البلية، وطاشت أحلام المسلمين، وذهلوا عن أنفسهم، فمنهم من ولّى هاربا، ولم ترده إلا حيطان المدينة فرجع استحياء، وفي هؤلاء نزل قوله سبحانه:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:144].[1]

ولقد حكى القرآن الكريم خبر فرار هذه المجموعة من الصحابة الذين ترخصوا في الفرار بعد سماعهم نبأ مقتل النبي–ﷺ– الذي شاع في ساحة المعركة، يقول علي بن الهيثمي(ت :807هـ):" وكان أول من علم بنجاة الرسول–ﷺ– وأنه حيٌ هو الصحابي كعب بن مالك–ﷺ– الذي رفع صوته بالبشرى، فأمره النبي–ﷺ– بالسكوت حتى لا يفطن المشركون إلى ذلك، وقد نص القرآن الكريم على أن الله تعالى قد عفا عن تلك الفئة التي فرت، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:155]".[2]

معاملة النبي–ﷺ– للرماة الذين أخطأوا:

إن الرماة الذين أخطأوا الاجتهاد في غزوة أحد لم يخرجهم الرسول–ﷺ– خارج الصف، ولم يقل لهم إنكم لا تصلحون لشيء من هذا الأمر بعدما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف، بل قبل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة، ثم شمل سبحانه وتعالى برعايته وعفوه جميع الذين اشتركوا في هذه الغزوة، رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليه من خسائر فادحة، فعفا سبحانه وتعالى عفوًا غسل به خطاياهم ومحا به آثار تلك الخطايا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 152].

غزوة بني النضير:

يزعم بعض الطاعنين أنه –ﷺ–اختلق أسبابا واهية لحرب اليهود، وطردهم ظلما من المدينة، رامين من وراء ذلك إلى الطعن في دوافع جهاده–ﷺ–، والتشكيك في سياسته عامة.

---

1 – تفسير ابن كثير،441/1. أبو شهبة، السيرة النبوية،196/2.

2 – نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ت:1994م، القاهرة. 6/ 112.

نعم أجلى النبي-ﷺ-اليهود من المدينة وطردهم عن بكرة أبيهم، ولم يصدر صنيعه هذا عن ظلم وعدوان، بل كان انطلاقا من قاعدة الجزاء من جنس العمل.

فهم الذين حاولوا تصديع الجبهة الداخلية، وتمزيق الصف المسلم وتخريبه، ولقد حدثنا القرآن الكريم عن قيادة اليهود الفكرية لحزب المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:14] يقول ابن عطية في تفسيره لفظة شَيَاطِينِهِمْ:" قال جمع من المفسرين:" هم الكهان".[1]

ولما نقض يهود بني النضير العهد الذي بينهم وبينه-ﷺ-وجاءه الخبر بما هموا، سار إليهم، وقد تحصن اليهود بحصونهم معهم النبل والحجارة. ولكن ابن أبيّ خذلهم فلم ينفذ وعده معهم، فحاصرهم النبي -ﷺ-وأمر بقطع نخيلهم وإتلافها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يصنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ﴾ [الحشر:5] [2]

يصف ابن عاشور حال بني النضير فيقول:" مَا حَدَثَ فِي حِصَارِ بَنِي النَّضِيرِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا اعْتَصَمُوا بِحُصُونِهِمْ فَحَاصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَتْ حَوَائِطُهُمْ خَارِجَ قَرْيَتِهِمْ وَكَانَتِ الْحَوَائِطُ تُسَمَّى الْبُوَيْرَةُ، عَمَدَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَطْعِ بَعْضِ نَخِيلِ النَّضِيرِ قِيلَ بِأَمْرٍ من النبيء -ﷺ-وَقِيلَ بِدُونِ أَمْرِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يُغَيِّرْهُ عَلَيْهِمْ. فَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ لِيُوَسِّعُوا مَكَانًا لِمُعَسْكَرِهِمْ، وَقِيلَ لِتَخْوِيفِ بَنِي النَّضِيرِ وَنِكَايَتِهِمْ، وَأَمْسَكَ بَعْضُ الْجَيْشِ عَنْ قَطْعِ النَّخِيلِ وَقَالُوا: لَا تَقْطَعُوا مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ النَّخَلَاتِ الَّتِي قُطِعَتْ سِتُّ نَخَلَاتٍ أَوْ نَخْلَتَانِ. فَقَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ تُرِيدُ الصَّلَاحَ أَفَمِنَ الصَّلَاحِ قَطْعُ النَّخْلِ وَحَرْقُ الشَّجَرِ، وَهَلْ وَجَدَتَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ إِبَاحَةُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ".[3]

فعرضوا على رسول الله -ﷺ-أن يخرجوا من المدينة كما أراد.. ولكنه -ﷺ-قال: لا أقبله اليوم إلا على أن تخرجوا بدمائكم فقط وليس لكم من أموالكم إلا ما حملته الإبل، عدا الحلقة، أي: السلاح، فنزل اليهود على ذلك، واحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، قال ابن هشام:" فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه (أي عتبته) فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، وتفرقوا ما بين خيبر والشام ولم يسلم منهم إلا رجلان: يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما".[4]

---

1 – المحرر الوجيز،31/1.

2 – ابن هشام، السيرة النبوية،110/3.

3 – التحرير والتنوير،75/28.

4 –ابن هشام، السيرة النبوية، 131/3. البوطي، فقه السيرة، ص:202–203.

غزوة الخندق (غزوة الأحزاب):

في القرآن الكريم سورة مستقلّة باسم سورة الأحزاب، وقد جاء في بعض آياتها ذكر ما يتعلق بهذه الغزوة بنوعٍ من التفصيل، وذلك من قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[الأحزاب:9] وامتدادًا إلى قوله تعالى:﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾[الأحزاب:25]، وأما تسميتها بغزوة الخندق: فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر رسول الله-ﷺ-، واستمر العمل في حفر الخندق ستة أيام، وقد أشرف على الحفر بنفسه-ﷺ-، وحمل التراب معهم.[1]

المعجزة الربانية في غزوة الأحزاب:

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[الأحزاب:9-10]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[المدثر:31]، يقول الفخر الرازي:" الريح، جندي من جنود الله، وإرسال ريح باردة عليهم في ليلة شاتية، لم تترك لهم خيمة إلا قلعتها، ولا قدراً إلا قلبته، ولا ناراً إلا أطفأتها، إشارة إلى ما فعل الله بهم، فكانت الريح شديدة على الكفار وهيّنة على المسلمين، وليس بينهم إلا عرض الخندق، ووصلت شدة الريح وخطورتها إلى الدرجة التي دفعت المشركين لأخذ قرار العودة دون قتال وفك الحصار، عن المدينة المنورة.[2]

والإشكالية في هذا كيف اختارت الريح مكاناً وتركت مكاناً؟ ولماذا لم تأت الريح من أول يوم، وانتظرت شهراً كاملاً؟ ولماذا لم تأت أقوى من ذلك لتهلك الكفار كما أهلكت عاداً وثمود؟

ويجيب راغب السرجاني عن هذه الأسئلة بقوله:" اختارت الريح مكاناً وتركت مكاناً، هذه إرادة الله فال تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، أما أنها لم تأت الريح من أول يوم، وانتظرت شهراً كاملاً، ليتم اختبار المؤمنين ويتميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، قال تعالى:﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[آل عمران: 179]، ولم تأت أقوى من ذلك لتهلك الكفار كما

---

1 – حديث القرآن عن غزوات الرسول، 404/2

2 – مفاتح الغيب،333/12. حديث القرآن،449/2

أهلكت عاداً وثمود، لأن معظم هؤلاء الكفار سيسلمون، ويكونون بعد ذلك في جيش الإسلام، الكون يجري وفق نواميس هي غاية في الدقة والإعجاز".[1]

وانتهت واحدة من أعظم معارك المسلمين، مع أنه لم يحدث فيها قتال، وكأن الله عز وجل يريد أن يقول لنا: ليس المطلوب هو تحقيق النصر، ولكن العمل من أجله، المطلوب هو قرار الجهاد، هو الثبات في أرض المعركة، أما النصر فينزل بالطريقة التي أراد الله عز وجل، وفي الوقت الذي يريد الله، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:25].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:" يقول تعالى مخبرًا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله-ﷺ- رحمة للعالمين، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، ولكن قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ [وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال:33]، فسلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهَوَى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزاب وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم". [2]

وقال القرطبي:" وكانت هذه الريح معجزة للنبي -ﷺ-؛ لأن النبي -ﷺ-والمسلمين كانوا قريبًا منهم، ولم يكن بينهم إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها ... وبعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إليَّ، فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله عليهم الرعب".[3]

---

1 – راغب السرجاني، السيرة النبوية، رقم الجزء هو رقم الدرس. (المكتبة الشاملة) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net ، 17/28.

2 – تفسير القرآن العظيم،6/395-396.

3 – جامع الأحكام،4/144.

صلح الحديبية:[1]

كان سبب هذه الحادثة أن رسول الله-ﷺ- رأى رؤيا في منامه أنه دخل مكة مع أصحابه، أعلن النّبي -ﷺ-في المسلمين أنه متوجّه إلى مكة معتمرا، فتبعه جمع كبير من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم ألفا وأربع مئة تقريبا، وأحرم -ﷺ-بالعمرة في الطريق، وساق معه الهدي ليأمن الناس من حربه وليعلموا أنه إنما خرج زائرا البيت ومعظما له، فلما وقع الصلح قال بعضهم: أين الرؤيا التي راها الرسول؟ فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[الفتح:27].

عن أنس بن مالك -رضي الله عنهما-: أن ثمانين رجلا من أهل مكة، هبطوا على رسول الله -ﷺ-من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي -ﷺ-وأصحابه، فأخذهم سلمًا فاستحياهم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ [الفتح:24].[2]

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مُغَفَّلٍ-رضي الله عنه- (ت:59هـ): كنا مع النبي -ﷺ-بالحديبية في أصل الشجرة، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح، فبَيْنا نحن كذلك إذ خَرَجَ علينا ثلاثونَ شابًّا عليهم السِّلاحُ، فثارُوا في وجوهِنا فدَعا عليهم النَّبيُّ -ﷺ-، فأخَذَ اللهُ بأبصارِهِم فطُمْنا إليهم فأخَذْناهم، فقالَ لهم رسولُ اللهِ -ﷺ-:" هل جِئْتُم في عهْدِ أَحَدٍ أوْ هل جَعَلَ لكم أَحَدٌ أمانًا؟". فقالوا: اللَّهُمَّ لا. فخَلَّى سبِيلَهم، فنزلت الآية [الفتح: 24].[3]

وبالنظر لكل عواقب هذا الصلح لوجدناها كلها في مصلحة المسلمين، حتى وصل الأمر إلى أن عاد النبي -ﷺ-يفتح مكة بعد عامين فقط بسبب مخالفة قريش لأحد بنود الاتفاق، وكان عدد جنود المسلمين آنذاك عشرة آلاف مقاتل، بما يؤكد أن هذا الاتفاق كان انتصارا وليس هزيمة كما يروج له المستدلّون به الآن!!

---

1 – وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله، -ﷺ-، تحتها، وقال الخطابي في أماليه: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وفي الحديث: انها بئر، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وهو أبعد الحل من البيت وليس هو في طول الحرم ولا في عرضه بل هو في مثل زاوية الحرم، فلذلك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم. ور: معجم البلدان،229/2.

2 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى "وهو الذي كف أيديهم عنكم" الآية،1442/3، برقم:1808. تفسير المراغي، 113/9، البوطي، فقه السيرة، ص:234.

3 – معالم التنزيل،313/7، ور: المستدرك، كتاب التفسير، سورة الفتح، 500/2، برقم: 3715. صحيح.

يقول محمد أمحزون:" ولعل هذه إشارة إلى فتح مكة الذي كان ثمرة من ثمار صلح الحديبية، ثم أتبع ذلك بتأكيد غلبة هذا الدين وانتصاره، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:28] [1]

ويقول علي الصلابي:" وقد سمى الله هذه الغزوة فتحا مبينا، حيث قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا، وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾". [الفتح: 1-3] [2]

يقول البوطي:" إن أمر هذا الصلح كان مظهرا لتدبير إلهي محض تجلى فيه عمل النبوة وأثرها كما لم يتجلّ في أي عمل أو تدبير آخر. فقد كان نجاحه سرّا مرتبطا بمكنون الغيب".[3]

بيعة الرضوان:

قد أشار سبحانه وتعالى إلى حدث مهم حدث قبل صلح الحديبية وهو بيعة الرضوان، وكتب لهذه البيعة الخلود في القرآن وقرر أنها مبايعة لله عز وجل ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:10] ورضي الله عن أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة فقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:18].

يُبايِعُونَكَ بيعة الرضوان يوم الحديبية، بايعوه على الموت في نصرته والدفاع عنه، أو على ألا يفرّوا من قريش، وأصل المبايعة أو البيع: مبادلة المال بالمال، ثم أطلق هنا على المعاهدة على الثبات في محاربة الكفار في مقابل ضمان الجنة لهم. وكانت المبايعة تحت شجرة بالحديبية.[4]

يقول الزحيلي:" إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ لأن الله هو المقصود بالبيعة، مثل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ ﴾[النساء:80] أي أن المقصود من بيعة الرسول -ﷺ-وطاعته طاعة الله وامتثال أوامره، والمراد بآية يُبايِعُونَ اللَّهَ: أي صفقتهم إنما يمضيها ويمنح الثمن فيها الله عزّ وجلّ، وأن عقد الميثاق مع الرسول -ﷺ-كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت".[5]

---

1 - محمد أمحزون، منهج النبي-ﷺ- في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام، ط:5، ت:2010م، القاهرة. ص:213-215.

2 - الصلابي، السيرة النبوية، ص:644.

3 - البوطي، فقه السيرة، ص:233.

4 - وهي قرية صغيرة بينها وبين مكة حوالي مرحلة، وهي في حدود الحرم

5 - التفسير المنير،506/13.

ويضيف قائلا:" يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مؤكد معنى البيعة، والمراد أنه تعالى مطّلع على مبايعتهم، فيجازيهم عليها، ونصرته إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه. ونَكَثَ نقض العهد، وضدّه: أوفى بالعهد ووفّى به: إذا أتّمه. فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ يرجع وبال وضرر نقضه عليه. وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ وفّى في مبايعته، وقرأ الجمهور بكسر الهاء، وقراءة حفص بضم الهاء، لأنها هاء «هو» وهي مضمومة، فاستصحب ذلك، كما في «له، وضربه». أَجْراً عَظِيماً هو الجنة.[1]

قال جابر بن عبد الله:" لم نبايع رسولَ اللهِ –ﷺ– علَى الموتِ إنما بايعناه علَى أن لا نفرَّ ".[2] وقال معقل بن يسار:" لقَدْ رَأَيْتُنِي يَومَ الشَّجَرَةِ، وَالنَّبيُّ –ﷺ–يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأَنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِن أَغْصَانِهَا عن رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، قالَ: لَمْ نُبَايِعْهُ علَى المَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ علَى أَنْ لا نَفِرَّ ".[3]

فتح مكة:[4]

فتح مكة المكرمة حدث عظيم من الوقائع الفاصلة في تاريخ الإسلام التي أعز الله فيها دينه وأذل أعداءه، فبهذا الفتح خسر الكفر أهم معاقله وحماته في بلاد العرب، وبعده دخل الناس في دين الله أفواجا وأصبحت مكة قلعة منيعة لدين التوحيد والهداية، مصداقا لقوله تعالى:﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[النصر:1–3].

وقد أشار الله –عز وجل– إلى فتح مكة في سورة الفتح في قوله –تعالى–: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:27]. وعلى هذا جُل المفسرين.[5]

---

1 –م ن، 507/13.

2 – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، 1483/3، برقم:1856.

3 – م ن، 1485/3، برقم:1858.

4 – مَكَّةُ: بيت الله الحرام، قال بطليموس: طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة، وعرضها ثلاث وعشرون درجة، وقيل إحدى وعشرون، تحت نقطة السرطان، طالعها الثريّا، بيت حياتها الثور، وهي في الإقليم الثاني، أما اشتقاقها ففيه أقوال، قال أبو بكر بن الأنباري: سميت مكة لأنها تمكّ الجبّارين أي تذهب نخوتهم، ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم: قد امتكّ الفصيل ضرع أمّه إذا مصه مصّا شديدا، وسميت بكة لازدحام الناس بها. ور: معجم البلدان، 181/5.

5 – محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، ط:7، ت:1981م، بيروت.353/2.

يقول ابن القيم:" كانت الهدنة في صلح الحديبية مقدمة بين يدي الفتح الأعظم، الذي أعز الله به رسوله-ﷺ- وجنده، ودخل الناس في دين الله أفواجا".[1]

إحباط محاولة تجسس حاطب لصالح قريش:

عندما أكمل النبي-ﷺ-استعداده للسير إلى فتح مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة(ت:30هـ) كتابًا إلى أهل مكة يخبرهم فيه نبأ تحرك النبي-ﷺ- إليهم، وأرسله مع امرأة مسافرة إلى مكة، ولكن الله -سبحانه وتعالى- أطلع نبيه-ﷺ- عن طريق الوحي على هذه الرسالة، فقضى-ﷺ-على هذه المحاولة وهي في مهدها، فأرسل النبي-ﷺ- عليًّا والزبير والمقداد-رضي الله عنهم- فأمسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلا من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تخرج الكتاب فسلمته لهم، ثم استدعي حاطب -رضي الله عنه-للتحقيق، فقال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش -يقول: كنت حليفًا- ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ-: "أما إنه قد صدقكم"، فقال عمر-رضي الله عنه-:" يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال -ﷺ-: "إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:1].[2]

ويقول سيد قطب:" على الرغم من كل ما ذاق المهاجرون من العنت والأذى من قريش فقط ظلت بعض النفوس تود لو وقعت بينهم وبين أهل مكة المحاسنة والمودة، وأن لو انتهت هذه الخصومة القاسية التي تكلفهم قتال أهليهم وذوي قرابتهم، وتقطع ما بينهم وبينهم من صلات، وكأن الله يريد استقصاء هذه النفوس واستخلاصها من كل هذه الوشائج، وتجريدها لدينه وعقيدته ومنهجه ... فكان يأخذهم يوما بعد يوم بعلاجه الناجع البالغ، بالأحداث والتعقيب على الأحداث ليكون العلاج على مسرح الأحداث، وليكون الطرق والحديد ساخن".[3]

---

1 -زاد المعاد، 318/2.

2 - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، 105/5، برقم: 4274. حديث القرآن عن غزوات الرسول،566/2

3 - في ظلال القرآن،358/6.

ولقد تحقق قول الله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[القصص:85]، ودخل رسول الله-ﷺ- مكة وهو راكب راحلته، منحن على الرحل، حتى لتكاد جبهته تمس قتب الراحلة شكرا لله على هذا الفتح الأكبر، ثم طاف الرسول-ﷺ- بالبيت، وأزال ما حولها من أصنام بلغت ثلاثمائة وستين، وهو يتلو قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء:81].

ثم دخل-ﷺ- الكعبة وصلى ركعتين فيها، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:162]، ثم وقف-ﷺ- على بابها وقريش تنظر ما هو فاعل بها، فقال فيما قال ساعتئذ:" يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، فقال رسول الله-ﷺ-:" اليوم اقول لكم ما قال أخي يوسف من قبل: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92] اذهبوا فأنتم الطلقاء".[1]

مبايعة رسول الله-ﷺ-:

والمبايعة وقعت غير مرة ووقعت في مكة بعد الفتح وفي المدينة؛ وممن بايعنه -ﷺ- في مكة هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، ففي حديث أسماء بنت يزيد بن السكن كنت في النسوة المبايعات وكانت هند بنت عتبة في النساء، ويروى أن أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من النساء أم سعد بن معاذ، وكبشة بنت رافع مع نسوة أخر -رضي الله تعالى عنهن-.[2]

ولقد سطر القرآن هذه المبايعة بأحرف من نور قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة:12].

غزوة حنين:

ورد ذكر اسم هذه الغزوة في قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُم﴾ [التوبة:25]، يقول ابن عاشور:" وَتَخْصِيصُ يَوْمِ حُنَيْنٍ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ أَيَّامِ الْحُرُوبِ: لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ انْهَزَمُوا فِي أَثْنَاءِ النَّصْرِ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمُ النَّصْرُ، فَتَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْعِبْرَةِ بِحُصُولِ النَّصْرِ عِنْدَ امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ-ﷺ- وَحُصُولِ الْهَزِيمَةِ عِنْدَ

1 – حديث القرآن عن غزوات الرسول-ﷺ-، 574/2.

2 – روح المعاني ،20 /474.

إِيثَارِ الْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ عَلَى الِامْتِثَالِ، فَفِيهِ مَثَلٌ وَشَاهِدٌ لِحَالَتَيِ الْإِيثَارَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ آنِفًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾[التَّوْبَة: 24]، لِيَتَنَبَّهُوا إِلَى أَنَّ هَذَا الْإِيثَارَ قَدْ يَعْرِضُ فِي أَثْنَاءِ إِيثَارٍ آخَرَ، فَهُمْ لَمَّا خَرَجُوا إِلَى غَزْوَةِ حُنَيْنٍ كَانُوا قَدْ آثَرُوا مَحَبَّةَ الْجِهَادِ عَلَى مَحَبَّةِ أَسْبَابِهِمْ وَعَلَاقَاتِهِمْ، ثُمَّ هُمْ فِي أَثْنَاءِ الْجِهَادِ قَدْ عَاوَدَهُمْ إِيثَارُ الْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ –ﷺ–الَّذِي هُوَ مِنْ آثَارِ إِيثَارِ مَحَبَّتِهَا، وَهِيَ عِبْرَةٌ دَقِيقَةٌ حَصَلَ فِيهَا الضِّدَّانِ وَلِذَلِكَ كَانَ مَوْقِعُ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾".[1]

عن ابن عباس:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ:" لَنْ نُغْلَبَ مِنْ قِلَّةٍ"، سَاءَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا هَبَطُوا وَادِي حُنَيْنٍ كَانَ الْأَعْدَاءُ قَدْ كَمَنُوا لَهُمْ فِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ، فَمَا رَاعَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مُنْحَدِرُونَ فِي الْوَادِي إِلَّا كَتَائِبُ الْعَدُوِّ وَقَدْ شَدَّتْ عَلَيْهِمْ وَقِيلَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا عَلَى الْعَدُوِّ فَانْهَزَمَ الْعَدُوُّ فَلَحِقُوهُمْ يَغْنَمُونَ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ هَوَازِنُ قَوْمًا رُمَاةً فَأَكْثَبُوا الْمُسْلِمِينَ بِالسِّهَامِ فَأَدْبَرَ الْمُسْلِمُونَ رَاجِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْوَادِي، وَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْمُشْرِكُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– ثَابِتٌ فِي الْجِهَةِ الْيُمْنَى مِنَ الْوَادِي وَمَعَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– الْعَبَّاسَ عَمَّهُ أَنْ يَصْرُخَ فِي النَّاسِ: يَا أَصْحَابَ الشَّجَرَةِ– أَوِ السَّمُرَةِ– يَعْنِي أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ– يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ– يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ– يَعْنِي الْأَنْصَارَ– هَلُمُّوا إِلَيَّ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِائَةٌ، وَقَاتَلُوا هَوَازِنَ مَعَ مَنْ بَقِيَ مَعَ النَّبِيءِ –ﷺ– وَاجْتَلَدَ النَّاسُ، وَتَرَاجَعَ بَقِيَّةُ الْمُنْهَزِمِينَ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–:" الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ"[2]، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُزِمُوا شَرَّ هَزِيمَةٍ وَغُنِمَتْ أَمْوَالُهُمْ وَسُبِيَتْ نِسَاؤُهُمْ، وفَي ذَلِكَ نزل قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة:25].

يقول ابن عاشور:" وَهَذَا التَّرْكِيبُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَأْسُ وَاضْطَرَبُوا وَلَمْ يَهْتَدُوا لِدَفْعِ الْعَدُوِّ عَنْهُمْ، بِحَالِ مَنْ يَرَى الْأَرْضَ الْوَاسِعَةَ ضَيِّقَةً فالضِّيقُ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: (بِما رَحُبَتْ) اسْتُعِيرَ﴿ وضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِما رَحُبَتْ﴾ [التوبة118]، اسْتِعارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ تَمْثِيلًا لِحالِ مَن لا يَسْتَطِيعُ الخَلاصَ مِن شِدَّةٍ بِسَبَبِ اخْتِلالِ قُوَّةِ تَفْكِيرِهِ، بِحالِ مَن هو في مَكانٍ ضَيِّقٍ مِنَ الأرْضِ يُرِيدُ أنْ يَخْرُجَ مِنهُ فَلا يَسْتَطِيعُ تَجاوُزَهُ ولا الِانْتِقالَ مِنهُ". [3]

الإعجاب بالكثرة يحجب نصر الله:

إن الإعجاب بالكثرة حجب عن المسلمين النصر في بداية المعركة، ومن الآثار السلبية ما أصاب المسلمين من إعجاب بكثرتهم حتى رد أحدهم ما سيحوزونه من نصر إلى أنهم" لن

---

1 – التحرير والتنوير،10/155–156.

2 –صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين،3/1398، برقم:1775.

3 – التحرير والتنوير،10/156 ور: أكرم العمري، السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ، 2/489.

يغلبوا من قلة". وعبر عن ذلك جهرة، في حين أصاب هذا الشعور آخرين سواه حتى استحقوا معاتبة القرآن الكريم لهم وتذكيرهم بعدم الاتكال إلا على الله وحده، وإلا وكلهم إلى أنفسهم وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25].

وقد انتبه الرسول –ﷺ–لهذا الأمر، فأكد لهم بدعائه افتقاره لربه ولجوءه إليه وحده، عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– كَانَ أَيَّامَ حُنَيْنٍ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ يَفْعَلُهُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَمَا هَذَا الَّذِي تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ قَالَ:" إِنَّ نَبِيًّا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ"، فَقَالَ لَنْ يَرُومَ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْ أُمَّتَكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ أَوْ الْجُوعَ، وَإِمَّا أَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتَ فَشَاوَرَهُمْ فَقَالُوا: أَمَّا الْعَدُوُّ فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– فَأَنَا أَقُولُ الْآنَ حَيْثُ رَأَى كَثْرَتَهُمْ اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ وَبِكَ أُصَاوِلُ وَبِكَ أُقَاتِلُ"، وحكى لهم قصة نبي أعجبته كثرة أمته فسلط الله عليهم الموت.[1]

وهكذا أخذ الرسول–ﷺ– يراقب المسلمين ويقوّم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومه العتاة، يقول **أكرم العمري**:" لأن النصر معلق بشرط {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} ولكن هل تتم تربية الجموع وإزالة رواسب الجاهلية التي عاشوا فيها أعمارهم بين عشية وضحاها، لقد كان الشعور بالزهو لكثرتهم سبباً لإدبارهم في أول المواجهة، وكان إدبارهم وهول اللقاء قد أعادهم إلى التصور الصحيح والتوكل الخالص فكانت الجولة الثانية خالصة لهم من دون الكافرين". [2]

ويضيف قائلا:" وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في بداية غزوة حنين، فإن رسول الله –ﷺ– لم يعنف أحدا ممن فرَّ عنه، حتى حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلقاء لأنهم فروا، لم يوافق على هذا".[3]

وكانت هذه الغزوة آخر معركة ذات شأن بين الإسلام والمشركين، لم يلبث العرب من بعدها أن كسروا الأصنام ودخلوا في دين الإسلام.

غَزْوَةُ تَبُوكَ: [1]

1 – الإمام أحمد، المسند، 269/31، برقم: 18940. صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

2 – أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، إحياء التراث الإسلامي، ط:1، ت:1983م، المدينة المنورة. ص:199.

3 –م ن، ص204، 205.

خرج رسول الله –ﷺ– إلى غزوة تبوك في رجب من العام التَّاسع الهجريّ، بعد العودة من حصار الطَّائف بنحو ستَّة أشهرٍ. واشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك، نسبة إلى مكانٍ، هو عين تبوك؛ الَّتي انتهى إليها الجيش الإسلاميُّ، وعرفت كذلك باسم غزوة" العسرة"، قال تعالى: ﴿لَقَد تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهاجِرينَ وَالأَنصارِ الَّذينَ اتَّبَعوهُ في ساعَةِ العُسرَةِ﴾ [التوبة:117]، وسمّيت بهذا الاسم لشدَّة ما لاقى المسلمون فيها من الضَّنْكِ، فقد كان الجوُّ شديدَ الحرارة، والمسافة بعيدةً، والسَّفر شاقّاً لقلَّة المؤونة وقلَّة الدَّوابّ الَّتي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وقلَّة الماء في هذا السَّفر الطَّويل، والحرّ الشَّديد، وكذلك قلَّة المال الذي يُجَهَّز به الجيش، وينفق عليه.[2]

وكانت هذه آخر غزواته –ﷺ– ، وفيها نزل قول الله تبارك وتعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التَّوْبَة:123].

يقول ابن عاشور:" كَانَ جَمِيعُ بِلَادِ الْعَرَبِ خَلَصَ لِلْإِسْلَامِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَكَانَتْ تُخُومُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ مُجَاوِرَةً لِبِلَادِ الشَّامِ مَقَرِّ نَصَارَى الْعَرَبِ، وَكَانُوا تَحْتَ حُكْمِ الرُّومِ، فَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَوَّلَ غَزْوَةٍ لِلْإِسْلَامِ تَجَاوَزَتْ بِلَادَ الْعَرَبِ إِلَى مَشَارِفِ الشَّامِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِتَالٌ وَلَكِنْ وُضِعَتِ الْجِزْيَةُ عَلَى أَيْلَةَ وَبُصْرَى، وَكَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ إِرْهَابًا لِلنَّصَارَى".[3]

ويضيف قائلا:" وَفِي تَوْجِيهِ الْخِطَابِ لِلَّذِينَ آمَنُوا دُونَ النَّبِيءِ–ﷺ– إِيمَاءً إِلَى أَنَّ النَّبِيءَ –ﷺ– لَا يَغْزُو بَعْدَ ذَلِكَ وَأَنَّ أَجَلَهُ الشَّرِيفَ قَدِ اقْتَرَبَ، وَلَعَلَّ فِي قَوْلِهِ: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ إِيمَاءً إِلَى التَّسْلِيَةِ عَلَى فَقْدِ نَبِيِّهِمْ–ﷺ– وَأَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ كَقَوْلِهِ ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمرَان: 144]".[4]

قال قتادة:" بينما رسول الله –ﷺ– في غزوته إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين فقالوا: يرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات... فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله –ﷺ–: " احْبِسُوا عَليَّ هَؤلاءِ الرَّكْبَ "، فأتاهم فقال: قلتم كذا وقلتم كذا، قالوا: يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ

---

1 – تَبُوكَ: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي، –ﷺ– ، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب، –عليه السلام–، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك، وتبوك بين جبل حسمى غربيها، وجبل شروري، شرقيها. ور: معجم البلدان،14/2.

2 – محمد عبد القادر أبو فارس، الصِّراع مع الصَّليبيّين، دار البشير للثقافة والعلوم، ط:1، ت:1999م، القاهرة. ص:83.

3 – التحرير والتنوير،62/11.

4 –م ن، 63/11. ور: الطَّبقات الكبرى، 165/2.

سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ – وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة:64 –65].[1]

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية:" بينما رسول الله –ﷺ– يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا : انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه ، هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه –ﷺ– على ذلك فقال:" احبسوا عليّ الركب، فأتاهم فقال:" قلتم كذا وكذا، فقالوا: يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم، وبأنه موجود منهم، حتى وبخوا بأخطائهم ".[2]

ويضيف قائلا: { لاَ تَعْتَذِرُواْ } لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة ، فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم { قَدْ كَفَرْتُمْ} قد ظهر كفركم باستهزائكم { بَعْدَ إيمانكم } بعد إظهاركم الإيمان { إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مّنْكُمْ } بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق { نُعَذّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ } مصرين على النفاق غير تائبين منه، أو أن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله –ﷺ– ولم يستهزؤوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله –ﷺ– مستهزئين".[3]

ويرى الباحث: لقد وصف الله في القرآن الكريم الرسول–ﷺ– في جهاده بما يحقق كمال الإنسان في التحلي بأسباب النصر، ومكارم الأخلاق في معاملة الخصوم عند الالتحام، وعند حسم نتيجة المعركة بالانتصار، كما وصف ثباته، وصبره في حالة التقهقر من طرف جنده عند مفاجأة العدو لهم، أو تقصيرهم في الالتزام بأوامره–ﷺ– التي هي من أمر الله، فقد كان في السراء والضراء، وفي المنشط، والمكره، وفي السلم وفي الحرب، وفي الرضا وفي الغضب، خلقه القرآن.

---

1 – روح المعاني،131/10.

2 – الكشاف،443/2.

3 – الكشاف،443/2، ور: الصلابي، السيرة النبوية، ص: 811.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا العمل توصلت إلى النتائج الآتية:

1-في المقابلة بين النص القرآني وأحوال الرسول-ﷺ-، وسيلة بالغة في نشر الدعوة إلى الإسلام، حيث الناظر في هذا التقابل من المدعوين إلى الإسلام يلاحظ صورة بشرية المنزل عليه، في كونه بشرا يوحى إليه، وحقيقة القرآن بأنه صادرا من قوة علوية تهيمن على ذلك المنزل عليه، وتوجهه وهو خاضع لها مستجيبا لندائها.

2- وفي إشكالية بشرية الأنبياء، رأينا القرآن الكريم وهو المعجزة العقلية الخالدة للرسالة الخاتمة يلح معالجا بقايا هذه الفكرة الجاهلية على بشرية محمد بن عبد الله-ﷺ- ليعلن ويؤكد جدارة البشر بالاصطفاء الإلهي نبيا ورسولا، واستحالة أن يكون النبي والرسول إلا بشرا يوحي إليه، وانتهاء الطور الساذج من المسيرة التطورية للإنسان، الذي كانت تناسبه المعجزات التي تدهش العقل.

3-إن أمية رسول الله -ﷺ-يعنى بها في المفهوم العقدي عدم قرأته قبل النبوة وبعدها.

4-من دلائل نبوته، وعظيم قدره، وسمو مكانته-ﷺ-، خصه الله بخصائص لم تكن للأنبياء من قبله، منها ان الله أقسم بحياته، وناداه بأعز أوصافه، وأخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به، وينصروه، قبل خلقه، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ حُكْمُهُ سَارِيًا عَلَى أَتْبَاعِهِمْ بِالْأَوْلَى.

5-ومن دلائل الإعجاز في نبوته أن الله شق له القمر بمكة لتكون دليلا لقومه على صدق ما جاء به، كما أكرمه برحلة الإسراء والمعراج، التي حارت فيها العقول، والذي لا سبيل للعقل فيه يجب فيه التسليم، دون جدل كإعطائه نهر الكوثر في الجنة.

6- في وصف النبي -ﷺ-كونه رحمة للعالمين، وأن أخلاقه يتسنى بها كل إنسان سوي، دليل على عالمية دعوته.

7-أن العتاب الواقع على رسول الله -ﷺ-ينقسم إلى ثلاثة أقسام التوجيه والتنبيه والتحذير من حيث الإجمال، وقد ينقسم إلى أكثر من ذلك من حيث التفصيل.

8-على الرغم مما ورد في القرآن من عتاب شديد للنبي-ﷺ-، فإنه تكريم له بمراعاة الأولى، لكونه ذا مرتبة في أعلى مراتب العبودية، وليس العتاب له انتقاصا منه، ولا اتهاما له بذلك، وإنما هو رفع لمرتبته ودرجاته-ﷺ- ، ويأتي لتثبيته وليتحلى بالصبر في تبليغ الدعوة.

9- إن معاتبة النبي-ﷺ- في القرآن تدرجا من عتاب التنبيه حتى عتاب التحذير من أكبر الأدلة على أن القرآن وحيا من الله، ولا دخل للنبي-ﷺ- فيه، وليس من كلام البشر.

10- من دلائل نبوته-ﷺ- تحمله وصبره على أذى قومه له ماديا ومعنويا، والإعجاز القرآني في الدفاع عنه، ودحض الشبهات التي أثاروها.

11- كان النبي-ﷺ- في غزواته يتعرض لما يتعرض له أصحابه-رضي الله عنهم-، ويتردد حاله بين النصر المبين، والتعثر في بعض الغزوات، كما في حنين، رغم تأييد السماء له.

التوصيات.

ولأهمّية الدراسة في مجال السيرة النبوية، وخاصة بالإعجاز القرآني في توصيف الرسول-ﷺ- ، فيوصي الباحث بما يلي:

1- العناية بالبحوث المتعلقة بالسيرة النبوية من خلال القرآن الكريم، وكتب التفسير، والاستفادة منها، مع ربطها بواقعنا المعاصر.

2- استخراج ما في السيرة النبوية من الأحكام واللطائف والعبر.

3- تشجيع المؤتمرات والندوات لدراسة أمثال هذه الموضوعات، لما تحمله من إرشادات وتوجيهات مهمة.

الباحث

تمّت

فهرس الآيات القرآنية

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة: البقرة		
1	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	3-2	30
2	﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ﴾	14	214
3	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾	17	24
4	﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	23	36/18
5	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الْظَّالِمِينَ ﴾	35	94/61
6	﴿وَمِنهُم أُمِّيُّونَ لَا يَعلَمُونَ ٱلكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾	78	47
7	﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.	97	100
8	﴿كَذَلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	118	89
9	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾	119	176
10	﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾	144	105
11	﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	151	177
12	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾	186	116
13	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	189	112
14	﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾	190	201/193
15	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	194-193	193
16	﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّة وٰحِدَة فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	213	47
17	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾	215	114/113
18	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾إلى قوله تعالى:﴿ وَكُفْرٌ بِهِ﴾	217	206/113
19	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾	219	113
20	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	220	115
21	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	222	114
22	﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	256	201
23	﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾	286	130
24	سورة: آل عمران		
25	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ذُو انتِقَامٍ﴾	4-3	170/17
26	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾	19	90
27	﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾	20	75/51
28	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيباً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾	23	51
29	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنْتُمْ شَهَدُونَ﴾	70	56
30	﴿قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	75	53/52/50
31	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾	81	60

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
32	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الْخَاسِرِينَ﴾	85	76
33	﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	121	211
34	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾	128	44
35	﴿ وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾	144	224/213/45
36	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	153/152	213
37	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	155	213
38	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	159	67
39	﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾	164	177
40	﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾إلى قوله تعالى:﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	165	87
41	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾إلى قوله تعالى:﴿ يَكْتُمُونَ﴾	167/166	211
42	﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	179	215/212
43	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾	190	122
44	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	200	85
	سورة: النساء		
45	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴾	41	122/29
46	﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾	58	82
47	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَوْلاً بَلِيغاً﴾	63	179
48	﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ ﴾	80	218
49	﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾	81	86
50	﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾	82	92
51	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾	87	176
52	﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾	95	120
53	﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾	106-105	151/59
54	﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾	122	176
55	﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً﴾	153	116/17
56	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾	164-163	95
57	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾	174	176/59/16
	سورة: المائدة		
58	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾	3	45
59	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾	4	113
60	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾	8	82
61	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	11	87
62	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾	41	62
63	﴿ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	41	141

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
64	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	48	76
65	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾	67	139/129/62
66	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾	111	96
67	﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾	112	63
	سورة: الأنعام		
68	﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	10	187
69	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	35-33	185/152
70	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	68	138
71	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ إلى قوله تعالى:﴿أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾	92	170
72	﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	109	16
73	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾	112	96
74	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾	121	96
75	﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	152	81
76	﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	162	221
	سورة: الأعراف		
77	﴿المص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾	3-1	134
78	﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأرض ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الْمُحْسِنِينَ﴾	56	202
79	﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾	60	65
80	﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾	61	65
81	﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾	66	65
82	﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾	67	65
83	﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	105	16
84	﴿يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾	138	63
85	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	156	50
86	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	158-157	59/48/13
87	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	184	183
88	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾	187	113
89	﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	188	178/41
90	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199	80
	سورة الأنفال		
91	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	1	209/114
92	﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾	8/7	207
93	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مُرْدِفِينَ﴾	9	203
94	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾	12	96

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
95	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	17	209
96	﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾إلى قوله تعالى:﴿ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	19	207
97	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	30	192
98	﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	33	216/66
99	﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	41	210
100	﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	43	208
101	﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾	44	208
102	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾	45	83
103	﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	46	197
104	﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	47	197
105	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾	60	194
106	﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	61	86
107	﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	62	84
108	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾	65	196
109	﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	68-67	200/130
	سورة: التوبة		
110	﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	24	196
111	﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾	25	221
112	﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	40	192
113	﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾	43	143/130
114	﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	61	67
115	﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾	65/64	224
116	﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	80	145
117	﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾	84	147
118	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	113	147/141
119	﴿ لَقَد تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	117	224
120	﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾إلى قوله تعالى:﴿ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	118	111
121	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	123	224
122	﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	128	172/67/13
	سورة: يونس		
123	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾	2	183
124	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	15	49
125	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	38	18
126	﴿ وَإِن كَذَّبوكَ فَقُل لي عَمَلي ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ تَعمَلونَ﴾	41	201

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة: هود		
127	﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَكِيلٌ﴾	12	135
128	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	13	18
129	﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	32	63
130	﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾	37-36	94
131	﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ ﴾	48	61
132	﴿ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	53	63
133	﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾	113	202
134	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾	123	93
	سورة يوسف		
135	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ تَعْبُرُونَ﴾	43	98
136	﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	92	125
137	﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾	100	97
138	﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	103	180
139	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	108	181
140	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾	109	35
	سورة: الرعد		
141	﴿ لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾	31	201
142	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾	38	35
	سورة: إبراهيم		
143	﴿ الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	1	17
144	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	4	75
145	﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ الْمُؤْمِنُونَ﴾	11	31/17
	سورة: الحجر		
146	﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	6	182
147	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	9	8
148	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾	29	31
149	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	72	63
150	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾	89-87	136
151	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	94	170/136
152	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	95	187/66/9
153	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾	97	134/110
	سورة: النحل		

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
154	﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	1	114
155	﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِّن نَّاصِرِينَ﴾	37	180/141
156	﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَعْرِشُونَ﴾	68	96
157	﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	78	53
158	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يُسْتَعْتَبُونَ﴾	84	124
159	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾	103	184
160	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ﴾	125	176
161	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	128/126	137
	سورة: الإسراء		
162	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾	1	73/72/36
163	﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾	24	21
164	﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾	29	125
165	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾	41	28
166	﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾إلى قوله تعالى: ﴿وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾	46	28
167	﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾	60	74/73
168	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾	70	200
169	﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾	75-73	155
170	﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾	81	221
171	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾	85	148/115
172	﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ظَهِيراً﴾	88	20
	سورة: الكهف		
173	﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيداً جُرُزاً﴾	8-5	139
174	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾	9	106
175	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾	24-23	148/107
176	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً﴾	83	115
177	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾	110	33/13
	سورة: مريم		
178	﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾	7	61
179	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾	11	96
180	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾	12	61
	سورة: طه		
181	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فاستمع لِمَا يُوحَى﴾	13-11	100/95
182	﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	14	29
183	﴿فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا﴾	16	134

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
184	﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ ﴾	15	135
185	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾	38	96
186	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾	105	115
187	﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾	114	119
	سورة: الأنبياء		
188	﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُون﴾	1	114
189	﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾	3	186/32
190	﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾	5	186/32
191	﴿مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾	8-7	44
192	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	90
193	﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	30	78
194	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾	34	45
195	﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾	35	42
196	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	38	113
197	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾	73-71	94/36
198	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	107	147/76/66
	سورة: الحج		
199	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	75	53
	سورة: المؤمنون		
200	﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	6	125
201	﴿ فَقَالَ الْمَلأ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ حَتَّى حِينٍ ﴾	25-24	31
202	﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ إِنَّكُمْ إِذاً خَاسِرُونَ﴾	34-33	31
203	﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَنَا عَابِدُونَ﴾	47-45	32
	سورة: النور		
204	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	11	108
205	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	62	198
206	﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾	63	62
	سورة: الفرقان		
207	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾	1	76
208	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ظُلْماً وَزُوراً ﴾	4	185
209	﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾	7	31
210	﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾	8	183
211	﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾	52	139
212	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	54	35

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة: الشعراء		
213	﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾	3	140
214	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾	27	182
215	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	142-141	31
216	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	154-153	31
217	﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾	177-176	32
218	﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	187-185	32
219	﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	197	16
220	﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾	212	184
221	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	214	166/33/14
	سورة: النمل		
222	﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾	70	137
223	﴿وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾	75	93
224	﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	79	86
225	﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	92	48
	سورة: القصص		
226	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ ﴾ إلى قوله تعالى: وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	7	96
227	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الصَّالِحِينَ﴾	27	42
228	﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	30	61
229	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾	55-52	173
230	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾	56	141
231	﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	85	221
	سورة: العنكبوت		
232	﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾	48	54/49
	سورة: الروم		
	﴿ الم غُلِبَتِ الرُّوم ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾	4-1	93/30
233	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	21	35
234	﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾	57	124
	سورة: لقمان		
235	﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	17	85
	سورة: السجدة		
236	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله تعالى: لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	3	184/175
	سورة: الأحزاب		
237	﴿النبي أولى بالمؤمنين مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾	6	199/35

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
238	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	10-9	215
239	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَثِيراً﴾	21	8
240	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾	25	216
241	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾	30-28	35
242	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ﴾ إلى قوله تعالى: وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُورا﴾	38-37	158/129
243	﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾ إلى قوله تعالى: وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾	40	75
244	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾	46-45	59/13/8
245	﴿مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾	50	33
246	﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ تَكُونُ قَرِيباً﴾	63	114
	سورة: سبأ		
247	﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ﴾	3	93
248	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾	28	170/76
	سورة: فاطر		
249	﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾	8	153/142
250	﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	24	75
	سورة يس		
251	﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	3-1	64
252	﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾ إلى قوله تعالى:﴿يُبْصِرُونَ﴾	9-8	192
253	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾	69	186
254	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	82	215
	سورة: الصافات		
255	﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾	36	186
256	﴿بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾	37	78
257	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾	102	99/97
258	﴿ يا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	105-104	97/61
	سورة: ص		
259	﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾	8-4	191/183
260	﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	68-67	93
	سورة: الزمر		
261	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِنْ هَادٍ﴾	23	175
262	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾	30	45
263	﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون﴾	33	78
	سورة: غافر		
264	﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	28	188

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة: فصلت		
265	﴿حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾	5-1	22
266	﴿حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود﴾	13-1	191
267	﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنْ الْمُعْتَبِينَ﴾	24	125
268	﴿وقالَ الّذينَ كفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالْغَوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾	26	18
269	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	53	91
	سورة: الشورى		
270	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	7	170/59
271	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾	13	95
272	﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾	18	113
273	﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾	23	33
274	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾	38	203
275	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	52-51	99/90
276	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾	52	90/54/37
	سورة: الزخرف		
277	﴿حم وَالْكِتَبِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾	3-1	29
278	﴿إِنَّا وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾	22	47
	سورة: الجاثية		
279	﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾	35	124
	سورة: الأحقاف		
280	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	8	184
281	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	31-29	172
282	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	35	85
	سورة: محمد		
283	﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾	4	154
	سورة: الفتح		
284	﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ إلى قوله تعالى:﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾	3-1	218/122
285	﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾	9	126
286	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَظِيماً﴾	10	218
287	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَتْحاً قَرِيباً﴾	18	217/97
288	﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾	24	217
289	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَتْحاً قَرِيباً﴾	27	217/97
290	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾	28	218/8
	سورة: الذاريات		

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
291	﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	52	183
292	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾	54	125
293	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	36
	سورة: الطور		
294	﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾	15	19
295	﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿ صَادِقِينَ﴾	29	183
296	﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾	34	18
297	﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾	48	65
	سورة: النجم		
298	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾	2-1	65/64
299	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	4-3	128/78
300	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾	18-13	100/74
301	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾	43	122
	سورة: القمر		
302	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾	2-1	68
303	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾	12-11	23
304	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	17	176
305	﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾	24	31
306	﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرّ﴾	46-45	208
	سورة: الحديد		
307	﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	9	36
	سورة: المجادلة		
308	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	1	180
	سورة: الحشر		
309	﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	5	214
310	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾	7	161/127
311	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾	21	117/29
	سورة: الممتحنة		
312	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	1	220
313	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	12	221
	سورة: الصف		
314	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾	4	82
315	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي ﴾ إلى قوله تعالى:﴿ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	6	59

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة: الجمعة		
316	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً﴾ إلى قوله تعالى: ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	2	58
	سورة: المنافقون		
317	﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ ﴾ إلى قوله تعالى: الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	6	149/146
	سورة: الطلاق		
318	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾	1	62
	سورة: التحريم		
319	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	1	160/159
320	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْمَصِيرُ﴾	9	14
	سورة: الملك		
321	﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	2-1	43
322	﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	22	21
	سورة: القلم		
323	﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾	2-1	64
324	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	4	77/13
325	﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾	9	190
326	﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	15-10	186
327	﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾	51	182
	سورة: الحاقة		
328	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾	41	66
329	﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	42	183/65
330	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَاجِزِينَ﴾	47-44	105
	سورة: نوح		
331	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	1	94
332	﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فاجِراً كَفَّاراً﴾	27-26	86
	سورة: الجن		
333	﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أَحَداً﴾	2-1	172/76
334	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾	19	37
335	﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً﴾	21	41
	سورة: المزمل		
336	﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾	5	133/117
337	﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾	10	138
	سورة: المدثر		
338	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	5-1	121/88

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
339	﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	7	137
340	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾	31	215
	سورة: القيامة		
341	﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾	17-16	118
342	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾	35-31	189
	سورة: الإنسان		
343	﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾	8	200
	سورة: النازعات		
344	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	42	113
	سورة: عبس		
345	﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿شَاء ذَكَرَهُ﴾	12-1	162/161
	سورة: التكوير		
346	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾	18-17	23
347	﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾	22	183
348	﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾	23	101/100
349	﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	24	130
350	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	27	184
	سورة: المطففين		
351	﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾	31-29	187
	سورة: الأعلى		
352	﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾	8-6	133/40
353	﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾	9	179
	سورة: الغاشية		
354	﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾	22	153
	سورة: البلد		
355	﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	2-1	64
	سورة: الضحى		
356	﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى﴾	3-1	184/64
357	﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾	6	34
358	﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى﴾ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾	8-7	133/37
	سورة: الشرح		
359	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	4-1	132
	سورة: العلق		
360	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	5-1	104

ت	الآية	رقم الآية	الصفحة
361	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾	9-19	189
	سورة: البينة		
362	﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾	2	57
	سورة: الكوثر		
363	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾	1	68/67
	سورة: الكافرون		
364	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة	1-6	190
	سورة: النصر		
365	﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾	1-3	219
366	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾	3	45
	سورة: المسد		
367	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	1	187
	سورة: الناس		
368	﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ إلى آخر السورة	4-6	96

فهرس الأحاديث النبوية

ت	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
.1	أَبْشِرِى يا عائشةُ.	مسلم	111
.2	أَبْطَأَ جِبْرِيلُ علَى رَسولِ اللهِ -ﷺ-	مسلم	184
.3	أَتَرَى مَا أَقُولُ بَأْسًا.	الترمذي	162
.4	أتشفع في حد من حدود الله تعالى	البخاري	83
.5	أتشْهدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ؟.	البخاري	87
.6	أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ.	مسلم	53
.7	أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ.	البخاري	102
.8	أحيانا يتمثل لي الملك.	البخاري	103
.9	أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-.	البخاري	59
.10	أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ.	البخاري	87
.11	أخر عني يا عمر.	البخاري	146
.12	إذا أرادَ سَفَرًا أقْرَعَ.	البخاري	109
.13	إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ نَكَسَ رَأْسَهُ	مسلم	121
.14	إِذَا حُدِّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ.	أحمد	126
.15	إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ثقل جسمه.	أحمد	122
.16	اسْتَوْصُوا بِالأَسَارَى خَيْرًا.	الطبراني	200
.17	اشْهَدُوا.	البخاري	70
.18	أعطِ ابنتي سعدٍ.	الترمذي	199
.19	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي.	البخاري	76
.20	اغزُوا بِسمِ اللهِ وفي سبيلِ اللهِ.	مسلم	197
.21	اقرأْ علَيَّ القرآنَ.	البخاري	28
.22	اكْتُبْ فَوَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ	أبوداود	78
.23	ألا إن القوة الرمي.	مسلم	195
.24	أَلَا تُصَلِّيَانِ؟	البخاري	178
.25	ألا تعجبون كيف يصرف الله.	البخاري	187
.26	أليست هي جاريتي أحلها الله لي	النسائي	160
.27	أمْلَى عليَّ.	البخاري	120
.28	أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ حِينَ الْتَقَى.	أحمد	207
.29	إن أصدق كلمة.	مسلم	187
.30	إنَّ اللَّهَ اصطفى مِن ولدِ إبراهيمَ، إسماعيلَ.	مسلم	33
.31	إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق.	الطبراني	77
.32	أن ثمانين رجلا.	مسلم	217

ت	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
.33	إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا	مسلم	80
.34	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ	ابوداود	166
.35	إِنَّ له مُرْضِعًا في الجَنَّةِ.	البخاري	36
.36	إِنَّ نَبِيًّا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.	أحمد	223
.37	أن يرملوا الأشواط الثلاثة	البخاري	195
.38	أَنَا النبيُّ لا كَذِبْ.	مسلم	83
.39	إِنَّا أمَّة أمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب.	مسلم	48
.40	أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله.	البخاري	54
.41	إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ.	ابن ماجة	44
.42	أنزلت على آنفا سورةٌ.	مسلم	68
.43	إنكم تختصمون إلى.	مسلم	128
.44	إنما أنا بشر إذا.	مسلم	127
.45	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ.	البخاري	153/33/13
.46	إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ.	البخاري	77
.47	إنما كلف بحكم الظاهر.	مسلم	152
.48	إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ.	مسلم	100
.49	إنه قد شهد بدرً	البخاري	220
.50	إنَّه لو حَدَثَ في الصَّلَاةِ شيءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ به.	مسلم	40
.51	إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً.	مسلم	66
.52	إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي	البخاري	199
.53	إني أرى ما لا ترون	الترمذي	39
.54	أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ.	البخاري	97
.55	أين السائل عن العمرة؟	البخاري	121
.56	أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو.	مسلم	197
.57	بايعنا رسولَ اللهِ	مسلم	219
.58	بَعَثَنِي رسول اللَّهِ	الطبراني	46
.59	بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ.	البخاري	172
.60	بَيْنا أنا عِنْدَ البَيْتِ بيْنَ النَّائِمِ والْيَقْظانِ.	مسلم	133
.61	بينما أنا أمشي مع النبي -ﷺ-.	مسلم	148
.62	بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ	البخاري	88
.63	تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ.	الموطأ	11
.64	تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-	أحمد	46
.65	تُؤمنُ باللَّهِ ورسولِهِ؟	مسلم	202
.66	حتى حلف أن لا يقربها.	البخاري	160

ت	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
.67	من حديث الإفك الطويل.	البخاري	109
.68	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات.	البخاري	180
.69	حوضي مسيرة شهر.	مسلم	68
.70	خَرجتُ مِن نِكاحٍ.	الطبراني	33
.71	خير الصدقة.	البخاري	114
.72	الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه.	البخاري	68
.73	الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ.	مسلم	98
.74	سأنظر في ذلك.	الترمذي	151
.75	سقتني حفصة شربة عسل.	مسلم	159
.76	صلَّى بنا رسولُ اللهِ-ﷺ-	أبوداود	46
.77	ضَعْهُ مِن حَيْثُ أَخَذْتَهُ.	مسلم	210
.78	عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟	أبي داود	198
.79	عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ.	البخاري	188
.80	غدًا أجِيبُكُم	الترمذي	107
.81	غزا تسع عشرة غزوة.	مسلم	194
.82	عليكم بالجهاد في سبيلِ اللهِ	الحاكم	196
.83	فأخذ النبي -ﷺ-يستشير أصحابه في شأن الأسرى	مسلم	154
.84	فجاءني جبريل -عليه السلام- وأنا نائم	مسلم	104
.85	فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ.	مسلم	120
.86	قُومُوا عَنِّي.	مسلم	57
.87	كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-الْوَحْيُ.	أحمد	102
.88	كان خُلُقُه القُرآنَ.	البيهقي	77
.89	كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ.	البيهقي	39
.90	كان رسول الله -ﷺ-يصلي نحو بيت المقدس	البخاري	105
.91	كانَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-يَصُومُ	البخاري	39
.92	كان زكريا-عليه السلام- يعمل نجاراً	مسلم	42
.93	كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا.	أحمد	83
.94	كَانَ نبي اللَّهِ -ﷺ-إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوحي كرب لذلك	مسلم	121
.95	كنّا مع رسول الله -ﷺ-نجني الكَبَاث	مسلم	42
.96	كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم.	مسلم	44
.97	لَا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا.	مسلم	160
.98	لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا.	مسلم	85
.99	لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك	أبوداود	202
.100	لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنكُم إلى شيءٍ.	مسلم	196

ت	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
.101	لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ.	مسلم	44
.102	لقَدْ رَأَيْتُنِي يَومَ الشَّجَرَةِ	مسلم	219
.103	لقيت من قومكِ ما لقيت.	مسلم	171
.104	اللَّهمَّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلَمونَ	مسلم	86
.105	اللهم إن العيش عيش الآخرة.	البخاري	197
.106	اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي.	مسلم	203
.107	اللَّهمَّ إنَّكَ إنْ تُهلِكْ	مسلم	209
.108	اللَّهمَّ إنِّي أَسألُك الثباتَ في الأمر.	ابن حبان	84
.109	اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي.	الطبراني	171
.110	اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ ووَعْدَكَ.	البخاري	208
.111	اللهم عليك بقريش.	مسلم	188
.112	اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب.	مسلم	203
.113	لَوْ دَنَا مِنِّى.	مسلم	189
.114	لو كان محمدا –ﷺ–كاتما شيئا.	مسلم	129
.115	مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي.	أحمد	79
.116	ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟	البخاري	179
.117	مَا بضْعُ سِنينَ عنْدَكُمْ	الترمذي	93
.118	مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً.	أحمد	204
.119	مَا عَرَضْتُ الإِسْلامَ.	البيهقي	167
.120	ما مِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ.	البخاري	90
.121	مَثَلِي ومَثَلُ الأَنْبِياءِ مِن قَبْلِي.	البخاري	75
.122	من المرأتان من أزواج النبي –ﷺ–.	البخاري	160
.123	منْ أمّن رجُلاً على دمّهِ.	البخاري	81
.124	مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا	البخاري	199
.125	مَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ.	مسلم	129
.126	مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا.	أبي داود	209
.127	من يأخذ منى هذا.	مسلم	193
.128	نحن الذين بايعوا محمدا	البخاري	196
.129	نَحْنُ مِنْ مَاءٍ	أبو داود	78
.130	نعم الرجل عبد الله.	مسلم	178
.131	نَعَمْ، إنَّه مَن ذَهَبَ مِنَّا إليهِم.	مسلم	81
.132	نهى النبي–ﷺ–عن النُّهْبَى، والمُثْلَة.	البخاري	200
.133	نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.	البخاري	198
.134	هذه عير قريش فيها أموالهم	الطبراني	207

ت	طرف الحديث	المصدر	الصفحة
.135	هل جِئْتُم في عهْدِ أَحَدٍ.	النسائي	217
.136	هوّن عليكَ	ابن ماجة	79
.137	هو نهر أعطيه نبيكم -ﷺ-.	البخاري	68
.138	هي رؤيا عين أريها رسول الله -ﷺ-.	البخاري	74
.139	وأمَرَهم بِأنْ يَعْتَزِلُوا نِساءَهم.	مسلم	111
.140	والذي نفسي بيدِه لو أنَّ موسى كان حيًّا	أحمد	60
.141	يَا أَصْحَابَ الشَّجَرَةِ- أَوِ السَّمُرَةِ-.	مسلم	222
.142	يا جِبْرِيلُ، ما تَأْوِيلُ هَذِهِ الآيَةِ	أحمد	81
.143	يا رسول الله، أينشرح الصدر	مسلم	133
.144	يا صَفِيَّةُ بِنْتَ عِبْدِ المُطَّلِبِ.	مسلم	169
.145	يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربّي	ابن حبان	122
.146	يا عبد الله بن عمرو.	مسلم	177
.147	يا عَمَّاهُ، قُلْ لا إلَهَ إلا الله	مسلم	141
.148	يا عمرُ أتدري من السائلُ؟	مسلم	104
.149	يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى.	البخاري	183
.150	يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ.	البخاري	169
.151	يرحمه الله، لقد أذكرني	البخاري	40
.152	يعالج من التنزيل شدة.	البخاري	118
.153	يعرق الناس يوم القيامة.	البخاري	114

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة المنورة، ت:2007م.

1- إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، تحقيق: همام سعيد، دار النفائس، ط:1، ت:1995م، الأردن.
2- أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، ت:1996م، الرياض.
3- أبوبكر أحمد البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط:1، ت: 2007م، القاهرة.
4- أبوبكر أحمد البيهقي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، ط:1، ت: 1990م، بيروت
5- أبوبكر أحمد الجصاص، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ط:1، ت:1335هـ، بيروت.
6- أبو بكر محمد بن خزيمة، التوحيد تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، ط:5، ت:1994م، الرياض.
7- أبوبكر محمد المعروف بـ (ابن العربي)، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط:1، ت: 2008م، القاهرة.
8- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، ط:5، ت:1997م، مصر.
9- أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، ط:1، ت:1980م، بيروت.
10- أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصبهاني)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، دار القلم، ط:3، ت:2002م، دمشق.
11- أبو مدين الفاسي، مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2004م، بيروت.
12- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط:2، ت: 1999م، بيروت.
13- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:2001م، بيروت.
14- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد كبير أحمد، رمادي للنشر، ط:1، ت: 1997م، الرياض.
15- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، ت: 1995م، المدينة المنورة، السعودية.
16- أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، ط:3، ت:1980م، بيروت.
17- أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق عبد البر عباس، دار النفائس، ط:2، ت:1986م، بيروت.
18- أحمد بن عبد الله الأصبهاني، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر ط:1، ت: 1998م، الرياض.
19- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة الصفا، ط:1، ت:2003م، القاهرة.
20- أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، تحقيق: هاني الحاج، دار ابن كثير، ط:1، ت:1996م، دمشق.

21- أحمد بن محمد ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، دار الكتب العلمية، ط :2، ت:2003م، بيروت.
22- أحمد بن محمد النحاس، معاني القرآن، المحقق: محمد علي الصابوني، ط:1، ت:1989م، مكة المكرمة.
23- أحمد بن محمد النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:2002م، بيروت.
24- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مكتبة مصطفى الباجي وأولاده، ط:1، ت:1946م، بمصر.
25- أحمد بن يحي المرتضى، طبقات المعتزلة، ط:1، ت:1961م، بيروت.
26- أحمد حسين، محمد رسول الله-ﷺ- نبي الإنسانية، دار الشروق، ط:1، ت:1980م، بيروت.
27- أحمد عبد الوهاب، الوحي والملائكة في اليهودية والمسحية والإسلام، دار وهبة، ط:1، ت:1979م، القاهرة.
28- أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ت: 2003م، ليبيا.
29- أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:2004م، بيروت.
30- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط:1، ت:1985م، القاهرة.
31- أحمد العمري، السيرة مستمرة، عصير الكتب للنشر، ط:1، ت:2018م، الإسكندرية.
32- أحمد الغمراوي، سنن الله الكونية، مكتبة لجنة التأليف والترجمة، ط:1، ت:1936م، السعودية.
33- أحمد الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.
34- أحمد المنّاوي، طريق القرآن، مكتبة الصفا، ط:1، ت: 2017 م، القاهرة. ص:45.
35- إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملجم وآخرين، دار الريان، ط:1، ت: 1988م، القاهرة.
36- إسماعيل بن عمر ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة، ط:2، ت:1976م، بيروت.
37- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1999م، بيروت.
38- أكرم ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط:2، ت:1997م، بيروت.
39- أكرم ضياء العمري، السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ، مكتبة العلوم والحكم، ط:6، ت:1994م، المدينة المنورة.
40- أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، إحياء التراث الإسلامي، ط:1، ت:1983م، المدينة المنورة.
41- الأسنوي، نهاية السول في شرح منهاج الوصول تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، ط:1، ت:1999م، بيروت.
42- الإمام مالك، الموطأ، رواية يحي بن يحي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط:2، ت:1007م، بيروت.
43- الحسن بن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، دار الكتب العلمية، ط:2، ت:2005م، بيروت.
44- الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، ط:1، ت:1998م، بيروت.

45- الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، ت:1996م، بيروت.
46- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:2000م، بيروت.
47- الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف، دار المعارف، ط:3، القاهرة.
48- الشريف المرتضي، الموضح من جهة إعجاز القرآن "الصرفة"، تحقيق محمد رضا، مؤسسة الرضوية، ط:1، ت:2004م، بيروت.
49- الصادق بنُ محمَّد بن إبراهيم، خصائص المصطفى-ﷺ- بين الغلو والجفاء، مكتبة الرشيد، ط:1، ت:2999م، الرياض.
50- الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد-ﷺ-، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1993م، بيروت.
51- الطحاوي، شرح مشكل الأثار، مؤسسة الرسالة، ط:1،ت:2001م، بيروت.
52- الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير مجمع البيان، دار العلوم الطباعة والنشر والتوزيع، ط:1، ت:2005م، طهران.
53- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى-ﷺ-، دار السعادات، ط:1، ت:2013م، دبي.
54- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل دار الوفاء للطباعة، ط:1، ت:1998م، مصر.
55- القاضي محمد بن عبد الله بن العربي، عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، تحقيق: صدق جميل العطار، دار الفكر، ط:3، ت: 2005م، بيروت.
56- المبارك بن محمد ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول-ﷺ-، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط:1، ت:1972م، بيروت.
57- المبارك بن محمد بن الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: الطاهر الزاوي، المكتبة الوقفية، ط:1، ت:1963م، القاهرة.
58- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط:1، ت،1993م، بيروت.
59- توماس كارليل، الأبطال، عربه: محمد السباعي، المكتبة التجارية الكبرى، ط:3، ت:1930م، مصر.
60- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: صلاح الدين أرقدان، دار النفائس، ط:1 ت:1985م، بيروت.
61- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت.
62- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، ط:2، ت:2011م، بيروت.
63- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، جامع الأحاديث، تحقيق: عباس أحمد صقر، المكتبة الوقفية، ط:2، 1994م، بيروت.
64- جمال الدين عبد الله الزيلعي (ت: 762هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة، ط:1، ت:1997م، بيروت.

65- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب في الإسلام السيرة النبوية، دار الساقي، ط:4، ت:2001م، بيروت.
66- حافظ بن محمد الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، مطابع الجامعة الإسلامية، ط:1، ت:1986م، المدينة المنورة، السعودية.
67- حافظ حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول، دار ابن القيم، ط:1، ت: 1990م، الدمام.
68- حسن ضياء الدين عتر، نبوة محمد-ﷺ- في القرآن، دار النصر، ط:1، ت:1973م، القاهرة.
69- حسن ضياء الدين عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه، دار المكتبي، ط:1، ت:1999م، دمشق.
70- حسن عيسى عبد الظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، دار الثقافة، ط:1، ت:1985م، الدوحة.
71- حسن العطار، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت.
72- حسن الملطاوي، كتاب رسول الله-ﷺ- في القرآن الكريم، دار المعارف، ط:3، ت:1995م، القاهرة.
73- خليل أحمد السهار نفوري، بذل المجهود ذل المجهود في حل سنن أبي داود، مركز أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ط:1، ت:2006م، الهند.
74- راغب السرجاني، السيرة النبوية، رقم الجزء هو رقم الدرس. (المكتبة الشاملة) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net
75- رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، دار القلم، ط:3، ت:2006م، دمشق.
76- زغلول النجار، آيات من الإعجاز العلمي للقرآن، مكتبة الشروق، ط:3، ت:2002م، القاهرة.
77- سامي حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط:1، ت:2006م، عمان.
78- سعد الدين صالح، المعجزة والإعجاز في القرآن، دار المعارف، ط:2، ت:1993م، القاهرة.
79- سعد المرصفي، كتاب الجامع الصحيح للسيرة النبوية، مكتبة ابن كثير، ط:1، ت: 2009م، الكويت.
80- سعيد القحطاني، رحمة للعالمين-ﷺ-، مؤسسة الجريسي، مطبعة سفير، ط:1، ت:2006م، الرياض.
81- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله -ﷺ-بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين، مطبعة آلفو-برنت، ط:1، ت: 2003م، فاس.
82- سعيد حوّى، الأساس في التفسير، دار السلام، ط:6، ت:2004م، القاهرة.
83- سعيد فاندي، دراسات في الإعجاز القرآني، منشورات جامعة الجبل الغربي، ط:1، ت: 2012م، ليبيا.
84- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق طارق الحسيني، دار الحرمين، ت:1995م، القاهرة.
85- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط:2، ت:1994م، القاهرة.
86- سليمان بن الأشعث أبو داود، السنن الكبرى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط:1، ت:2001م، بيروت.
87- سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط:17، ت:1992م، القاهرة.
88- صديق بن حسن بن علي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط:1، ت: 1999م، بيروت.
89- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال، ط:1، ت:2009م، بيروت.

90- صلاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره، دار عمار، ط:1، ت:2000م، الأردن.
91- صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار المنار، ط:1، ت: 1993م، بيروت.
92- صلاح عبد الفتاح الخالدي، عتاب الرسول في القرآن، دار القلم، ت:2002م، دمشق.
93- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): إعجاز القرآن البياني، دار المعارف، ت:1971م، مصر.
94- عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، دار الكتاب اللبناني، ط:4، ت: 2005م، القاهرة.
95- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار الهلال، ط:2، ت:2006م، القاهرة.
96- عبد الحق بن غالب ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2002م، بيروت.
97- عبد الحليم محمود، الرسول-ﷺ-، دار الكتاب، ط:1، ت:1974م، بيروت.
98- عبد الحي بن أحمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط:1، ت:1986م، بيروت.
99- عبد الرحمن ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط:3، ت:1998م، السعودية.
100- عبد الرحمن الميداني، الحضارة الإسلامية، دار القلم، ط:1، ت:1998م، دمشق.
101- عبد الرحمن بن عبد الملك السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث، ط:1، ت:2008م، القاهرة.
102- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط:1، ت:2002م، بيروت.
103- عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:1998م، بيروت.
104- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:2000م، بيروت.
105- عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: عبد الحميد صالح حمدان، ط:1، ت:1990م، الرياض
106- عبد الصبور شاهين، عربية القرآن، مكتبة النافذة، ط:1، ت: 2006م مصر.
107- عبد العزيز إسماعيل، الإسلام والطب الحديث، مطبعة مصر، ط:2، ت:1959م، مصر.
108- عبد العزيز بن عبد السلام، بداية السول في تفضيل الرسول -ﷺ-، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط:1، ت: 1981م، بيروت.
109- عبد العظيم المطعني، مظاهر الإعجاز البياني، مكتبة وهبة، ط:1، ت:1992م، القاهرة.
110- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق مجدي السيد، دار التوفيقية للتراث، ط:1، ت:2010م، القاهرة.
111- عبد الكريم الخطيب، الإعجاز القرآني في دراسات السابقين، دار الفكر، ط:1، ت:1974م، دمشق.
112- عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط:2، ت: 2007م، مصر.
113- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط:9، ت:2002م، بيروت.

114- عبد الله بن صالح القصير، تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة، المكتبة الالكترونية، ط:2، ت:2009م، دمشق.
115- عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:1998م، بيروت.
116- عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: جمال ثابت، دار الحديث، ط:1، ت:2006م، القاهرة.
117- عبد المنعم الحفني، موسوعة القرآن العظيم، مكتبة مدبولي، ط:1، ت،2004م، القاهرة.
118- عبد الوهاب الديلمي، معالم الدعوة، دار المجتمع، ط:1، ت:1986م، السعودية.
119- عبد رب النبي الأحمد نكري، دستور العلماء، دار الكتب العلمية، ط:1، ت: 2000 م، بيروت.
120- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، ط:1، ت:1996م، بيروت.
121- عزيز السيد جاسم، محمد الحقيقة العظمى-ﷺ-، دار الاندلس، ط:1، ت:1987م، بيروت.
122- علي أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط:12، ت:2995م، دمشق.
123- علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار ابن الجوزي، ط:1، ت:2007م، القاهرة.
124- علي الصلابي، سيرة أبي بكر الصديق، دار ابن الجوزي، ط:1، ت:2007م، القاهرة.
125- علي الصلابي، غزوات الرسول-ﷺ- دروس وعبر، مؤسسة اقرأ، ط:1، ت:2007م، القاهرة.
126- علي بن إبراهيم الحلبي، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية، ط:2، ت:2007م، بيروت.
127- علي بن إبراهيم القمّيّ، تفسير القمّيّ مكتبة الهدى، ط:1، ت:1967م، النجف.
128- علي بن أحمد النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط:1، ت:1995م، دمشق.
129- علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، ط:2، ت:1992م، الدمام.
130- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، دار الجيل، ط:1، ت: بيروت.
131- علي بن إسماعيل المعروف ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:/2000م، دمشق.
132- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، ط:2، ت:1982م، دمشق.
133- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، ت:1983م، بيروت.
134- علي بن محمد الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2005م، بيروت.
135- علي بن محمد العدوي، المعروف بالشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق: صالح المهدي العزاوي، ط:1، العراق.
136- علي بن محمد الماوردي، أعلام النبوة، دار الهلال، ط:1، ت:1989م، بيروت.
137- علي محفوظ، هداية المرشدين، دار الاعتصام، ط:9، ت:1997م، الرياض.
138- عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، دار النفائس، ط:2، ت:2005م، بيروت.

139- عماد السيد محمد الشربيني، رد شبهات حول عصمة النبي -ﷺ-، دار الصحيفة، ط:1، ت:2002م، مصر.
140- عمر ابن الأشقر، الرسل والرسالات، دار النفائس، ط:4، ت: 1989م، الكويت.
141- عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبد الكريم، ت:1980م، تونس.
142- عمر بن عادل، تفسير اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1998م، بيروت.
143- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، منشورات مصطفى البابي الحلبي ط:2، ت:1965م، القاهرة.
144- عويد بن عيَّاد المطرَفي، آيات عتاب المصطفى -ﷺ-في ضوء العصمة والاجتهاد، جامعة الملك عبد العزيز، ط:3، ت: 2005م، مكة المكرمة.
145- عياض بن نامي السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدميرية، ط:1، ت:2005م، الرياض.
146- فتحي رضوان، من فلسفة التشريع الإسلامي، دار الكتاب اللبناني، ط:1، ت:1975م، بيروت.
147- فضل حسن عباس، لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، دار النفائس، ط:1، ت:2016م، بيروت.
148- فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد، ط:14، ت:2006م، الرياض.
149- قحطان الدوري، أمية الرسول-ﷺ-، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:1991م، بيروت.
150- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر، ط:4، ت:1987م، بيروت.
151- محمد إبراهيم شقرة، السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، مكتبة المعارف، ط:1، ت:1999م، السعودية.
152- محمد إبراهيم شقرة، تنوير الأفهام إلى بعض مفاهيم الإسلام، ط:2، ت:2000م، بيروت.
153- محمد ابن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:2001م، بيروت.
154- محمد ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الآفاق الجديدة، ط:1، ت:1977م، بيروت.
155- محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط:2، ت:1993م، بيروت.
156- محمد ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل، تحقيق: فهد بن ناصر، دار الوطن، ط:1، ت:1987م، الرياض.
157- محمد أبوبكر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:14، ت:1986م، بيروت.
158- محمد بن أبي بكر ابن القيم، الفوائد، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، ط:1، ت:1998م، القاهرة.
159- مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكرٍ بْنُ أَيُّوبَ، المعروف: بابن قيم الجوزية، التفسير القيم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الهلال، ط:1، ت:1990م، بيروت.

160- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ط:1، ت:1998م، القاهرة.
161- محمد أبو شُهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، ط:8، ت:2007م، دمشق.
162- محمد أبو فارس، السيرة النبوية دراسة تحليلية، دار الفرقان، ط:1، ت:1997م، الأردن.
163- محمد آل عابد، حديث القران عن غزوات الرسول -ﷺ-، ط:1، ت:1993م، بيروت.
164- محمد الأمين بن الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، ت:1995م، بيروت.
165- محمد الترمذي، سنن الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط:2، ت:1975م، مصر.
166- محمد حسين الذهبي، الوحي والقرآن، مكتبة وهبة، ط:1، ت: 1986م، مصر.
167- محمد الحديدي، عصمة الأنبياء-عليهم السلام-، مطبعة الأمانة، ت: 1979م، مصر.
168- محمد السيد شيخون، مظاهر إعجاز النظم في القرآن الكريم، مكتبة الكليات الأزهرية، ط:1، ت:1978م، مصر.
169- محمد الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، ت:1991م، القاهرة.
170- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ت:1984م، تونس.
171- محمد الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، ط:1، ت:1997م، بيروت.
172- محمد الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب العاملي، دار احياء التراث العربي، ط:1، ت:1957م، بيروت.
173- محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، ط:1، ت:2006م، القاهرة.
174- محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، دار الحديث، ط:1، ت:2001م، القاهرة.
175- محمد المنصور فوري، رحمة للعالمين-ﷺ-، دار السلام، ط:1، ت:1990م، الرياض.
176- محمد أمحزون، منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام، ط:5، ت:2010م، القاهرة.
177- محمد بن أحمد ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الكتاب العربي، ت: 1983م، بيروت.
178- محمد بن أحمد أبوزهرة، خاتم النبيين-ﷺ-، دار الفكر العربي، القاهرة.
179- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربيّ، ط:1، ت: 1985م، بيروت.
180- محمد بن أحمد بن الهروي، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، ط:1، ت:1979م، القاهرة.
181- محمد بن إسماعيل البخاري، التاريخ الكبير، تحقيق: محمد بن صالح الدباسي، المتميز للطباعة، ط:1، ت:2019م، الرياض.
182- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح الأدب المفرد، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط:4، ت: 1997م، السعودية.
183- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المسمى: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط:3، ت:1987م، بيروت.
184- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، ط:3، ت: 1991م، بيروت

185- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار السلام، ط:3، ت:2008م، القاهرة.
186- محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:2، ت:1993م، بيروت.
187- محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ت: 1988م، بيروت.
188- محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط:1، ت: 1973م، بيروت.
189- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1990م، بيروت.
190- محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ط:1، ت:1972م، بيروت.
191- محمد بن عبد الله بن العربي، عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، تحقيق: صدق جميل العطار، دار الفكر، ط:3، ت: 2005م، بيروت.
192- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، ط:1، ت:2007م، بيروت.
193- محمد بن عيظة، غزوة أحد دراسة دعوية، دار كنوز اشبيليا، ط:1، ت:1999م، الرياض.
194- محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
195- محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث، ت: 2001م، بيروت.
196- محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي، مكتبة الإسلامية، ط:1، ت: 1960م، طهران.324/2.
197- محمد بن يزيد ابن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية ط:1، ت:2009م، بيروت.
198- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ت:1996م، القاهرة.
199- محمد بن يوسف أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ط:2، ت:1978م، بيروت.
200- محمد بن يوسف السنوسي، مكمل اكمال الاكمال على صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت.
201- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1998م، بيروت.
202- محمد جواد الحسيني العاملي، مفتاح الكرامة، تحقيق: محمد باقر، مؤسسة النشر الإسلامي، النجف.
203- محمد حسين الصغير، تاريخ القرآن، دار المؤرّخ العربي، ط:1، ت:2000م، بيروت.
204- محمد حسين الطباطبائي، القرآن في الإسلام، تحقيق: أحمد الحسيني، دار الزهراء، ط:1، ت:1973م، بيروت.
205- محمد دروزة، سيرة الرسول-ﷺ- صور مقتبسة من القرآن الكريم، المكتبة العربية، ط:1، ت:1948م، بيروت.

206- محمد رشيد الرضا، تفسير المنار، دار المعرفة، ط:2، بيروت.
207- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار المنار، ط:5، ت: 1947م، القاهرة.
208- محمد رضا، محمد رسول الله -ﷺ-، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1975م، القاهرة.
209- محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط:2، ت:1988م، بيروت.
210- محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، ط:5، ت:2006م، دمشق.
211- محمد سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، ط:8، ت:1979م، دمشق.
212- محمد سعيد البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، ط:1، ت:1999م، بيروت.
213- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، دار نهضة، ط:1، ت:1997م، القاهرة.
214- محمد صالح ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل، تحقيق: فهد بن ناصر، دار الوطن، ط:1، ت:1987م، الرياض.
215- محمد طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، دائرة المعارف العثمانية، ط:3، ت:1967م، الهند.
216- محمد عبد الباقي الزرقاني، شرح المواهب اللدنية، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:1996م، مصر.
217- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، المكتبة العصرية، ط:1، ت:1996م، بيروت.
218- محمد عبد القادر أبو فارس، الصِّراع مع الصَّليبيِّين، دار البشير للثقافة والعلوم، ط:1، ت:1999م، القاهرة.
219- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، تحقيق: أحمد فضلية، دار القلم، ط:10، ت:2008م، القاهرة.
220- محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الكَرمانيّ، المشهور بـ ابن المَلَك، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، ط:2، ت:1983م، بيروت.
221- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط:6، ت:1985م، بيروت.
222- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، ط:7، ت:1981م، بيروت.
223- محمد عمر بن الحسن الملقب بالفخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المعروف بـ (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، ط:3، ت: 2000م، بيروت.
224- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، ط:2، ت:1981م، بيروت.
225- محمد كولن، العصمة النبوية، ترجمة: أورخان علي، دار النيل، ط:3، ت:2005م، القاهرة.
226- محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، المختار الاسلامي للطباعة، ط:1، ت:1978م، القاهرة.
227- محمد مسعد ياقوت، نبي الرحمة الرسالة والإنسان، ط:1، ت:2007م، القاهرة.
228- محمد ناصر الدين الألباني(ت: 1420 هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، ط:1، ت:1995م، الرياض.
229- محمد يوسف الكاندهلوي، حياة الصحابة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ت:1999م، بيروت.
230- محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق: فؤاد بن سراج عبد الغفار، المكتبة التوفيقية، ت:2008م، القاهرة.
231- محمود المصري، سيرة الرسول -ﷺ-، مكتبة الصفا، ط:1، ت: 2005م، القاهرة.

232- محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري، دار الكتب العلمية، ط:1، ت:2001م، بيروت.
233- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتاب العربي، ط:3، ت:1987م، بيروت.
234- محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط:2، ت:1973م، بيروت.
235- مساعد بن سليمان الطيار، كتاب المحرر في علوم القرآن، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط:2، ت:2008م، الرياض.
236- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط:1، ت:1991م، بيروت.
237- مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، ط:3، ت:1985م، بيروت.
238- مصطفى ديب البغا، الواضح في علوم القرآن، دار العلوم الإنسانية، ط:2، ت:1998م، دمشق.
239- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، ط:3، بيروت.
240- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن الكريم، دار المسلم، ط:1، ت:1996م، السعودية.
241- مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط:1، ت:2003م، بيروت.
242- مقبل الوادعي، الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، دار الآثار، ط:4، ت:2007م، صنعاء.
243- مكيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: الشاهد البو شيخي، جامعة الشارقة، ط:1، ت: 2008م، الشارقة.
244- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ط:3، ت:2000م، القاهرة.
245- مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط:1، ت:1992م، الرياض.
246- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، ت:1994م، القاهرة.
247- وحيد عبد السلام بالي، الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية، دار الفوائد، ط:2، ت:2003م، الإمارات.
248- وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، ط:2، ت:2003م دمشق.
249- ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ البغداديّ، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربيّ، ت: 1979م، بيروت.
250- يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي، مكتبة ابن حجر، ط:2، ت:2003م، دمشق.
251- يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ دار الشروق، ط:5، ت:2006م، القاهرة.
252- يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، ط:6، ت: 2009م، القاهرة.

الرسائل العلمية

253- رسالة ماجستير بعنوان: أحوال الرسول-ﷺ-الشخصية من خلال سورة الأحزاب، للباحث: إمام أبو الفردوس باشا البجلي، جمع ودراسة، جامعة المدينة العالية – ماليزيا ت: 2015م،

254- رسالة ماجستير دراسة موضوعية، للباحث: بيئوغين أكبر الأندونيسي، بعنوان: عتاب الله عز وجل للأنبياء في القرآن، من جامعة المدينة العالمية، ت:2015م، ماليزيا.
255- رسالة ماجستير للباحث: ممدوح الهياتمي، بعنوان الدعوة في عهدها المكي، من جامعة الامام محمد بن سعود، ت:1983م، السعودية.
256- رسالة ماجستير، للباحث: عبد الرحيم الزاوي، بعنوان: آيات العتاب في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، ت:2017م، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، الجزائر.

المجلات

257- أرشيف ملتقى أهل الحديث، الأبحاث العلمية، المكتبة الشاملة الحديثة، ت:2010م.
258- أمين الظاهر، مراحل الدعوة ودورها في تحقيق مقاصد الشريعة، مجلة البيان، العدد:125، ت: مايو 1998م، الرياض.
259- أمين محمد سلام، نظرة في آيات العتاب، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 23 العدد الأول 2007م.
260- سيد نوفل، أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد:49، بالمدينة المنورة.
261- صلاح الدين نامق الراوي، الدعوة السرية وفقهها، مجلة كلية الشريعة، جامعة الانبار/كلية التربية القائم، المجلد الأول، العدد: 2، 1986م، العراق.
262- عبد الله المجلي، تعريفات ومفاهيم، مجلة الدراسات الدعوية، العدد الأول، محرم 1429هـ-2009م، السعودية.
263- محمد رجب حميدو، الأُمِّيَّة من خصوصياته ودلائل نبوته-ﷺ-، مجلة رابطة العلماء السوريين، العدد:1084، ت: 3 أبريل 2018م.
264- محمد عمارة، محمد -ﷺ-المصطفى المعصوم بشر يوحى إليه، مجلة الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، عدد: ربيع الأول 1441هـ، القاهرة.
265- المعجم الوسيط المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: مجمع اللغة العربية، ط:2، ت:1972م، القاهرة.
266- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد:52، محمد عبد المقصود جاب الله، كتاب قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى.

فهرس الموضوعات

ت	الموضوع	الصفحة
.1	عنوان الأطروحة	أ
.2	صفحة المحتويات	ب
.3	الآية القرآنية، والحديث النبوي	ج
.4	الإهداء	د
.5	الشكر والتقدير	هـ
.6	ملخص الأطروحة عربي	و
.7	ملخص الأطروحة إنجليزي	ز
.8	المقدمة	8
.9	تمهيد: مفهوم الإعجاز وتجلياته	15
.10	مفهوم الإعجاز	15
.11	المعجزة في القرآن الكريم	16
.12	شروط الإعجاز	17
.13	مراحل التحدي	18
.14	القول بالصَرْفَة	18
.15	وجوه إعجاز القرآن	20
.16	الإعجاز البياني	21
.17	خصائص الإعجاز البياني	21
.18	خصائص جمالية المفرَدَة	22
.19	خصائص الانسجام في الجملة	23
.20	الإعجاز العلمي	24
.21	الإعجاز التَّشريعي	26
.22	الإعجاز التأثيري	27
.23	الإعجاز الغيبيّ	29
.24	الفصل الأول: توصيف بشرية رسول الله –ﷺ–	31
.25	المبحث الأول: تصوير طبيعة الرسول–ﷺ–	31
.26	الأدلة على بشرية الرسول –ﷺ–	32
.27	القرابة والعشيرة	33
.28	اليتم والإيواء	34
.29	الرجولة	34
.30	الزواج والذرية	35
.31	العبودية	36
.32	النسيان	39

ت	الموضوع	الصفحة
.33	لا يملك الضر ولا النفع -ﷺ-	41
.34	اشتغاله -ﷺ- بعمل البشر	41
.35	تعرضه -ﷺ- للبلاء	42
.36	موته-ﷺ-	44
.37	المبحث الثاني: توصيف أمية رسول -ﷺ-	47
.38	مفهوم الأمية	47
.39	أمية الرسول -ﷺ-	49
.40	متى كان النبي-ﷺ- أميا؟	54
.41	شبهة أنه يعرف القراءة والكتابة	56
.42	المبحث الثالث: توصيف خصائص الرسول-ﷺ-	59
.43	التبشير به -ﷺ-	59
.44	اختصاصه بأشرف الكتب-ﷺ-	59
.45	أخذ الميثاق على الأنبياء-عليهم السلام-	60
.46	نداء الله تعالى له-ﷺ- بأعزّ أوصافه-ﷺ-	61
.47	أقسم الله تعالى بحياته-ﷺ-	63
.48	عِناية الله به-ﷺ-	64
.49	مدافعة الله عنه-ﷺ-	65
.50	أَرْسَلْه الله رحمة للعالمين-ﷺ-	66
.51	أعطاه الكوثر-ﷺ-	67
.52	انشقاق القمر له-ﷺ-	68
.53	خصه برحلة الإسراء والمعراج-ﷺ-	72
.54	كونه -ﷺ- خاتم النبيين	75
.55	عموم رسالته -ﷺ-	75
.56	المبحث الرابع: توصيف أخلاقه -ﷺ-	77
.57	صدقه -ﷺ-	78
.58	تواضعه -ﷺ-	79
.59	حلمه وعفوه -ﷺ-	80
.60	وفاء رسول الله -ﷺ-	81
.61	عدله -ﷺ-	82
.62	شجاعته وثباته-ﷺ-	83
.63	صبره-ﷺ-	84
.64	توكله -ﷺ- على الله	86
.65	حزنه -ﷺ-	87

ت	الموضوع	الصفحة
.66	الفصل الثاني: توصيف ظاهرة الوحي	89
.67	المبحث الأول: مفهوم الوحي، وأدلة وقوعه	89
.68	أدلة وقوع الوحي وثبوته	90
.69	الأدلة القرآنية	90
.70	الأدلة من السنة	90
.71	الأدلة العلمية	91
.72	الأدلة العقلية	91
.73	الوحي نسبته إلى الله تعالى، وصلته بالغيب	92
.74	نسبته إلى الله تعالى	92
.75	صلته بالغيب	93
.76	الوحي في الاستعمال القرآني	95
.77	بداية الوحي المحمدي	96
.78	صور الوحي المحمدي وأقسامه	99
.79	بواسطة الملك	100
.80	صوت الوحي	102
.81	تمثل الملك للنبي –ﷺ– في صورة بشرية	103
.82	تمثل الملك للنبي –ﷺ– في النوم	104
.83	المبحث الثاني: توصيف حاجة رسول الله –ﷺ– إلى الوحي	105
.84	في تحويل القبلة	105
.85	في مسألة أهل الكهف	106
.86	في قصة الإفك	108
.87	في الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ	111
.88	إحالة التساؤلات على الوحي	112
.89	المبحث الثالث: توصيف الأعراض المصاحبة للوحي	117
.90	آثار الوحي ومظاهره على النبي –ﷺ–	118
.91	تحريك اللسان	118
.92	كان –ﷺ– يصيبه التعب، والكرب	120
.93	تربد وجهه –ﷺ–	121
.94	كان –ﷺ– ينكس رأسه، ويغطيه بثوب	121
.95	بكاؤه –ﷺ– عند سماع القرآن	122
.96	الفصل الثالث: توصيف عتاب رسول الله–ﷺ– في القرآن	124
.97	المبحث الأول: مفهوم العتاب، وتأثيره في نفس الرسول–ﷺ–	124
.98	العتاب دليل اجتهاد الرسول –ﷺ–	127

ت	الموضوع	الصفحة
.99	العتاب دليل أمانة الرسول-ﷺ-	129
.100	أنواع العتاب	130
.101	المبحث الثاني: توصيف عتاب التوجيه	132
.102	عتاب التثبت وتقوية العزيمة	132
.103	عتاب التلطف والاشفاق	139
.104	المبحث الثالث: توصيف عتاب التنبيه	143
.105	المبحث الرابع: توصيف عتاب التحذير	151
.106	مفهوم عتاب التحذير	151
.107	الفصل الرابع: توصيف الأحوال الدعوية للنبي-ﷺ-	165
.108	المبحث الأول: توصيف مراحل دعوته-ﷺ-	165
.109	مراحل الدعوة الإسلامية	166
.110	مرحلة إعداد القيادة	166
.111	دعوة الأقربين	168
.112	الرسول-ﷺ- في الطائف	171
.113	صرف الجن	172
.114	أول وفد إلى رسول الله -ﷺ-	173
.115	المبحث الثاني: توصيف منهج الرسول-ﷺ- في دعوته	175
.116	المبحث الثالث: توصيف أحوال النبي-ﷺ- مع المشركين	182
.117	اتهامه بأقبح الصفات-ﷺ-	182
.118	اتهامه بالكذب والافتراء-ﷺ-	184
.119	وصفه بأنه شَاعِرٌ-ﷺ-	185
.120	السخرية والشتم	187
.121	الأذى الجسدي	188
.122	الترغيب والمساومة	189
.123	التآمر على قتله -ﷺ-	192
.124	الفصل الخامس: توصيف رسول الله-ﷺ- في جهاده	193
.125	المبحث الأول: هديه-ﷺ- في الجهاد	193
.126	الفضيلة في الحرب:	193
.127	الأخذ بأسباب القوة:	194
.128	تشجيع المؤمنين على القتال	196
.129	وصايا الرسول-ﷺ- في الحرب	197
.130	تقدير ظروف الجند والإذن بالانصراف عند الحاجة	198
.131	رعايته-ﷺ- لأسر المجاهدين وأبناء الشهداء	199

ت	الموضوع	الصفحة
.132	معاملته-ﷺ- للأسرى	199
.133	الكرامة الإنسانية في أعقاب المعركة:	200
.134	عدم الإكراه على الإسلام	201
.135	وصيته بعدم الاستعانة بالمشركين	202
.136	وصيته بعدم الإفساد في الأرض	202
.137	دعاؤه-ﷺ- واستغاثته	203
.138	الشورى	203
.139	المبحث الثاني: توصيف أحواله-ﷺ- في غزواته	206
.140	في سرية عبد الله بن جحش-رضي الله عنه- الأسدي في نخلة	206
.141	غزوة بدر الكبرى	207
.142	موقف المشركين لما قدموا إلى بدر	207
.143	رؤيا الرسول-ﷺ-	208
.144	المعجزة الربانية في بدر	209
.145	موقف الرسول -ﷺ- في الغنائم	209
.146	غزوة أحد	210
.147	نزول المسلمين بالشعب في أحد والتعبئة للقتال	211
.148	معاملة النبي -ﷺ- للمنافقين الذين انخذلوا	211
.149	تَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ	212
.150	شائعة قتل الرسول-ﷺ-	212
.151	معاملة النبي-ﷺ- للرماة الذين أخطأوا	213
.152	غزوة الخندق (غزوة الأحزاب)	215
.153	المعجزة الربانية في غزوة الأحزاب	215
.154	صلح الحديبية	217
.155	بيعة الرضوان	218
.156	فتح مكة	219
.157	إحباط محاولة تجسس حاطب لصالح قريش	220
.158	مبايعة رسول الله-ﷺ-	221
.159	غزوة حنين	221
.160	الإعجاب بالكثرة يحجب نصر الله	222
.161	غَزْوَةُ تَبُوكَ	224
.162	الخاتمة	226
.163	فهرس الآيات القرآنية	228
.164	فهرس الأحاديث النبوية	242

ت	الموضوع	الصفحة
.165	فهرس المصادر والمراجع	247
.166	فهرس الموضوعات	259